تفسير العهد الجديد

وليم باركلي

رسالتا غلاطية وأفسس



اهداءات ٢٠٠١
دار الثقافة
الهيئة الإنجيلية والقبطية

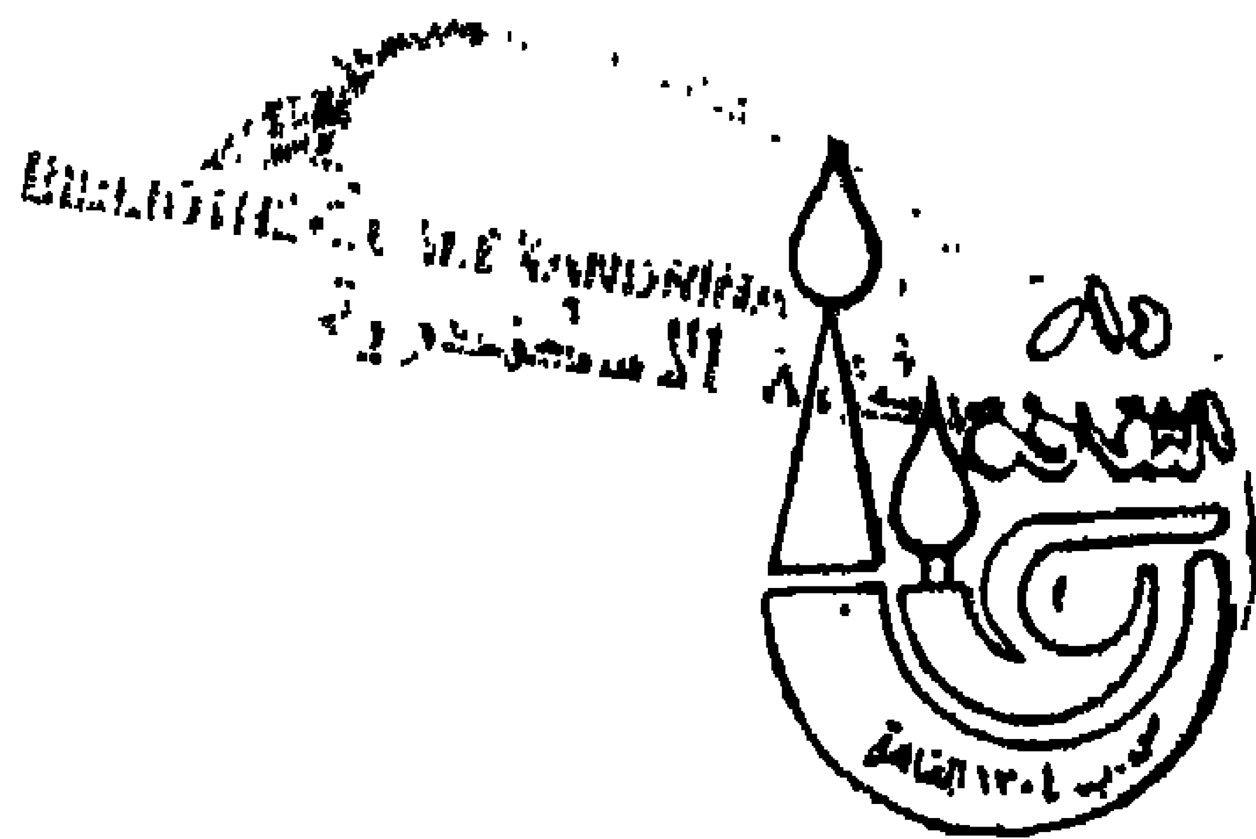
رسالتا

غلاطية وأفسس

نقلها إلى العربية

الدكتور القس

عبد المسيح اسطفانوس



صدر عن دار الثقافة المسيحية ص . ب ١٣٠٤ ــ القاهرة

١٠/٣٠٠ ط ١/٨٠ (أ) ٥ ــ ٥ رقم الايداع بدار الـكتب ١٩٨٠/٣٨٣٢ ترقيم دولى ٤ ــ ٢١ ــ ٧٣١١ ــ ٩٧٧
طبع بمطبعة : دار الطباعة القومية بالفجالة

تفسير العهد الجديد

للدكتور

وليم باركلي

أستاذ العهد الجديد بجامعة كلاسكو

مجلس التحرير

* يشترك عدد كبير من المترجمين فى إصدار هــذه السلسة .

* يقوم بنشرها:

— دار للثقافة المسيحية .

— دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية .

محتويات الكتاب

الموضـــــــوع	الصفحة

تمهيد :

كان لرسالة غلاطية تأثير عظيم على الكنيسة . ولذلك فلقد كان طبيعيا أن يقوم الكثيرون بكتابة شرح لها . ولهذا فإن من يكتب عن الرسالة الى غلاطية ، أو يقوم بدراستها يجد نفسه أمام ثروة دراسية كبيرة .

فمن أعظم كتابات لوثر تفسيره لرسالة غلاطية ، وتفسير ج . ب . ليتفوت لن يفوقه تفسير آخر . كما أن تفسير أ . د . بيرتون يقف شامخا كنموذج من الدراسية العلمية الممتازة اذ يحوى رصيدا كبيرا من المادة الدراسية .

أما من حيث النص الانجليزى فإن تفسير أ . د . ف بلانت فى مجموعة كلارندون تفسير جيد الا أن أفضل تفسير انجليزى هو ذاك الذى وضعه ج . س دنكان فى سلسلة تفسير موفات .

ولا تقربنا رسالة الى قلب بولس الرسول مثل الرسالة الى غلاطية . وأملى أن هذا التفسير المختصر يجعل هذه الرسالة حقيقة ملموسة ، ويجعل معانيها سهلة المنال .

وليم باركلى

كلية ترينتى ، جلاسجو
سبتمبر ١٩٥٨

مقدمة

هجوم على بولس الرسول :

شبه أحدهم رسالة غلاطية بسيف مسلول فى يد فارس عظيم، فقد كان هنالك هجوم على بولس الرسول وعلى الإنجيل الذى نادى به ولو نجح ذلك الهجوم ، فلربما أصبحت المسيحية مجرد جماعة من الجماعات اليهودية ، ولعلها كانت تصبح شيئا محدودا فى نطاق اليهودية ولليهود وحدهم ، شيئا يعتمد على الختان وحفظ الناموس ، بدلا من النعمة . وأنه لمن الغريب أن نتأمل كيف أنه لو نجح أعداء بولس الرسول ، لبقى الإنجيل محصورا فى دائرة اليهود وما كانت تتاح لنا الفرصة لنتعرف الى محبة المسيح .

هجوم على رسولية بولس الرسول :

من المستحيل أن تكون لانسان شخصية قوية مليئة بالحيوية مثل شخصية بولس الرسول دون أن يصادف الاعتراضات . ومن المستحيل أن يقود انسان ثورة فى التفكير الدينى بمثل مافعل بولس الرسول ، دون أن يتعرض للهجوم . وكان الهجوم الأول ضد رسولية بولس الرسول . فقال كثيرون ان بولس ليس رسولا على الاطلاق ، وكانوا محقين من وجهة

نظرهم الخاصة•فالتعريف الأساسى للرسول موجود فى أ ع ١: ٢١ و٢٢ فاذ انتحر يهوذا الخائن كان لزاما أن يأخذ واحد مكانه • فكيف وصفوا مؤهلات الشخص الذى يجب اختياره ؟ قالوا انه يجب أن يكون واحدا من « الرجال الذين اجتمعوا معنا كل الزمان الذى دخل الينا الرب يسوع وخرج منذ معمودية يوحنا الى اليوم الذى ارتفع فيه عنا » فإنه يجب أن يكون شخصا ممن عاينوا القيامة • وعلى ذلك فيجب أن يكون الرسول انسانا اجتمع مع يسوع ابان خدمته الأرضية ، وعاين قيامة السيد • وواضح أن بولس لم يستكمل هذه المؤهلات • وبالاضافة الى ذلك فانه منذ عهد قريب كان قائد اضطهاد الكنيسة المسيحية • ويجيب بولس على ذلك فى الآية الأولى من رسالته فيصر بفخر على أن مصدر رسوليته ليس مصدرا انسانيا • فإن يد إنسانية لم تخصصه لهذه الوظيفة ، ولكن دعوته جاءت من الله رأسا • فاقد كانت لدى الآخرين المؤهلات اللازمة عندما خلا المكان بين جماعة الرسل الا ان بولس كان له المؤهل الخاص والمميز وهو انه قد تقابل مع المسيح وجها لوجه فى الطريق الى دمشق •

الاستقلال والاتفاق :

وقد أصر بولس الرسول أيضا على أنه لايعتمد فى رسالته على انسان ولذلك يوضح بالتفصيل وبدقة فى الفصلين الأول والثانى زيارته الى أورشليم فهو يصر على أنه لا يقدم فى وعظه رسالة تسلمها من واحد من البشر ، ولكنه يعظ برسالة تسلمها مباشرة من المسيح • الا أن بولس لم يكن فوضويا ولم يكن متمردا • ولذلك فهو ينبر على أنه برغم تسلم رسالته فى استقلال تام ، الا أن قادة الكنيسة المعترف بهم قد أقروا تلك الرسالة (٢ : ٦ — ١٠) فقد أصر بولس على أن الانجيل الذى نادى به

قد جاءه مباشرة من الله ، كما انه الإنجيل الذى يوافق تماما الايمان المسلم للكنيسة •

المتهودون :

الا أن الإنجيل الذى نادى به بولس الرسول كان أيضا معرضا للهجمات • وقد كان الصراع لا بد آتيا، وسيخوض المعركة لا محالة • فلقد قبل بعض اليهود المسيحية ، الا أنهم اعتقدوا أن كل مواعيد الله وهباته انما هى لليهود فقط وأنه لايمكن السماح لأى واحد من الأمم لأن يتمتع بتلك المميزات الثمينة • ولذلك فقد اعتقدوا ان المسيحية انما هى لليهود ، ولليهود فقط•فان كانت المسيحية هى أعظم عطايا الله للبشرية ، فهذا انما يدعوللمزيد من الاعتقاد بأن لايستمتع بها سوى اليهود•ولعله لم يكن ممكنا تجنب هذا • فقد كان هنالك نوع من اليهود ممن آمنوا بكبرياء وخيلاء بفكرة الشعب المختار • وكان هذا النوع من اليهود ينادون بأقطع التعاليم فقالوا : « يحب الله اسرائيل فقط من بين الأمم التى خلقها » • « سيدين الله اسرائيل بمقاييس تختلف عن المقاييس التى يدين بها الأمم » • «اسحق أفضل الحيات ، واقتنى أفضل الأمم » « خلق الله الأمم ليكونوا وقودا لنيران جهنم » • كانت هذه هى الروح التى جعلت وصاياهم تمنع مساعدة السيدة الأممية فى ساعة ضيقها ، لأن ذلك انما كان يؤدى الى دخول أممى آخر الى العالم • ورأى هذا النوع من اليهود بولس الرسول يقدم الانجيل لمثل هذا الأممى المكروه والمحتقر فراعهم ذلك وأثار سخطهم • ولأن بولس الرسول نادى بانجيل عام للجميع فلذلك كرهوه هو وإنجيله من كل قلوبهم •

الشريعة اليهودية :

الا أنه كان هنالك منفذ من ذلك • فقد رأوا أنه ان أراد آممى أن يصبح مسيحيا فليصبح يهــوديا أولا • وماذا كان ذلك يعنى يا ترى ؟ كان يجب ان يختتن وأن يحمل كل عبء الشريعة اليهودية • وكان هذا بالنسبة لبولس يتعارض تماما مع معنى المسيحية • فهذا كان يعدى أن خلاص الانسان يعتمد على مايمكنه ان يقوم به ، وأنه يعتمد على علامة فى الجسد ، وعلى مقدرة الانسان على حفظ الشريعة • وهذا يعنى ان المرء يستطيع ان يستحق الخلاص بمجهوده الخاص ، دون مساعدة • أما فى نظر بولس ، فالخلاص شىء من عمل النعمة تماما • فقد اعتقــد أنه لايستطيع انسان قط ان يستأهل رضى الله فكل مايستطيع المرء عمله هو أن يقبل محبة الله المقدمة له،وأن يقوم على الايمان ويلقى بنفسه ضعيفا فقيرا عاجزا على محبة الله • فقد كان اليهودى يتقــدم الى الله قائلا « انظر ! ها هى أعمالى الصالحة • انظــر الى ختانى ، هاهى أعمــالى فأعطنى الخلاص الذى استأهله » أما بولس الرسول فيقول :

إن أعمال يدى •
فرض شرعك لا تفى •
مهما كانت غيرتى •
مهما سالت أدمعى •
لا تمحو خطيتى •
وحدك مخلصى •
ليس شىء فى يدى •
بالصليب أحتمى •

عاريا تكسونى •
عاجزا ترحمنى •
من أقذارى اغسلنى •
وحدك مخلصى •

فالشيء الأساسى بالنسبة لبولس ليس هو مايستطيع الانسان أن يفعله لله ، بل مافعله الله للانسان •

الا أن اليهود قالوا « إن أعظم شيء فى حياتنا وقوميتنا هو الشريعة التى أعطاها الله لموسى وحياتنا كلها تعتمد على هذه الشريعة » • ولكن بولس يجادلهم قائلا : « مهلا ! من هو مؤسس أمتنا ؟ ولمن أعطيت أعظم مواعيد الله » ؟ وكانت الاجابة طبعا هى ابراهيم • وهنا يقول بولس فلنسأل : « كيف حصل ابراهيم على رضى الله ؟ انه لم يحصل عليه نتيجة حفظه للشريعة الموسوية،فلقد عاش ابراهيم قبل ان يعطى الناموس لموسى باربعمائة وثلاثين سنة ، حيث لم تكن هنالك شريعة يجب حفظها • فكيف نال ابراهيم رضى الله اذن ؟ لقد ناله بالايمان • فعندما قال له الله ان يترك شعبه ويذهب ، وثق ابراهيم بالله لدرجة أنه خرج بالايمان وذهب واضعا ثقته الكاملة فى الله • فخلص ابراهيم بالايمان ، لا بالشريعة » • ويمضى بولس الرسول فيقول : « انه هذا هو الأساس ، فالايمان هو الذى يخلص الانسان وليس أعمال الناموس » • « فابن ابراهيم الحقيقى » ، « يقول بولس » ليس هو المولود من نسل ابراهيم الجسدى • ولكن ابن ابراهيم الحقيقى ، هو ذاك الذى ، بغض النظر عن جنسه وبلاده ونسبه ، يخضع لله بالايمان بنفس أسلوب ابراهيم • واسرائيل الحقيقى لايتعلق بالنسب الجسدى ، ولكنه يتكون من كل من

يكررون ايمان ابراهيم » • كان هذا هو الأسلوب الذى به أوضح بولس الرسول ان الايمان ، وليس الأعمال ، هو الذى يصل بالانسان الى دائرة رضى الله •

الشريعة والنعمة :

ان كان كل هذا صحيحا ، فهنالك سـؤال هام يظهـر فى الأفق : ما هو اذن مكان الشريعة ؟ لايمكن أن ننكر أن الشريعة أعطيت من الله ، فالشريعة اذن شىء الهى • فهل هذا التنبير على النعمة يمحو الشريعة نهائيا ؟ ان الشريعة لها مكانها فى الخطة كلها • فأولا ، يعرف الانسان ما هى الخطية عن طريق الشريعة • فإن لم تكن هنالك قوانين فالانسان لايستطيع أن يكسر القانون • وان لم تكن هنالك شريعة ، فلا يوجد شىء اسمه خطية • فالناموس يوضح ماهى الخطية • وثانيا — وهذا أهم — تدفع الشريعة الانسان الى نعمة الله • فالمشكلة مع الشريعة هى أنـه لكوننا بشر خطاة ، فلن نستطيع أن نحفظ الشريعة كاملة تامة• فمحاولة حفظ الشريعة صراع محكوم عليه بالفشل • انها معركة يخسرها الانسان دائما • فتأثير الشريعة هو أن تكشف للانسان ضعفه ، مما يدفعه لنوع من الفشل لا يجد منه مخرجا سـوى ان يلقى بنفسـه بايمان عظيم فى أحضان رحمة الله ومحبته • فالناموس يكشف لنا عجزنا ، ويقنعنا بعدم امكانيتنا فى ذواتنا ، ويدفعنا فى النهاية لأن نعترف بأن الشىء الوحيـد الذى يخلصنا ليس هو تلك الطاعة المستحيلة للناموس ولكن نعمة الله • وعلى ذلك فالناموس خطوة أساسية فى الطريق الى نعمة الله • وبذلك فان الموضوع الهام فى هذه الرسـالة هو مجـد نعمة الله ، وأهمية أن نتحقق أننا بأعمالنا لن نخلص أنفسنا، وان كل مايمكننا عمله هو أن نسلم أنفسنا فى ايمان كامل لنعمة الله •

التفســـير

ٱلأَصْحَاحُ ٱلأَوَّلُ

صوت بوق الإنجيل

١ بُولُسُ رَسُولٌ لاَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلاَ بِإِنْسَانٍ بَلْ بِيَسُوعَ
ٱلْمَسِيحِ وَاللهِ ٱلآبِ ٱلَّذِي أَقَامَهُ مِنَ ٱلأَمْوَاتِ ٢ وَجَمِيعُ الإِخْوَةِ
ٱلَّذِينَ مَعِي إِلَى كَنَائِسِ غَلاَطِيَّةَ . ٣ نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ
ٱللهِ ٱلآبِ وَمِنْ رَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ ٤ ٱلَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِ
خَطَايَانَا لِيُنْقِذَنَا مِنَ ٱلْعَالَمِ ٱلْحَاضِرِ ٱلشِّرِّيرِ حَسَبَ إِرَادَةِ ٱللهِ
وَأَبِينَا ٥ ٱلَّذِي لَهُ ٱلْمَجْدُ إِلَى أَبَدِ ٱلآبِدِينَ . آمِينَ .

(غل ١ : ١ ــ ٣٥)

جاء أناس الى غلاطية ليقولوا ان بولس فى الحقيقة ليس رسولا ، ولذلك فلا يجب الاصغاء اليه وبنوا تقليلهم من شأنه على حقيقة انه لم يكن أحد الاثنى عشر الأوائل ، وأنه كان أبشع مضطهد للكنيسة ، وانه لم يحمل تعيينا رسميا من قادة الكنيســـة • ولم يجب بولس على هؤلاء بالمجادلة ، ولكن بعبارة لايمكنهم الرد عليها ، فهو ليس مدينا برسوليته لانسان ، ولكنه مدين بها لذلك اليوم الذى تقابل فيه وجها لوجه مع الرب

يسوع فى الطريق الى دمشق • وبذلك قال بولس الرسـول أن وظيفته وخدمته انما قد أخذها مباشرة من الله •

١ ــ كان بولس متأكدا من أن الله كلمه • يحدثنـا « ليسـلى وذرهيد » عن صبى صمم على أن يكون خادما للمسيح وعندما سئل عن الوقت الذى وصل فيه الى هذا القرار قال ان ذلك حدث بعد أن استمع لعظة فى كنيسة المدرسة ولما سألوه عن اسم الواعظ الذى أثر على حياته هذا التأثير الكبير قال « لست أعلم اسم الواعظ ، ولكننى أعلم أن الله تحدث الى فى ذلك اليوم » • فلا يستطيع انسان فى الحقيقة أن يجعـل انسانا آخر خادما لله ، فالله وحده هو الذى يستطيع أن يفعل ذلك • والاختبار الحقيقى للمسيحى ليس كونه قـد تمم بعض الممارسـات ، وأخذ بعض العهود أم لا ، ولكنه السؤال عما ان كان قد رأى المسـيح وجها لوجه ؟ قال أحد كهنة اليهود القدامى واسمه « عبـد طوب » عن الوظيفة التى يشغلها :

«ان أبى وأمى لم يجعلانى حيث أنا ،ولكن ذراع المالك الالهى المقتدر أعطتنى هذه الوظيفة » •

٢ ــ ان السبب الذى أعطى بولس القدرة على تحمل التعب كان تأكده التام من أن عمله قد أعطى له من الله • فاعتبر كل مجهود يطلب منـه كتكليف له من الله • وليس أمثـال بولس فقط هم الذين نالـوا وظيفتهم ومسئوليتهم من الله • فقد يكون العمل الذى يكلف الله به واحد من البشر شيئا يعرفه الناس جميعا ويذكره التاريخ ، ولكنه قد يكون أمرا لايسمع عنه أحد شيئا • الا أنه فى كلا الحالين مسئولية من الله • كتب طاغور قصيدة تقول :

« فى منتصف الليل ، قال معتزم النسك :

هذا هو الوقت الذى أهجر فيه بيتى وأسعى نحو الله •

من ذا الذى خدع نفسى طويلا هنا » ؟ •

وهمس الله قائلا : « أنا » الا أن أذن الرجل كانت صماء وكانت زوجته ترقد فى الجانب الآخر من الفراش وهى تحتضن طفلها فى سلام •
وقال الرجل : من أنت يا من خدعتنى طويلا ؟ •

فقال الصوت ثانية : « انها الالهة » ولكنه لم يسمع •

وصرخ الطفل بسبب أحد أحلامه وتشبث بأمه • وأمره الله قائلا : « قف أيها الجاهل لا تترك بيتك » ولكنه لم يسمع أيضا •

وتنهد الله شاكيا « لماذا يسير خادمى هائما على وجهه ليبحث عنى واذا به يهجرنى • هنـــاك مسئوليات متواضعة ولكنها ، أيضـــا ، تكليف الهى » •

فالمسئولية التى تلقاها بولس من الله كانت تبشير العالم أجمع • أما بالنسبة لغالبيتنا فهى ببساطة أن تسعد واحـــدا أو اثنين فى دائرة أصدقائنا الضيقة وهذا أيضا واجب الهى •

ويلخص بولس الرســـول فى بداية رســـالته كل أمانيه وصلواته لأصدقائه فى كلمتين عظيمتين :

١ ــ فهو يطلب لهم النعمة • وهنالك فكرتان اساسيتان فى كلمة « نعمة » • الفكرة الأولى هى فكرة الجمـــال فى حـــد ذاتـــه • فالكلمة

اليونانية Charis تعنى النعمة فى معناها اللاهوتى الا أنها تعنى دائما الجمـال والجاذبية • وحتى عنـدما تستخدم هـذه الكلمة فى معناها اللاهوتى ، ففكرة الجمال ليست بعيدة عنها مطلقا • فعندما تتواجـد النعمة فى الحياة المسيحية فلابد أن تجعل منهـا شيئا جذابا محبوبا • فكثيرا ما تجد الصلاح دون جاذبية والجاذبية دون صـلاح ، وعمـل النعمة يظهر عندما يجتمع الصلاح والجاذبية معا • والفكرة الثانية هى فكرة الكرم والسخاء الذى يقـدم دون استحقاق • والفكرة هى فـكرة العطية التى ينالها الانسان دون استحقاق ، والتى ماكان يمكنه أن يحصل عليها بمجهوده الشخصى ، ولكنها تقدم له بناء على كرم وسخاء وحب قلب الله له • فكلمة نعمة تحوى بين ثناياها كل محبة الله فعندما يصلى بولس الرسول طالبا النعمة لأصدقائه ، كأنى به وهو يقول : ليحل عليكم جمال محبة الله العجيبة التى لا يستحقها بشر ، حتى تجعل حياتكم شيئا جميلا أيضا •

٢ ــ وهو يرجو لهم السلام • كان بولس الرسول رجلا يهوديا ولاشك أن كلمة « شالوم » العبرية كانت فى مخيلته حتى عنـدما كتب الكلمة اليونانية eirene (سلام) • وكلمة شالوم تعنى أكثر بكثير من مجرد انتفاء المشاكل،فهى تعنى كل شىء يؤدى الى أفضل الخير للانسان•انها تعنى كل شىء يجعل فكره نقيا وارادته ثابتة وقلبه مسرورا • انهـا الشعور بمحبة الله وعنايته التى تحيط قلب الانسان بالسلام والبهجـة حتى ولو كان جسده يعانى ألوان العذاب •

واذ يتحدث بولس الرسول عن يسوع ، يلخص فى عبارة واحدة تضم معانى غير محدودة قلب الرب يسوع المسيح وعمله « بذل نفسه ••• لينقذنا » •

١ ـ فحب المسيح هو الحب الذى أعطى وتألم .

٢ ـ وحب المسيح هو الحب الذى انتصر وأحرز .

فمأساة الحب فى هذه الحياة هى أنه كثيرا مالا تتحقق آماله فهو يتحمل آلام المحبة ولكنه قد لايستطيع أن ينقذ الشخص الذى يحبه . الا أن حب المسيح هو ذلك الحب الكامل لأن من خلفه تقف تلك القوة التى لا تحدها حدود والتى لايمكن أن يصيبها القنوط وهى تنقذ من تحب من أغلال الخطية .

عبد المسيح

٦ إِنِّي أَتَعَجَّبُ أَنَّكُمْ تَنْتَقِلُونَ هٰكَذَا سَرِيعاً عَنِ ٱلَّذِي
دَعَاكُمْ بِنِعْمَةِ ٱلْمَسِيحِ إِلَى إِنْجِيلٍ آخَرَ ٧ لَيْسَ هُوَ آخَرَ غَيْرَ أَنَّهُ
يُوجَدُ قَوْمٌ يُزْعِجُونَكُمْ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُحَوِّلُوا إِنْجِيلَ ٱلْمَسِيحِ .
٨ وَلٰكِنْ إِنْ بَشَّرْنَاكُمْ نَحْنُ أَوْ مَلاَكٌ مِنَ ٱلسَّمَاءِ بِغَيْرِ
مَا بَشَّرْنَاكُمْ فَلْيَكُنْ أَنَاثِيمَا . ٩ كَمَا سَبَقْنَا فَقُلْنَا أَقُولُ ٱلآنَ
أَيْضاً إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُبَشِّرُكُمْ بِغَيْرِ مَا قَبِلْتُمْ فَلْيَكُنْ أَنَاثِيمَا .
١٠ أَفَأَسْتَعْطِفُ ٱلآنَ ٱلنَّاسَ . أَمِ ٱللهَ أَمْ أَطْلُبُ أَنْ أُرْضِيَ ٱلنَّاسَ .
فَلَوْ كُنْتُ بَعْدُ أُرْضِي ٱلنَّاسَ لَمْ أَكُنْ عَبْداً لِلْمَسِيحِ .

(غل ١ : ٦ ـ ١٠)

ان الحقيقة الأساسية التى تقف من خلف ظروف هذه الرسالة هى أن انجيل بولس الرسول كان انجيل النعمة المجانية . فلقد آمن بكل قلبه ، ان كل مايمكن للانسان أن يعمله لا يستطيع أن يستحق لأجله رضى

الله • فلقد آمن ايمانا عارما بأنه لن يمكن أبدا لأى انسان أن يستأهل محبة الله • ولذلك فليس للانسان سوى أن يلقى بنفسه تماما فى أحضان حب الله ورحمته ، وذلك فى خطوة ايمان جريئة • فقــد اعتقــد أن كل مايمكن للانسان أن يفعله هو أن يتناول فى شكر ممتزج بالدهشة مايقدمه الله • وليس المهم هو ما يمكننا أن نفعله ، بأنفســنا لأنفســنا ، ولكن بولس الرسول • وجاء من بعده أناس نادوا بمسيحية لها صبغة يهودية فقالوا انه ان أراد أحد أن يسر الله ، فيجب أن يختتن أولا ثم يتقدم بعد ذلك فى تكريس حياته كاملة لتنفيــذ قواعد وفرائض الناموس • ولذلك فقد قالوا انه كلما نفذ الانسان أمرا من فرائض الناموس ؛ أضاف الله شيئا جديدا لكشف حسابه الدائن مع الله • فقد علموا بأنه يجب على الانسان أن يكسب لنفسه رضى الله ومحبته • وهذا مااعتبره بولس الرسول أمرا مستحيلا • أما خصومه فقد اعتبروا أن بولس يجعل الدين بذلك شيئا سهلا جدا وأنه يقف هذا الموقف ليكسب رضى الناس ومودتهم • الا أن الحقيقة كانت بعكس هــذا الاتهام فلو كانت الديانة تتكون من الختان ومن تنفيذ مجموعة من الفرائض والوصايا لاستطعنا أن نقول ، ولو من الناحية النظرية ، انه من الممكن تنفيذ متطلباتها • ولــكن دعونا نتأمل ما يقوله بولس الرسول • انه يرفع صليب المسيح عاليا ويقول « هكذا أحبكم الله » • وبذلك تصبح الديانة أمــرا ، لا يتعلق بتنفيــذ متطلبات الناموس ولكنها الوفاء بالتزام المحبة • فانه يمكن للانسان أن يفى بمتطلبات الناموس ، لأن حدودا ثابته واضحة ، ولكن هيهات له أن يفى بمتطلبات المحبة • فلو أعطى الشمس والقمر والنجوم لمن يحبه ، لشعر بعد ذلك أن تلك لا تساوى شيئا • الا أن كل ما استطاع خصوم بولس

من اليهود ان يتبينوه هو أن بولس قد أعلن انه لم يعد هناك لزوم للختان وأن الناموس قد أصبح غير ذى موضوع ٠

وأنكر بولس الرسول أنه يحاول ان يكسب رضى الناس فلم يأبه برأى الناس عنه لأن سيده هو الله ٠ ولذلك تقدم بالحجة التى لايمكن دحضها قائلاً ، « فلو كنت أرضى الناس لما كنت عبد المسيح » ٠ والذى كان بدور بخلده هو أن العبد كان يوسم باسم وعلامة سيدة ، تلك العلامة التى كان يكوى بها بقطعة من الحديد الملتهب ٠ وقد حمل بولس الرسول فى جسده علامات تجواله وآلامه ، علامات عبد المسيح ٠ فهو يقول : «لو كنت أرضى الناس ، فهل كانت تظهر على هذه العلامات ؟ ولو كان كل هدفى هو العلاقات الطيبة مع البشر ، فهل كان جسدى يحمل هذه العلامات ؟ ان حقيقة كونه يحمل تلك العلامات لتقدم الدليل النهائى على أن هدفه الواحد هو خدمة المسيح وليس ارضاء البشر ٠

فعندما أراد بولس الرسول أن يثبت أنه خادم المسيح استشهد بتلك السمات والعلامات ، اذ انها كانت أوسمته ونياشينه التى يفخربها ٠ يحدثنا « جون جونتر » عن الشيوعيين الأوائل فى روسيا ، وكثيرون منهم كانوا فى سيبريا ، وقد كانوا جميعهم تقريبا فى السجون تحت حكم قيصر روسيا وكانوا يحملون فى أجسادهم علامات ما عانوه وقاسوه ٠ ويقول لنا انهم عوض أن يخجلوا من تلك العلامات التى شوهتهم ، جعلوها موضوع فخرهم وكبريائهم ٠ وقد نعتقد نحن أنهم كانوا فى ضلال ، وكانوا يضلون الآخرين ، الا أنهم لأجل عقيدتهم،فانه عندما يرى الناس أننا على استعداد لأن نقاسى شيئا لأجل الايمان الذى نقول اننا نتمسك به ، سيقتنعون بأننا نؤمن به فعلا ٠ فما لا يكلفنا شيئا ، سيكون تافها فى نظر الآخرين ٠

يد الله تستقر

١١ وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا ٱلإِخْوَةُ ٱلإِنْجِيلَ ٱلَّذِي بَشَّرْتُ بِهِ إِنَّهُ
لَيْسَ بِحَسَبِ إِنْسَانٍ . ١٢ لِأَنِّي لَمْ أَقْبَلْهُ مِنْ عِنْدِ إِنْسَانٍ وَلاَ
عُلِّمْتُهُ . بَلْ بِإِعْلاَنِ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ . ١٣ فَإِنَّكُمْ سَمِعْتُمْ
بِسِيرَتِي قَبْلاً فِي ٱلدِّيَانَةِ ٱلْيَهُودِيَّةِ أَنِّي كُنْتُ أَضْطَهِدُ كَنِيسَةَ
ٱللهِ بِإِفْرَاطٍ وَأُتْلِفُهَا . ١٤ وَكُنْتُ أَتَقَدَّمُ فِي ٱلدِّيَانَةِ ٱلْيَهُودِيَّةِ
عَلَى كَثِيرِينَ مِنْ أَتْرَابِي فِي جِنْسِي إِذْ كُنْتُ أَوْفَرَ غَيْرَةً فِي
تَقْلِيدَاتِ آبَائِي . ١٥ وَلٰكِنْ لَمَّا سَرَّ ٱللهَ ٱلَّذِي أَفْرَزَنِي مِنْ بَطْنِ
أُمِّي وَدَعَانِي بِنِعْمَتِهِ . ١٦ أَنْ يُعْلِنَ ٱبْنَهُ فِيَّ لِأُبَشِّرَ بِهِ بَيْنَ ٱلأُمَمِ
لِلْوَقْتِ لَمْ أَسْتَشِرْ لَحْماً وَدَماً . ١٧ وَلاَ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ
إِلَى ٱلرُّسُلِ ٱلَّذِينَ قَبْلِي بَلِ ٱنْطَلَقْتُ إِلَى ٱلْعَرَبِيَّةِ ثُمَّ رَجَعْتُ
أَيْضاً إِلَى دِمَشْقَ .

(غل ١ : ١١ — ١٧)

كان بولس الرسول يعتقد أن الانجيل الذى ينادى به للناس لم يكن مجرد قصة أو رواية سمعها من آخرين ، فلقد جاءه من الله مباشرة ولقد كان مثل هذا « القول » شيئا كبيرا يحتاج الى برهان . ولقد كانت لدى بولس الرسول الشجاعة الكافية لأن يشير الى نفسه شخصيا ويقدم من نفسه برهان هذه الحقيقة . فأشار الى التغيير الشامل الذى جرى فى حياته .

١ ــ فلقد كان متمسكا بالناموس لدرجة التعصب • كان الناموس هو حياته • فلقد كان موضوع دراسته الوحيد هو أن يعرف الناموس ، وهدف حياته الواحد هو أن يحفظه • أما الآن فقد أصبح الموضـــوع المسيطر على حياته هو النعمة فهذا الانسان الذى حاول بمجهود جبار أن يكسب رضى الله أصبح الآن قانعا بأن يأخذ فى اتضاع ما يقدمه الله ، وبذلك كف نهائيا عن الافتخار بما يمكنه أن يقوم به لنفسه ، وأصـــبح يفتخر من ذلك الوقت فصاعدا بما صنعه الله لأجله •

٢ ــ ولقد كان مضطهد الكنيسة رقم ١ فلقد شتت الكنيسة ، والكلمة التى يعبر بها عن هذه الحقيقة هى الكلمة التى تعبر عن سلب المدينة تماما • لقد حاول أن يحرث الأرض التى كانت الكنيسة قائمة عليها • أما الآن فقد أصبح الهدف الواحد الذى لأجله كان مستعدا لأن يبذل نفسه حتى الموت ، هو أن تنتشر الكنيسة فى كل بقاع العالم • وكل مجهود يجب أن يكون له سبب مناسب ، فعندما يندفع انسان بكل قوته فى اتجاه ، ثم يتحول فجأة ويندفع فى الاتجاه المضاد تماما ، وعندما تتغير القيم فى حياة أى انسان ، فتنقلب رأسا على عقب ، فيجب أن يكون هنالك تفســـير مناسب لذلك • وكان التفسير بالنسبة لبولس الرسول هو تداخل الله المباشر •لقد استقرت يد الله على كتف بولس الرسول وكأنه ألقى القبض عليه وهو فى أوج نشاطه هـــذا • قال بولس « هو نـــوع التأثير الذى لا يمكن أن يصنعه غير الله » • انه لما يستحق الذى عن بولس الرسول إنه لم يخشى أن يتحدث عما يدعو للخجل فى حيـــاته ، لكى يظهـــر قوة الله •

وهناك أمران يشير اليهما حديثه عن تدخل الله :

١ — ان ذلك لم يكن شيئا لم يسبق التفكير فيه ، فهو جزء من خطة الله الأزلية ، والخطة كانت موجودة حتى قبل مولد بولس الرسـول • يحدثنا « أ • ج • جوسب» عن الكيفية التى أتى بها « ألكسندر وايت » الى رسامته فى أول كنيسة خدم بها • وكانت رسالة « وايت » هى أن الله من الأزل ، كان يعد هذا الرجل لهذا الشعب ، وهذا الشعب لهـذا الرجل ، وأنه فى اللحظة المناسبة بالضبط قد جمعهما معا • كل انسان هو فكرة من أفكار الله • ولله خطة لكل انسان ، ويرسل الله كل انسان الى العالم وقد وضع له دورا يقوم به فى خطة الله وقصده وقد يكون ذلك دورا كبيرا أو دورا صغيرا • وقد يكون عملك عملا يسمع عنـه العالم بأسره ، وقد يكون شيئا لايسمع به سـوى أقرب الأقربين • يقـول « أبكتيتس » الفيلسوف المشهور « لتكن لك الشجاعة التى بها ترفـع ناظريك نحو الله قائلا : « افعل بى كما تبغى من الآن فصاعدا ، فانى فى اتحاد معك ، فانى ملك لك • وانى لا أجفل من شىء تراه أنت أنه صالح ، قدنى حيثما شئت وألبسنى الرداء الذى تشاء ، فان كنت تريدنى أن أحمل مسئولية أو أن أحرم منها ، أن أبقى أو أن أنطلق ، ان أكون غنيـا أو فقيرا ؟ فى كل هذه الأحوال سأدافع عنك أمام الناس » • ان كان فليسوف وثنى قد استطاع أن يستودع نفسه بهذا القدر فى يد اله لم يعرف عنه سوى القليل فكم بالحرى نحن ! •

٢ — ولقد عرف بولس أنه قد اختير لعمل محدد • انه لم يفكر فى نفسه وكأنه اختير ليشغل مناصب الشرف ، ولكنه اختير للخدمة • ليس لعمل سهل ولكن للمعارك • والقائد انما يختار خيرة رجـاله لأصعب المعارك • والمعلم يختار خيرة تلاميذه لأصعب الدراسات • لقـد عرف بولس أنه انما اختير للخدمة •

طريق المختارين

١٨ ثُمَّ بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِأَتَعَرَّفَ
بِبُطْرُسَ فَمَكَثْتُ عِنْدَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً . ١٩ وَلٰكِنَّنِي لَمْ
أَرَ غَيْرَهُ مِنَ الرُّسُلِ إِلاَّ يَعْقُوبَ أَخَا الرَّبِّ . ٢٠ وَالَّذِي أَكْتُبُ
بِهِ إِلَيْكُمْ هُوَذَا قُدَّامَ اللهِ أَنِّي لَسْتُ أَكْذِبُ فِيهِ . ٢١ وَبَعْدَ
ذٰلِكَ جِئْتُ إِلَى أَقَالِيمِ سُورِيَّةَ وَكِيلِيكِيَّةَ . ٢٢ وَلٰكِنَّنِي كُنْتُ
غَيْرَ مَعْرُوفٍ بِالْوَجْهِ عِنْدَ كَنَائِسِ الْيَهُودِيَّةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ .
٢٣ غَيْرَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ أَنَّ الَّذِي كَانَ يَضْطَهِدُنَا
قَبْلاً يُبَشِّرُ الْآنَ بِالْإِيمَانِ الَّذِي كَانَ قَبْلاً يُتْلِفُهُ . ٢٤ فَكَانُوا
يُمَجِّدُونَ اللهَ فِيَّ .

(غل ١ : ١٨ ــ ٢٤)

يجب أن نربط بين هذه الفقرة والفقــرة الســابقة لنرى ما فعله بولس الرسول عندما استقرت يد الله عليه •

١ ــ ان أول مافعله هو أنه ذهب الى العربية • لقــد ذهب ليكون منفردا وذلك لسببين :

أولا : ليتأمل هذا الأمر العظيم الذى حدث معه •

ثانيا : كان يجب أن يتحدث الى الله قبل أن يتحدث الى البشر •

كان يجب أن يكون متيقنا من نفسه ومتيقنا من الله • قليلون هم الذين يخصصون شيئا من الوقت لمواجهة أنفسهم ومواجهة الله • وكيف يمكن لانسان أن يواجه تجارب وضغط وشدة الحياة دون أن يتدبر أموره جيدا ، ودون يقين •

٢ ـ ذهب الى دمشق • كان هذا عملا يتطلب كثيرا من الشجاعة • فاننا نذكر أن بولس كان فى طريقه الى دمشق ليمحو الكنيسة ، عندما استقرت يد الله عليه ، وكانت دمشق كلها تعرف ذلك • وذهب بولس فورا ليشهد للناس الذين كانوا يعرفون حاله السابق جيدا • كتب «كبلنج» قصيدة اسمها «نذر ملهولند» وملهولند هذا كان راعيا للأغنام المنقولة على ظهر احدى السفن ، وهبت عاصفة هوجاء عبثت بالسفينة وتعهد «ملهولند» لله بأنه ، ان انقذه من خطر الغرق ، فانه سيخدمه من ذلك الوقت فصاعدا •ونجا وعزم على تنفيذ وعده لله ،الا أنه قرر أن يعظ حيث لايعرفه أحد ، وفى مكان مريح أنيق بعيد عن المخاطر • وعندئذ جاءه أمر الله بأن يعود الى سفن الأغنام ويعظ بالانجيل هنالك وبذلك أرسله الله الى المكان الذى يعرفه والذى هو معروف فيه• ان شهادتنا المسيحية مثل تقدماتنا المسيحية تماما فهى يجب أن تبدأ بالبيت •

٣ ـ ذهب بولس الى أورشليم ونراه يخاطر بحياته للمرة الثانية• فلسوف يطلب أصدقاؤه القدامى ،اليهود، دمه لأنه كان مرتدا فى نظرهم أما أعداؤه القدامى ، المسيحيون ، فلسوف يتجنبونه لأنهم سوف لايصدقون أنه قد تغير• وكانت لدى بولس الرسول الشجاعة لأن يواجه ماضيه • اننا لا نستطيع أن نتخلص من الماضى بأن نهرب منه • ان خير تعامل مع الماضى انما يكون بمواجهته والاعتراف به والانتصار عليه •

٤ ــ ذهب بولس الرســـول الى ســـوريا وكليكية حيث كانت طرسوس التى نشأ فيها ، وحيث ذهب للمدرسة يتعلم •وفى تلك المنطقة كان أصدقاء طفولته وشبابه• ونراه مرة أخرى يختار الطريق الصعب • فلاشك أنهم سيعتبرونه معتوها ، ويقابلونه بالغضب ، بل أسوأ من ذلك انهم سيقابلونه بالسخرية •وكان بولس على أتم استعـداد لأن يعتبر معتوها لأجل المسيح •

يحاول بولس الرسول فى هذه الآيات أن يدافع عن انجيله ويثبت استقلاله • فانه لم يأخذه من انسان ولكنما من الله ، فـهو لم يستشر انسانا ولكنه استشار الله وبينما كان بولس يكتب اذا به يقدم نفسه ، دون ، أن يشعر ، كذلك الانسان الذى لديه الشجاعة لأن يشهد للتغيير الذى حدث فى حياته ويكرز بالانجيل فى أصعب الأماكن •

الأصحاحُ الثاني

الرجل الذى رفض أن يرهبه أحد

١ ثُمَّ بَعْدَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً صَعِدْتُ أَيْضاً إِلَى أُورُشَلِيمَ مَعَ
بَرْنَابَا آخِذاً مَعِي تِيطُسَ أَيْضاً. ٢ وَإِنَّمَا صَعِدْتُ بِمُوجَبِ إِعْلاَنٍ
وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الإِنْجِيلَ الَّذِي أَكْرِزُ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ وَلٰكِنْ
بِالاِنْفِرَادِ عَلَى الْمُعْتَبَرِينَ لِئَلاَّ أَكُونَ أَسْعَى أَوْ سَعَيْتُ بَاطِلاً.
٣ لٰكِنْ لَمْ يَضْطَرَّ وَلاَ تِيطُسُ الَّذِي كَانَ مَعِي وَهُوَ يُونَانِيٌّ أَنْ
يَخْتَتِنَ. ٤ وَلٰكِنْ بِسَبَبِ الإِخْوَةِ الْكَذَبَةِ الْمُدْخَلِينَ خُفْيَةً
الَّذِينَ دَخَلُوا اخْتِلاَساً لِيَتَجَسَّسُوا حُرِّيَّتَنَا الَّتِي لَنَا فِي الْمَسِيحِ كَيْ
يَسْتَعْبِدُونَا. ٥ الَّذِينَ لَمْ نُذْعِنْ لَهُمْ بِالْخُضُوعِ وَلاَ سَاعَةً لِيَبْقَى
عِنْدَكُمْ حَقُّ الإِنْجِيلِ. ٦ وَأَمَّا الْمُعْتَبَرُونَ أَنَّهُمْ شَيْءٌ مَهْمَا
كَانُوا لاَ فَرْقَ عِنْدِي. اللهُ لاَ يَأْخُذُ بِوَجْهِ إِنْسَانٍ. فَإِنَّ هٰؤُلاَءِ
الْمُعْتَبَرِينَ لَمْ يُشِيرُوا عَلَيَّ بِشَيْءٍ. ٧ بَلْ بِالْعَكْسِ إِذْ رَأَوْا
أَنِّي اؤْتُمِنْتُ عَلَى إِنْجِيلِ الْغُرْلَةِ كَمَا بُطْرُسُ عَلَى إِنْجِيلِ الْخِتَانِ.
٨ فَإِنَّ الَّذِي عَمِلَ فِي بُطْرُسَ لِرِسَالَةِ الْخِتَانِ عَمِلَ فِيَّ أَيْضاً

لِلأُمَمِ . ٩ فَإِذْ عَلِمَ بِالنِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ إِلَى يَعْقُوبُ وَصَفَا وَيُوحَنَّا الْمُعْتَبَرُونَ أَنَّهُمْ أَعْمِدَةً أَعْطَوْنِي وَبَرْنَابَا يَمِينَ الشَّرِكَةِ لِنَكُونَ نَحْنُ لِلأُمَمِ وَأَمَّا هُمْ فَلِلْخِتَانِ . ١٠ غَيْرَ أَنْ نَذْكُرَ الْفُقَرَاءَ . وَهٰذَا عَيْنُهُ كُنْتُ اعْتَنَيْتُ أَنْ أَفْعَلَهُ.

(غل ٢ : ١ : ١٠)

أثبت بولس فى الفقرة السابقة استقلال انجيله ، وأنه ليس مدينا به لبشر ، ولكنما أتى اليه من الله مباشرة • وفى الفقرة التى أمامنا يثبت أن هذا الاستقلال ليس ضربا من الفوضى وأن انجيله لم يكن دعوة للانقسام والطائفية ، ولكنه عين الايمان المسلم للكنيسة • فبعد أن عمل لمدة أربع عشرة سنة ذهب الى أورشليم وأخذ معه تيطس صديقه الصغير وأخذ أتباعه وهو يونانى الجنسية • ولم تكن تلك الزيارة سهلة لدرجة أن اضطرابه الفكرى يظهر فى سرده للأحداث •

فهنالك اضطراب فى النص اليونانى لايمكن أن يظهر كاملا فى الترجمة العربية • فلقد كانت مشكلة بولس أنه لم يستطع أن يقتصد فى الحديث والا فسيبدو وكأنه قد تخلى عن مبادئه ، كما أنه لم يستطع الا أن يتحدث بافاضة لئلا يظهر وكأنه على خلاف مع قادة الكنيسة • لذلك فعباراته مفككة وغير مترابطة وكلماته تدل على مشغوليته واضطراب فكره •

ولقد قبل قادة الكنيسة الحقيقيين موقفه من البداية ، الا أنه كان هنالك من أرادوا أن يخمدوا هذه الروح المتأججة • فالبعض ، كما سبق أن رأينا ، قبلوا المسيحية ولكنهم كانوا يعتقدون أن الله لم يعط أية

امتيازات لغير اليهود • ولذلك فلكى يصبح الانسان مسيحيا يجب عليه أن يختتن أولا وأن يحترم فرائض الشريعة كلها • واتخذ هؤلاء المتهودون وهذا هو الاسم الذى يطلق عليهم — من تيطس حالة يختبرون بها نوايا بولس الرسول • وهنالك معركة من وراء العبارات التى نقرأها هنا ، ويحتمل أن قادة الكنيسة حثوا بولس الرسول على أن يتنازل قليلا عن مبادئه فى حالة تيطس ، حفاظا على السلام • الا أن بولس ثبت كالصخر ، فلقد عرف أن هذه الحالة يقصد بها اختباره ،ولذلك فلم يقبل أن يتنازل ولو للحظة واحدة • فالخضوع انما يعنى الاستعباد للناموس ورفض الحرية التى فى المسيح •

ولقد انتصر ثبات بولس فى النهاية وقبلوا ، من حيث المبدأ ، أن تكون خدمة بولس خارج الدائرة اليهودية ، بينما خدمة بطرس ويعقوب بين اليهود • ويجب أن نلاحظ بدقة أننا لا نتحدث عن الوعظ بانجيلين مختلفين ولكنما هو انجيل واحد يدخل ميدانين مختلفين بواسطة أشخاص مختلفين لهم المؤهلات الخاصة التى تناسب ذلك •

ومن هذه الصورة تبرز ميزات خاصة لبولس الرسول :

١ — لقد قدم بولس الرسول للمسئولين فى الكنيسة الاحترام اللائق بهم فهو لم يتصرف على هواه • لقد ذهب وتقابل وتحدث مع قادة الكنيسة مهما اختلف معهم • ان أحد القواعد العظيمة والمهملة فى الحياة هو أنه مهما كنا على صواب ، فلن نكسب شيئا عن طريق الوقاحة • فلا يوجد ما يمنع أن تسير المجاملة مع التصميم يدا بيد •

٢ — لقد رفض بولس الرسول أن يرهبه أحد فهو يتحدث عدة مرات عن الشهرة التى تمتع بها قادة الكنيسة وأعمدتها • لقد احترمهم

وعاملهم بمنتهى المجاملة ولـكنه لم يتحـول عن مبادئه فهنالك احترام الآخرين،كماأن الحكمة قد تقتضى أن ننحنى أمام من يعتبرهم العالم أو تعتبرهم الكنيسة شخصيات عظيمة•الا أن بولس الرسول كان على يقين من أنه لايسعى لـكى يرضى الناس بل الله •

٣ ــ ولقد كان بولس الرسول يحس بأن عليه مسئولية خاصة وقد شعر بأن الله قد أعطاه عملا خاصا يقوم به ، ولذلك فلن يسمح لمعارضة من الخارج أو لما يثبط الهمة من الداخل بأن تعوقه عن اتمام ذلك العمل وتلك الرسالة • ان من يعلم بأن الله قد كلفه برسالة معينة ، لسوف يجد دائما أن الله قد منحه قوة خاصة لتنفيذ هذه الرسالة •

الوحدة الأساسية

١١ وَلَـكِنْ لَمَّا أَتَى بُطْرُسُ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ قَاوَمْتُهُ مُوَاجَهَةً
لِأَنَّهُ كَانَ مَلُوماً. ١٢ لِأَنَّهُ قَبْلَمَا أَتَى قَوْمٌ مِنْ عِنْدِ يَعْقُوبَ
كَانَ يَأْكُلُ مَعَ الْأُمَمِ وَلَـكِنْ لَمَّا أَتَوْا كَانَ يُؤَخِّرُ وَيُفْرِزُ
نَفْسَهُ خَائِفاً مِنَ الَّذِينَ هُمْ مِنَ الْخِتَانِ. ١٣ وَرَاءَى مَعَهُ بَاقِي الْيَهُودِ
أَيْضاً حَتَّى إِنَّ بَرْنَابَا أَيْضاً انْقَادَ إِلَى رِيَائِهِمْ.

(غل ٢ : ١١ ــ ١٣)

لم تنته المشكلة • فلقد كانت هنالك فى حياة الكنيسة الأولى أكلة عامة كانوا يطلقون عليها اسم Agapa أى وليمة المحبة • وكان كل شعب الكنيسة يجتمع معا فى تلك الوليمة ليستمتعوا بأكلة مشتركة يسـاهم الجميع فيها•وغالبا ماكانت تلك الأكلة هى الأكلةالوحيدة المشبعة بالنسبة

لكثيرين من العبيد ، كما كانت تلك الأكلة تعبيرا عن شركة ووحدة المسيحيين • وأن النظرة السطحية للأمر لتثير الكثير من الأعجاب • الا أننا يجب أن نتذكر موقف بعض اليهود المتزمتين الجامد • فلقد اعتبر أولئك أن شعبهم هو الشعب المختار وأن الله قد رفض كافة الشعوب الأخرى التى اعتبروها نجسة • فكانوا يعتقدون ان « الرب حنان ورحيم » (مز ٢ : ٥) « ولكنه رحيم للاسرائيليين فقط ، وسوف يرهب الأمم الأخرى » فالأمم مثل النفاية أو القش الذى سيحرقه ، أو مثل التبن الذى تبعثره الرياح • « ان تاب انسان فان الله يقبله الا أن هذا ينطبق على الاسرائيليين فقط وليس على غيرهم من الأمم » • « أحبوا الجميع ولكن كرهوا الهراطقة» • ولقد أثرت هذه النظرة الضيقة على الحياة اليومية • فاليهودى المتمسك بيهوديته كان ممنوعا عن التعامل مع الأممى • فهو لايسافر معه ولايقدم له شيئا كما لا يقبل منه أى شىء • ولذلك فلقد ظهرت هذه المشكلة بكيفية حادة فى انطاكية • فهل كان يمكن فى مواجهة كل هذا أن يجلس اليهود والأمم معا فى أكلة عامة ؟ لو طبق الناموس والعادات القديمة،فان مثل هذا الأمر يكون ضربا من المستحيل• وجاء بطرس الى أنطاكية وأنسته أمجاد الايمان الجديد ممنوعات الماضى،واشترك فى الأكلة العامة مع اليهود والأمم سواء بسواء، ثم جاء جماعة من الفرقة اليهودية من أورشليم واستخدموا اسم يعقوب ، ولكنهم بالتأكيدلم يمثلوا أراءه ،وأثروا على بطرس لدرجة أن امتنع عن الأكلة العامة ، وتبعه اليهود الآخرون حتى أن برنابا أيضا امتنع معهم • وهنا تكلم بولس بكل القوة التى انطوت عليها طبيعته • ورأى بولس بوضوح عدة أمور :

١ ــ لايمكن للكنيسة المسيحية أن تستمر ككنيسة مسيحية ان كانت

فيها خلافات طبقية فالاختلافات التى يظهر الناس بها أمام أعين البشر لا ذكر لها فى حضرة الله فالانسان فى حضرة الله ليس يهوديا ولا أممياً، نبيلا أم حقيراً ، غنياً أم فقيراً ولكنه خاطىء مات المسيح لأجله، وان كان للبشر أن يشتركوا فى بنوة واحدة فانهم أخوة وعلاقتهم الجديدة تهدم كل الحواجز الأرضية لأنهم أبناء الآب الواحد ، الله •

٢ ــ وأحس بولس بأن الأمر يحتاج الى عمل حاسم ، ليوقف مسار ذلك التيار •فلم ينتظر بل هوى عليه بضربة قاضية ولم يبال بأن ذلك التيار قد ارتبط باسم بطرس •فانه كان تياراً خاطئاً وكان هذا هو كل ما اهتم به بولس • فالاسم المشهور لا يمكن أن يبرر عملا دنيئاً• ويقدم بولس الرسول مثالا حياً لرجل واحد قوى استطاع بثباته أن يوقف تياراً ابتعد عن جادة الصواب ، وذلك قبل أن يصبح التيار موجة جارفة •

نهاية الناموس

١٤ لَكِنْ لَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُمْ لاَ يَسْلُكُونَ بِاسْتِقَامَةٍ حَسَبَ
حَقِّ الإِنْجِيلِ قُلْتُ لِبُطْرُسَ قُدَّامَ الْجَمِيعِ إِنْ كُنْتَ وَأَنْتَ
يَهُودِيٌّ تَعِيشُ أُمَمِيًّا لاَ يَهُودِيًّا فَلِمَاذَا تُلْزِمُ الأُمَمَ أَنْ يَتَهَوَّدُوا .
١٥ نَحْنُ بِالطَّبِيعَةِ يَهُودٌ وَلَسْنَا مِنَ الأُمَمِ خُطَاةً ١٦ إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ
الإِنْسَانَ لاَ يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ بَلْ بِإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ
آمَنَّا نَحْنُ أَيْضاً بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَتَبَرَّرَ بِإِيمَانِ يَسُوعَ لاَ بِأَعْمَالِ
النَّامُوسِ . لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ لاَ يَتَبَرَّرُ جَسَدٌ مَا ١٧ فَإِنْ

كُنَّا وَنَحْنُ طَالِبُونَ أَنْ نَتَبَرَّرَ فِي الْمَسِيحِ نُوجَدُ نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضاً خُطَاةً أَفَالْمَسِيحُ خَادِمٌ لِلْخَطِيَّةِ . حَاشَا .

(غل ٢ . ١٤ــ ١٧)

هنا نصل فى النهاية الى جذور المشكلة . فلقد كان لزاما أن يتخذ قرارا ماكان يمكن تأجيله . فلقد كان قرار أورشليم فى الواقع حلا وسطا . وككل الحلول الوسط كان يحمل بين ثناياه بذار المشاكل . لقد كان قرار أورشليم يعنى أن اليهود يمكن لهم أن يستمروا فى الحياة كيهود ، فيمارسون الختان ويحفظون الناموس ، أما الأمم فكانوا أحرارا من ذلك وكان من الواضح أن الأمور لايمكن أن تسير على هذا المنوال ، لأن النتيجة الطبيعية لذلك كانت تعنى أن يكون هنالك نوعان من المسيحيين ، وطبقتان متميزتان فى الكنيسة وكانت حجة بولس كما يلى : قال لبطرس انك جلست الى المائدة مع الأمم . لقد أكلت وعشت مثلهم وبذلك فانك قبلت من جهة المبدأ أن هنالك طريقا واحدا لليهود وللأمم سواء بسواء . فكيف يمكنك الآن أن تتنكر لما استقر رأيك عليه ؟ لقد كنت مستعدا أن تعيش كالأمم ، ولكنك تحولت وتريد من الأمم أن يختتنوا وأن يحفظوا الناموس ويصبحوا يهودا .

لم يستطع بولس قبول كل هذا . ويجب علينا أن نتأكد من معنى كلمة محددة فعندما كان اليهودى يتحدث عن الأمم كخطاة لم يكن يفكر فى شيء أخلاقى على الاطلاق ، ولكنه كان يفكر فى حفظ الناموس . فعلى سبيل المثال يقدم الفصل الحادى عشر من سفر اللاويين شريعة الطعام اليهودى ويعدد ويوضح الحيوانات التى يمكن ، والتى لايمكن استخدامها طعاما . فمن أكل لحم الأرانب أو أكل لحم الخنزير كسر تلك

الوصايا وبذلك أصبح خاطئا بهذا المعنى • وبذلك يقول بطرس لبولس • « ولكننى ان أكلت مع الأمم وأكلت ما يأكلون ، أصبح خاطئا » • وكانت اجابة بولس مزدوجة فهو يقول أولا :«لقد اتفقنا منذ أمد بعيد على أن أية درجة من حفظ الناموس لايمكن أن تجعل موقف الانسان صحيحا أمام الله ، فهذا عمل النعمة • فالانسان لايمكن أن يكسب عطية محبــة الله السخية ولكنه انما يقبلها • وأن الثقة التامة فى محبة الله فى المسيح هى التى تضع الانسان فى علاقة صحيحة مع الله • ولذلك فكل الحديث عن الناموس غير ذى موضوع على أى حال » • ثم يستخدم بولس الرسول حجة ثانية تضع خصمه فى زاوية لا يستطيع الفــرار منها فيقــول له : «أنت تقول إن اهمال الناموس والفرائض والوصايا يجعلك خاطئا •الا أن هذا هو عين ما أمرك به المسيح • انــه لم يقل لك انك تحصل على الخلاص بأن تأكل من هذا الحيوان وأن لا تأكل من ذلك ولكنه قال لك أن تلقى بنفسك تماما وبلا تحفظات على نعمة الله • فهل ستقول اذن ان يسوع المسيح قد علمك أن تكون خاطئا ؟ وكان واضحا أن هنالك اجابة واحدة لهــذا الأمر وكانت تلك الاجــابة تعلن أن الناموس القــــديم قد انتهى •

كان يجب أن تأتى هذه الحقيقة ، فليس من الصواب أن يأتى الأمم الى الله عن طريق النعمة بينما يأتى اليهود الى الله عن طريق الناموس • لقد كانت هنالك حقيقة واحدة بالنسبة لبولس الرســول ، وتلك الحقيقة هى النعمة وأنه يجب أن يأتى جميع البشر الى الله عن طريق الخضوع الكامل لتلك النعمة •

تتعرض الحياة المسيحية لتجربتين عظيمتين ، ويمكننا أن نقول ، من زاوية معينة ، ان الشخص الأفضل يتعرض لهما أكثر من غيره • فالتجربة

الأولى هى محاولة كسب رضى الله • ولكن الانســان لا أن يعطى الله شيئا ، وانما يأخذ دائما • أما التجربة الثانية فهى تجــربة ذلك الذى استطاع أن ينجز شيئــا ، واذا به يقارن بين نفسه والآخرين ، ليبرز نفســه على حسابهم • والمسيحية التى يتبقى فيها جــزء من الذات ، يدفعها لأن تظن أنها بمجهودها تستطيع أن تكتسب رضى الله ، وأنهــا بانجازاتها يمكن أن تبرز نفسها وكأنها أعلى من مستوى ســائر البشر ، ليست مسيحية حقيقية على الاطلاق •

الحياة المصلوبة والمقامة

١٨ فَإِنِّي إِنْ كُنْتُ أَبْنِي أَيْضاً هٰذَا الَّذِي قَدْ هَدَمْتُهُ فَإِنِّي
أُظْهِرُ نَفْسِي مُتَعَدِّياً • ١٩ لِأَنِّي مُتُّ بِالنَّامُوسِ لِلنَّامُوسِ لِأَحْيَا
لِلّٰهِ • ٢٠ مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ فَأَحْيَا لاَ أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا
فِيَّ • فَمَا أَحْيَاهُ الْآنَ فِي الْجَسَدِ فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الْإِيمَانِ إِيمَانِ
ابْنِ اللهِ الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِي • ٢١ لَسْتُ أُبْطِلُ
نِعْمَةَ اللهِ • لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِالنَّامُوسِ بِرٌّ فَالْمَسِيحُ إِذًا مَاتَ
بِلاَ سَبَبٍ •

(غل ٢ : ١٨ — ٢١)

يتحدث بولس هنا من عمق اختبــاره الشخصى • وقــد اعتبر أن اعادة بناء الناموس بكل تفصيلاته ، بالنسبة للمسيحى ، انما هو انتحار روحى فهو يقول انه بالناموس مات عن الناموس ليحيا لله • وما يعنيه هو أنه قد جرب طريق الناموس ، فحاول بكل قلبه أن يكتسب رضى الله

وأن يضع نفسه في علاقة صحيحة مـــع الله عن طـــريق الطاعة الكاملة للناموس ،واكتشف أن هذه المحاولة قد خلفت من ورائها احساسا أعمق وأعمق بالفشل ، واحساسا أعمق وأعمق بأنه مهما فعل فلن يضعه ذلك فى علاقة صحيحة مع الله • فكل مافعله الناموس هـــو أن كشف له عن عجزه التام • وعندئذ هجر طريق الناموس فجأة وألقى بنفســـه تماما ، خاطئا كما كان ، على رحمـــة الله • فلقد دفعه الناموس الى الله ولذلك فالعودة للناموس تعنى ببساطة أن يجد نفسه وقد عاد الى ذلك الاحساس المميت بوجود فجوة بينه وبين الله • ولقد كان ذلك التغيير عظيما جدا لدرجة أنه لم يستطع أن يصفه الا بأنه قد صلب مع المسيح وأن الانسان الذى كان هو اياه قد مات وقوة الحياة التى تدب فيه ليست سوى المسيح نفسه ، فلـــو كنت استطيع أن أضـــع نفسى فى علاقة صحيحة مـــع الله بالطاعة التامة للناموس فما لزوم النعمة ياترى ؟ وان كنت أستطيع أن أكسب خلاص نفسى بنفسى فلماذا مات المسيح ؟•

لقد كان بولس على يقين من أمر واحد ، وذلك أن المسيح يسوع قد عمل له ما لم يكن ممكنا له أن يفعله لنفسه • لقد كان « مارتن لوثر » هو الرجـــل الذى كرر اختبار بولس الرســـول • فلقـــد كان « لوثر » نموذجا للخضوع وممارسة أعمال التوبـــة ، وانكار الذات ، وتعـــذيب النفس • ولذلك فهو يقول «لوكان يمكنللرهبنة أن تخلص انسانا فانني كنت ذلك الانسان » لقد ذهب الى روما وكان صعود « السلم المقدس » ساجدا على ركبتيه ويديه يعتبر من الأعمال التى تستحق ثوابا عظيما • وبذل مجهودا شاقاوهو يصعد تلك السلم محاولا أن يحصلعلى شىء من الثواب وجاءه فجأة صوت من السماء يقول : « البـــار بالايمان يحيـــا » فلا يمكن أن نحصل على حياة السلام مع الله عن طريق مجهود لاينتهى

ولا ينتصر وليس من تحته طائل • ولذلك فالطريق الوحيد انما هو بأن نلقى بأنفسنا تماما على محبة الله ورحمته كما أعلنها المسيح يسوع للبشر • فالسلام يأتى عندما يتخلى الانسان عن الصراع الذى تصور له كبرياؤه بأنه سينتصر فيه ، واذا به لاشك ينهزم • وعندما يلقى بنفسه على محبة الله الغافرة فلابد أن يأتى ذلك السلام •

وعندما وثق بولس فى كلمة الله تحول ظلام ليل فشل الناموس الى نور أشعة شمس النعمة •

الأَصْحَاحُ الثَّالِثُ

عطية النعمة

١ أَيُّهَا الْغَلاَطِيُّونَ الأَغْبِيَاءُ مَنْ رَقَاكُمْ حَتَّى لاَ تُذْعِنُوا
لِلْحَقِّ أَنْتُمُ الَّذِينَ أَمَامَ عُيُونِكُمْ قَدْ رُسِمَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ
بَيْنَكُمْ مَصْلُوباً . ٢ أُرِيدُ أَنْ أَتَعَلَّمَ مِنْكُمْ هٰذَا فَقَطْ أَبِأَعْمَالِ
النَّامُوسِ أَخَذْتُمُ الرُّوحَ أَمْ بِخَبَرِ الإِيمَانِ . ٣ أَهٰكَذَا أَنْتُمْ
أَغْبِيَاءُ . أَبَعْدَمَا ابْتَدَأْتُمْ بِالرُّوحِ تُكَمَّلُونَ الآنَ بِالْجَسَدِ .
٤ أَهٰذَا الْمِقْدَارَ احْتَمَلْتُمْ عَبَثاً إِنْ كَانَ عَبَثاً . ٥ فَالَّذِي
يَمْنَحُكُمُ الرُّوحَ وَيَعْمَلُ قُوَّاتٍ فِيكُمْ أَبِأَعْمَالِ النَّامُوسِ أَمْ بِخَبَرِ
الإِيمَانِ . ٦ كَمَا آمَنَ إِبْرٰهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرّاً . ٧ اعْلَمُوا
إِذاً أَنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنَ الإِيمَانِ أُولٰئِكَ هُمْ بَنُو إِبْرٰهِيمَ .
٨ وَالْكِتَابُ إِذْ سَبَقَ فَرَأَى أَنَّ اللهَ بِالإِيمَانِ يُبَرِّرُ الأُمَمَ سَبَقَ
فَبَشَّرَ إِبْرٰهِيمَ أَنْ فِيكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ الأُمَمِ . ٩ إِذاً الَّذِينَ
هُمْ مِنَ الإِيمَانِ يَتَبَارَكُونَ مَعَ إِبْرٰهِيمَ الْمُؤْمِنِ .

(غل ٣ : ١ — ٩)

يقدم بولس الرسول هنا دليلا آخر على أن الثقةبالله وليستأعمال الناموس هى التى تضع الانسان فى علاقة صحيحة بالله • وقد تبل المتجددون حديثا فى الكنيسة الأولى الروح القدس بصورة منظورة واضحة • والفصول الأولى من سفر أعمال الرسل توضح هذه الفكرة مرارا وتكرارا (اقرأ أع ٨ : ١٤ — ١٧ ، ١٠ : ٤٤) فقد جاءهم نوع من الحياة وقوة كان يمكن لأى واحد أن يلحظها • وهذا ما اختبره الغلاطيون ويقول بولس ان ذلك حدث لا استجابة لأى شىء من جانبهم فانهم لم يطيعوا فرائض الناموس، لأنهم لم يكونوا قد سمعوا شيئا عن الناموس ولكنهم نالوا ذلك الاختبار لأنهم سمعوا الأخبار السارة عن محبة الله واستجابوا لها فى ثقة كاملة •

ان أسهل طريقة يمكن أن نستوعب بها فكرة ما،هى أن تلك الفكرة متجسدة فى انسان • ولذلك فكل كلمة عظيمة يجب أن تتجسد • ولذلك يوجه بولس الغلاطيين الى انسان تجسد فيه الايمان وهو ابراهيم ، ذلك الرجل الذى أعطاه الله ذلك الوعد العظيم بأن فى نسله تتبارك كل قبائل الأرض (تك ١٢ : ٣) فهو الانسان الذى اختاره الله بصفة خاصة كشخص قد سر به •ولكنلماذا سر الله بابرهيم ؟ لم يكنذلك عن طريق حفظ الناموس لأن الناموس لم يكن موجودا ، ولكنما كان ذلك بتصديق كلمة الله وبالثقة الكاملة ، وذلك بترك كل الأشياء الأرضية وتسليم نفسه تماما بخطوة من الايمان العظيم • ووعد البركة كان لنسل ابرهيم وهذا ما اعتمد عليه كل يهودى • وبذلك اعتبر انه لمجرد تسلسله الطبيعى من ابراهيم فهو على مستوى يختلف عن سائر البشر فى نظر الله • ويغير بولس كل هذه المفاهيم فيقول ان الانتساب لابراهيم لايتعلق بالتسلسل الجسدى الدموى ، ولكنما الانتساب الحقيقى

لابراهيم هو أن يمارس الانسان فى كل يوم وفى كل جيل نفس مجازفة الايمان التى قام بها ابراهيم • ولذلك فان من يرثون وعد ابراهيم ليسوا من يبحثون عن مكافأة حفظ الناموس ولكنما أولئك الذيـــن من كل أمة يؤمنون بالله كما آمن ابراهيم • ولقد بدأ الغلاطيون بالايمان ويقـــول بولس انهم يقينا ســـوف لايعودون الى الفرائض المختلفة فيفقـــدون ميراثهم •

والفقرة التى نتأملها مليئة بالكلمات اليونانية التى لها تاريخ حافل ، كلمات يحيط بها جو معين ومن ورائها قصص • ويتحدث بولس الرسول فى الآية الأولى عن « العين الشريرة » • وكان اليونانيون يفزعون من عواقب العين الشريرة ، ولذلك نجد الكثير من خطابات الأفراد فى ذلك العصر تنتهى بمثل هذه الكلمات : « وأهم شىء ، أصلى أن تكون فى تمام الصحة بعيدا عن أذى العين الشريرة ومتقدما وناجحا » (راجع كتاب مليجان ، مختارات من البردى اليونانى رقم ١٤) •

وفى نفس الآية يتحدث بولس عن المسيح وقد تصـــور أمامه على الصليب والكلمة اليونانية التى يستخدمها هى Prographein وتعبر عن فـــكرة الاعلانات والملصقات • وهى فى الواقـــع كلمة كانت تستخدم عن ذلك الاعلان الذى يعلقه الوالد فى ذلك العصر ليعبر عـــن كونه ليس مسئولا عن ديون ابنه، أو الاعلان عن مزاد من المزادات العلنية• وفى الآية الرابعة يتحـــدث بولس الرسول عن كونهـــم بدأوا اختبارهم بالروح وانتهوا بالجسد والكلمتان اللتان يستخدمهما بولس الرسول هما كلمتان تعبران عن البدء فى تقديم ذبيحة من الذبائح واكمال ذلك العمل• والكلمة الأولى enachesthai هى الكلمة التى تعبر عن رش حبـــات الشعير على الذبيحة ومن حولها وكانت تلك هى أول خطوة فى تقـــديم

الذبيحة • والكلمة الثانية epiteleisthai هى الكلمة التى تعبر عن اتمام كافة ممارسات أى ذبيحة • واذ يستخدم بولس الرسول هاتين الكلمتين يوضح لنا أنه يعتبر الحياة المسيحية بجملتها ذبيحة نقدمها لله • ويتحدث فى الآية الخامسة عن سخاء الله فى عطائه للغلاطيين والكلمة « يمنحكم » هى الكلمة اليونانية •

ففى أيام اليونان القديمة كان الممثلون اليونانيون العظماء أمثال ايروبيديس وسوفوكل يقدمون تمثيلياتهم فى الاعياد والمناسبات الهامة وكانت التمثيليات اليونانية تشمل فرقا للغناء ، وكان تدريب فرق الغناء أمرا مكلفا • الا أن محبى الشعب من اليونانيين كانوا يدفعون نفقات هذه الفرق • وبعد هذه الحقبة كان اليونانيون الوطنيون يتبرعون للدولة بسخاء فى أوقات الحرب • كل هذا يوصف بهذه الكلمة choregia وفى اللغة اليونانية التى تلت ذلك مما نجده فى ورق البردى ، استخدمت هذه الكلمة فى عقود الزواج لتعبر عما يقدمه الزوج لاعالة زوجته تعبيرا عن حبه لها • واذ يستخدم بولس الرسول هـذه الكلمة فهـو ينبر على سخاء الله ذلك السخاء الذى يتولد من الحب الذى لايعتبر حب المواطن لمدينته أو الزوج لزوجته سوى القبس الضئيل منه •

لعنة الناموس

١٠ لِأَنَّ جَمِيعَ ٱلَّذِينَ هُمْ مِنْ أَعْمَالِ ٱلنَّامُوسِ هُمْ تَحْتَ لَعْنَةٍ
لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لَا يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ
مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ ٱلنَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ • ١١ وَلَكِنْ أَنْ
لَيْسَ أَحَدٌ يَتَبَرَّرُ بِٱلنَّامُوسِ عِنْدَ ٱللهِ فَظَاهِرٌ لِأَنَّ ٱلْبَارَّ بِٱلْإِيمَانِ
يَحْيَا • ١٢ وَلَكِنَّ ٱلنَّامُوسَ لَيْسَ مِنَ ٱلْإِيمَانِ بَلِ ٱلْإِنْسَانُ

ٱلَّذِي يَفْعَلُهَا سَيَحْيَا بِهَا. ١٣ اَلْمَسِيحُ ٱفْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ ٱلنَّامُوسِ إِذْ صَارَ لَعْنَةً لِأَجْلِنَا لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ. ١٤ لِتَصِيرَ بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ لِلْأُمَمِ فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ لِنَنَالَ بِٱلْإِيمَانِ مَوْعِدَ ٱلرُّوحِ.

(غل ٣ : ١٠ — ١٤)

ويحاول بولس مرة أخرى أيضا أن يدفع خصومه الى ركن لايستطيعون منه الفرار . فيقول « لنفرض أنكم قد أخذتم أن تسلكوا سبيل ارضاء الله عن طريق قبول الناموس واطاعته . ولنفترض أنكم تحاولون الوصول الى العلاقة السليمة مع الله عن طريق هذا السبيل فماذا تكون النتيجة الحتمية يا ترى ؟ .

فالحقيقة الأولى ، هى أن من يفعل ذلك يقوم أو يسقط بناء على قراره الشخصى . فان اختار الناموس فانه يجب عليه أن يعيش بحسب الناموس . أما الحقيقة الثانية فهى أن تحقيق ذلك ضرب من المستحيل. فانهلم ينجح أحد ،وسوف لاينجح أحد ، فى اطاعة وارضاء الناموس .

أما الحقيقة الثالثة فهى أنه ان صح كل هذا ، فان من يسلك هذا السبيل ملعون ، لأن الكتاب يقول (تث ٢٧ : ٢٦) ان من لا يحفظ الناموس كله ملعون . ولذلك فان النتيجة المنطقية الحتمية لمحاولة الوصول الى علاقة سليمة مع الله عن طريق اعتبار الناموس مبدأ للحياة انما هى اللعنة . ولكن الكتاب يقول ان من كان على علاقة صحيحة مع الله عن طريق الايمان فهو يحيا حقا (حب ٢ : ٤) ولذلك فالطريق الأوحد لعلاقة صحيحة مع الله ، والطريق الوحيد للسلام ، هو طريق

الايمان والقبول والتسليم • الا أن مبدأ الناموس ومبدأ الايمان متعارضان • ولا يمكن أن نوجه حياتنا بكليهما فى وقت واحد ، فيجب أن نختار أحدهما • ولذلك فالاختيار المنطقي الوحيد هو أن نهجر طريق الشرائع ونجازف فى طريق الايمان ، بأن نصدق ما قاله الله ونثق فى حبه •

وكيف نعرف أن الأمر كله بهذه الصورة ؟ ان الضامن النهائى لصدقه هو يسوع المسيح ولقد مات على الصليب ، ليقدم لنا هذه الحقيقة • ولكن الكتاب يقول « ملعون كل من علق على خشبة » (تث ۲۱ : ۲۳) — ولذلك فلكى يحررنا من لعنة الناموس كان لابد أن يصير المسيح بنفسه ملعونا — ولقد صار المسيح ملعونا ليخبرنا عن محبة الله •

ومما كان بولس مشغولا — وهو هنا مشغول فهنالك حقيقة بسيطةولكنها هامة جدا لاتغرب أبدا عنفكره وقلبه وهى تكلفة الانجيل• فلم يمكن له أن ينسى أبدا أن السلام ، والحرية و العلاقة الصحيحة مع الله تلك التى نمتلكها ، قد كلفت حياة وموت المسيح فكيف كان يتيسر للبشر أن يعرفوا ما يكنه قلب الله لو لم يمت المسيح لينبئهم بأن حب الله انما هو هكذا •

العهد الذى لا يمكن أن يتغير

١٥ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِحَسَبِ الإِنْسَانِ أَقُولُ لَيْسَ أَحَدٌ يُبْطِلُ
عَهْداً قَدْ تَمَكَّنَ وَلَوْ مِنْ إِنْسَانٍ أَوْ يَزِيدُ عَلَيْهِ • ١٦ وَأَمَّا
الْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي إِبْرٰهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ • لاَ يَقُولُ وَفِي الأَنْسَالِ

كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ وَفِي نَسْلِكَ الَّذِي
هُوَ الْمَسِيحُ • ١٧ وَإِنَّمَا أَقُولُ هٰذَا إِنَّ النَّامُوسَ الَّذِي صَارَ بَعْدَ
أَرْبَعِمِئَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً لاَ يَنْسَخُ عَهْدًا قَدْ سَبَقَ فَتَمَكَّنَ مِنَ اللهِ
نَحْوَ الْمَسِيحِ حَتَّى يُبَطِّلَ الْمَوْعِدَ • ١٨ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَتِ
الْوِرَاثَةُ مِنَ النَّامُوسِ فَلَمْ تَكُنْ أَيْضاً مِنْ مَوْعِدٍ • وَلٰكِنَّ اللهَ
وَهَبَهَا لِإِبْرٰهِيمَ بِمَوْعِدٍ •

(غل ٣ : ١٥ — ١٨)

عندما نقرأ فقرة كهذه والتى تليها فيجب أن نذكر أن بولس قد تربى فى سلك الربيين وكان حاذقا فى أسلوبهم المدرسى • وقد استخدم أسلوبهم الجدلى وهو الأسلوب الذى كان معروفا وكان مقنعا لكل يهودى مهما صعب علينا نحن أن نتابعه أو أن نتفهمه اليوم • وكان هدف بولس أن يثبت تفوق طريق النعمة على طريق الناموس ويبدأ بأن يوضح بأن طريق النعمة أقدم من طريق الناموس فاذ بدأ ابرهيم مجازفة الايمان كان الله قد منحه وعده العظيم وبذلك فيمكن القول بأن وعد الله كان نتيجة الايمان فأساس العهد بين الله وابراهيم كان الايمان • ولم يأت الناموس حتى عهد موسى وذلك بعد ٤٣٠ سنة • ومن هنا يجادل بولس فيقول انه متى تم عهد أو اتفاق أو وصية فلا يمكن أن يتغير ولا يمكنك أن تضيف اليه شروطا جديدة ، بل يجب أن يبقى دون تغيير وبذلك فلا يمكن للناموس الذى جاء متأخرا أن يغير من طريق الايمان • فالايمان هو الذى أوجد ابراهيم فى علاقة صحيحة مع الله ، ولا يمكن للناموس أن يغير ذلك ولا زال الايمان هو الطريق الأوحد للعلاقة الصحيحة مع الله •

وكان الزبيون مغرمين بأستخدام الجـدل الذى يعتمد على معنى كلمة واحدة واستخدامها وتفسـيرها • فكانوا يبنـون بعض التعاليم اللاهوتية على أساس كلمة واحدة • وهنا يأخذ بولس الرسـول كلمـة واحدة من قصة ابرهيم ويؤسس نقاشه عليها • فيعود الى وعـد الله القديم لابراهيم كمـا نجـده فى تكوين ١٧ : ٧ و ٨ حيـث يقـول : «وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك » ويقول أيضا « وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك » • والنقطة التى يركز عليها بولس هى أن كلمة «نسل» انما هى فى صيغة المفرد لا فى صيغة الجمـع وعلى ذلك فعهد الله لا يشير الى جمهور من الناس ولـكن الى فرد بعينه • ويقول بولس ان للشخص الذى يتحقق فيه العهد هو يسوع المسـيح وبذلك فطريق السلام والعلاقة الصحيحة مع الله هو طريق الايمـان الذى سلكه ابرهيم وهو الطريق الذى جاءه به وعد الله •ويجب علينا أن نسلك نفس هذا السبيل بأن ننظر الى يسـوع المسـيح بايمان كامل • ويعود بولس الرسول لنفس النقطة مرارا وتكرارا • فمشكلة الانسان الأساسية هى أن يجد العلاقة الصحيحة مع الله•فطالما كنا نتوجس خوفا من الله ، طالما كان الله غريبا عنا فلا يمكن أن يكون هنالك سلام فى الحياة فكيف يمكننا أن نحصل على هذه العلاقة الصحيحة ؟ هل يمكننا أن نحصل عليها على أساس الطاعة المدققة للناموس مهما تحملت نفوسنا فى سبيل ذلك ؟ أم بممارسة الكثير من الأعمال أم بمراعاة كل تفصيلات الناموس بدقة ؟ ان سلكنا هذا السبيل فسـوف لانحوز الرضى أبـد الدهر ، لأن العجز البشرى لن يمكن أن يفى بمستلزمات الكمال الالهى ، وستلاحقنا خيبة الأمل وكأننا نداوم صعـود جبـل دون أن تلوح قمته فى الأفق، فنستمر تحت الدينونة • أما متى هجرنا هـذا الصراع الفاشـل وأتينا بأنفسنا وخطايانا الى الله فستفتح نعمة الله أحضانها لنا فننال السلام

مع الله اذ يصبح أبانا بعد أن كان القاضى الذى يحكم علينا • والنقطة التى يركز عليها بولس الرسول هى أن هذا بعينه هو ماحدث مع ابراهيم ومهما حدث بعد ذلك فلن يتغير العهد الذى تم وتثبت •

فى أسر الخطية

١٩ فَلِمَاذَا النَّامُوسُ • قَدْ زِيدَ بِسَبَبِ التَّعَدِّيَاتِ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ
النَّسْلُ الَّذِي قَدْ وُعِدَ لَهُ مُرَتَّباً بِمَلائِكَةٍ فِي يَدِ وَسِيطٍ • ٢٠ وَأَمَّا
الْوَسِيطُ فَلَا يَكُونُ لِوَاحِدٍ • وَلَكِنَّ اللهَ وَاحِدٌ • ٢١ فَهَلِ
النَّامُوسُ ضِدُّ مَوَاعِيدِ اللهِ • حَاشَا • لِأَنَّهُ لَوْ أُعْطِيَ نَامُوسٌ قَادِرٌ
أَنْ يُحْيِيَ لَكَانَ بِالْحَقِيقَةِ الْبِرُّ بِالنَّامُوسِ • ٢٢ لَكِنَّ الْكِتَابَ
أَغْلَقَ عَلَى الْكُلِّ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ لِيُعْطَى الْمَوْعِدُ مِنْ إِيمَانِ يَسُوعَ
الْمَسِيحِ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ •

(غل ٣ : ١٩ — ٢٢)

هذه احدى أصعب الفقرات التى كتبها بولس الرسول • ولشدة صعوبتها فقد بلغت تفسيراتها حوالى ثلاثمائة تفسيراً • ولنبدأ بأن نذكر أنفسنا بأن بولس لازال يحاول أن يقدم الدليل على سمو طريق النعمة والايمان على طريق الناموس • وهنا يذكر ثلاثة أمور بشأن الناموس :

١ — لماذا جاء الناموس ؟ لقد جاء بسبب التعديات • وهو يقصد بذلك أن يقدم أحد أفكاره المحببة وهو أنه حيث لايوجد ناموس فلايوجد خطية فانك لاتستطيع أن تكسر قانونا غير موجود • فقبل أن نعتبر انسانا خاطئا ، فانه يجب أن يعرف الناموس •

فلا يمكن أن ندينه لأجل خطأ لم يعلم أنه خطأ وبذلك فوظيفة الناموس هى أن يقدم تعريفا للخطية • الا أنه بينما يستطيع الناموس أن يقدم تعريفا للخطية لكنه لايستطيع أن يقدم شيئا للعلاج • وهنا نجد قوة الناموس وضعفه فى آن واحد • فقوة الناموس تظهر فى تعريفه للخطية ، الا أن ضعفه يتضح فى عجزه عن علاج الخطية • فهو مثل الطبيب المتخصص فى تشخيص المرض ، ولكنه يعجز عن أن يزيل الألم الذى شخصه •

٢ ــ ان الناموس لم يعط مباشرة من الله • ففى القصة القديمة المذكورة فى الفصل العشرين من سفر الخروج نجد أن الناموس قد أعطى مباشرة لموسى • الا أنه فى أيام بولس الرسول كان الربيون ينبرون كثيرا على قداسة الله وعلى بعده والمسافة الكبيرة التى تفصل بينه وبين البشر لدرجة انهم اعتبروا تعامل الله المباشر مع البشر ضربا من المستحيل لذلك أدخلو فكرة أن الناموس أعطى أولا للملائكة ثم من الملائكة الى موسى (قارن أ ع ٧ : ٥٣ ، عب ٢ : ٢) وهنا يستخدم بولس أفكار الربيين المعاصرين وبذلك فالناموس بعيد عن الله بعدا مزدوجا • فقد أعطى أولا للملائكة ثم الى وسيط ، والوسيط هو موسى • واذ نقارن بين هذا وبين الوعد الذى اعطاه الله بكيفية مباشرة تماما ، نجد أن الناموس شىء غير مباشر أتى عن طريق وسطاء •

٣ ــ ونصل الآن الى تلك العبارة الفائقة الصعوبة « وأما الوسيط فلا يكون لواحد ، ولكن الله واحد» فما هو فكر بولس هنا؟ان أى اتفاق يتأسس على الناموس يشمل دائما شخصين فهنالك المعطى وهنالك الشخص الذى يقبل الاتفاق يعتمد على تصرف شخصين • فلو أخل الشخص

الذى يقبل العهد بشروط الاتفاق ينتهى كل شىء • فــكل اتفاق قانونى يعتمد على مدى حفظ الطرفين لشروط الاتفاق • وهذا هو الموقف الذى يجد فيــه ، من يضعون ثقتهم فى الناموس ، وأنفســهم • فلو كسروا الناموس ينتهى كل الاتفاق•أما الوعد فهو يعتمد علىشخص واحدفالوعد يقدمه شخص واحد ومهما فعل غيره فــلا يمكن أن يتغير ذلك الوعد أو يتبدل • فطريق النعمة يعتمد تماما على طريق الله فالوعد وعده • والنعمة نعمتــه ، والمحبــة محبته • ولا تغير أفعال الانسان شيئا من ذلك ، فقد يخطىء ، وقد يضــل ولكن محبة الله ونعمته تثبت دون تغيير • فرأى بولس أن ضعف الناموس يكمن فى اعتماده على شخصين فهو لايعتمــد على معطى الشريعة فقط ولكنه يعتمد ايضا على حفاظ الانسان عليها ونحن نعلم انه قد حطمها • أما النعمة فهى من الله ، ولا يستطيع الانسان أن يمنعها مهما فعل • وواضح ، بما لا يترك مجالا لأى جدل أنه خــير للانسان أن يعتمد على نعمة الله غير المتغيرة من أن يعتمد على المجهودات البشرية المحكوم عليها بالفشل •

٤ ــ فهل هذا يعنى أن الناموس والنعمة ضدان ؟ والمنطق يوجب على بولس أن يقول «نعم» الا أنه يقول «لا» فيقول ان الكتــاب أغلق على الكل تحت الخطية وهو يفكر هنا فى تث ٢٧ : ٢٦ حيث نجد الكلمات ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس وواضح أن هذا يشمل الجميع لأنه لم يمكن ، ولن يمكن لأحد ، أن يحفظ الناموس تماما •

فما هى نتيجة الناموس اذن ؟ ان نتيجة الناموس بكل بساطة هى أن يدفع كلواحدلأن يطلب النعمة لأن الناموس قد أثبت عجز الانسان• وهذه علىالفكرةالتى يستكمل بولس الرسول ايضاحهافىالأصحاح التالى، فهو يقدمها ويشير اليها اشارة مجردة هنــا • فقيمة الناموس العظمى

ومكانته السامية هى أن يدفع الانسان الى النعمة عندما يكتشف عجزه الكامل أمام الناموس•فليحاول الانسان اذن أن يصل الى علاقة صحيحة مع الله عن طريق الناموس وسيجد أنه لايستطيع ، وعندئذ سيكتشف أن كل ما يستطيعه هو أن يقبل النعمة العجيبة التى جاء يسوع المسيح ليحدث البشر عنها •

مجيء الإيمان

٢٣ وَلٰكِنْ قَبْلَمَا جَاءَ ٱلْإِيمَانُ كُنَّا مَحْرُوسِينَ تَحْتَ ٱلنَّامُوسِ
مُغْلَقاً عَلَيْنَا إِلَى ٱلْإِيمَانِ ٱلْعَتِيدِ أَنْ يُعْلَنَ • ٢٤ إِذاً قَدْ كَانَ
ٱلنَّامُوسُ مُؤَدِّبَنَا إِلَى ٱلْمَسِيحِ لِكَيْ نَتَبَرَّرَ بِٱلْإِيمَانِ • ٢٥ وَلٰكِنْ
بَعْدَ مَا جَاءَ ٱلْإِيمَانُ لَسْنَا بَعْدُ تَحْتَ مُؤَدِّبٍ . ٢٦ لِأَنَّكُمْ جَمِيعاً
أَبْنَاءُ ٱللهِ بِٱلْإِيمَانِ بِٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ . ٢٧ لأَنَّ كُلَّكُمُ ٱلَّذِينَ
ٱعْتَمَدْتُمْ بِٱلْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ ٱلْمَسِيحَ . ٢٨ لَيْسَ يَهُودِيٌّ
وَلَا يُونَانِيٌّ لَيْسَ عَبْدٌ وَلَا حُرٌّ . لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى لِأَنَّكُمْ
جَمِيعاً وَاحِدٌ فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ . ٢٩ فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ فَأَنْتُمْ
إِذاً نَسْلُ إِبْرٰهِيمَ وَحَسَبَ ٱلْمَوْعِدِ وَرَثَةٌ .

(غل ٣ : ٢٣ ـــ ٢٩)

لازال بولس الرسول يفكر فى هذه الفقرة فى الدور الأساسى الذى لعبه الناموس فى خطة الله وتدبيره • وقد كان فى العالم اليونانى خادم ممن يعملون بالبيوت يطلق عليه اسم Paidagogos لم يكن معلما ،

ولكنه كان عادة عبدا كبير السن موثوقا به ، وقد خدم الأسرة لمدة طويلة وله شخصية محترمة • وكان يسند اليه الاشراف الاخلاقى على الطفل وكان من واجبه أن يتأكد أن الطفل لايتعرض للتجارب أو الأخطار وأن يكتسب الصفات الأساسية للرجولة الحقيقية•فلم يكن له واجب محدد• وكان عليه أن يأخذ الطفل يوميا من المنزل الى المدرسة ثم من المدرسة الى المنزل • فلم يكن له دور فى تعليم الطفل ولكنه كان يجب عليه أن يأخذ الطفل سالما للمدرسة ويسلمه للمعلم • وقال بولس ان هذا يشبه الوظيفة التى يقوم بها الناموس ،فالناموس موجود ليقود الانسان الى المسيح •انه لايستطيع أن يأتى به الى محضر المسيح ولكنه انما يصلبه الى الموقع الذى يستطيع أن يدخل منه اليه • ولقد كانت وظيفة الناموس أن يأتى بالانسان الى المسيح ، وذلك بأن يكشف له أنه لو ترك لنفسه فانه يعجز تماما عن ان يحفظ الناموس • وهذا احساس بالفشل والعجز يقود الانسان الى المسيح • الا أنه حالما يقبل الانسان الى المسيح يصبح فى غير حاجة الى الناموس فهو لا يعتمد الآن على الناموس بل على النعمة •

ويقول بولس « لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» وهنا نجد صورتين واضحتين فلقد كانت المعمودية احدى الطقوس والعادات اليهودية فلو أراد شخص أن يقبل الايمان اليهودى كان عليه أن يعمل أشياء ثلاثة • فكان يجب أن يختتن وأن يقدم ذبيحة وأن يتعمد • فالغسلات الطقسية التى تغسل الأدران كانت شيئا عاديا فى الممارسات اليهودية(قارن لاويين ١١ الى١٥)وتفصيلات المعمودية اليهودية كانت كما يلى : كان الشخص الذى يعتمد يحلق شعره ويقص أظافره وكان يتجرد تماما من ملابسه وكان يجب أن يحتوى حوض المعمودية

على ٤٠ سحا أى برميلين من الماء ويجب أن يتلامس الماء مع كل اعضاء جسم الانسان • وكان يجب أن يعترف بايمانه أمام ثلاثة رجـال كان يطلق عليهم اسم آباء المعمودية • وبينما الشخص بعد فى الماء كانت تتلى عليه أجزاء من الناموس ، كما كانت تقدم له كلمات التشجيع وينطقون بالبركات عليه وحالما صعد من الماء أصبح عضوا فى الايمان اليهودى • فعن طريق المعمودية دخل الى الايمان اليهودى ، وقد تعمد فى الايمان اليهودى • وبالمعمودية المسيحية يدخل الانسان « فى المسيح » • وكان المسيحيون الأوائل ينظرون الى المعمودية كشىء ينشىءحقاوفعلا اتحاداً حقيقا مع المسيح •ويجب أن نلاحظ بالطبع أنه فى جو عمل الكنيسـة المرسلى حيث كان الناس يقبلون من الوثنية مباشرة الى المسيحية كانت المعمودية ، الى درجة كبيرة معمودية بالغين ، والبالغ يمر بالضرورة فى اختبار لايمكن للطفل أن يحصل عليه•وكما كان المتهود يتحد فعلا ويقبل فعلا فى الايمان اليهودى ، كذلك كان من يصبح مسيحيا يتحد بالمسيح ويدخل ليكون فى المسيح ــ (قارن رو ٦ : ٣ وما يليه ، كو ٢ : ١٢) فلم تكن المعمودية مجرد رسم وطقس خارجى ولكنها كانت اتحاد حقيقيـا بالمسيح • ويضيف بولس الرسول قائلا انهم قد لبسوا المسيح • وقـد نجد هنا اشارة الى عادة نعلم أنها كانت موجودة فيما بعد • فطالـب المعمودية كان يلبس ثيابا بيضاء رمزا للحياة الجديدة التى دخل فيها • فكما يلبس المبتدىء ثيابه البيضاء ، كان يلبس المسيح • فحياته كانت مكسوة بالمسيح ويترتب على كل هذا أنه لايوجد فارق بين الأعضـاء فى الكنيسة ، فلقد أصبح الجميع أبناء الله ، فيقول الرسول فى عدد ٢٨ أن الفوارق بين اليهودى واليونانى ، العبد والحر ، الذكر والانثى أزيلت• وهنا نجد شيئا طريفا للغاية ، ففى الصلاة الصباحية اليهودية التى لابد أن يكون بولس الرسول قد استخدمها فى حياته قبـل المسيحية ، هنالك

عبارات شكر قدمها اليهودى لله « لأنك لم تجعلنى أمميا ، أو عبدا ، أو أمرأة» ويأخذ بولس هذه الصلاة ويقلبها رأسا على عقب • فالتفرقة القديمة قد انتهت وبدل التفرقة هنالك اتحاد ، وبدل العزلة هنالك شركة فالكل واحد فى المسيح •

لقد رأينا من قبل فى عدد ١٦ أن بولس يفسر المواعيد لابرهيم بأنها تبلغ تحقيقها بصفة خاصة فى المسيح ، وان كنا متحدين مع المسيح فنحن نرث المواعيد — وقد بلغنا هذا الامتياز العظيم لا باتمام الناموس بكيفية دقيقة ، ولكن بالايمان والثقة فى نعمة الله الغنية المجانية •

فهنالك شىء واحد يمكن أن يمحوا التفرقة والتمييز والعزلة الحادة بين انسان وانسان • فعندما يكون الجميع مدينين لنعمة الله وعندما يكون الجميع فى المسيح ، فعندئذ ، وعندئذ فقط ، يصبح الجميع واحدا • فمحبة الله لاقوة الانسان هى التى تستطيع وحدها أن توحد العالم المنقسم •

الأَصْحَاحُ الرَّابِعُ

أيام الصبا

١ وَإِنَّمَا أَقُولُ مَا دَامَ ٱلْوَارِثُ قَاصِرًا لا يَفْرِقُ شَيْئاً عَنِ
ٱلْعَبْدِ مَعَ كَوْنِهِ صَاحِبَ ٱلْجَمِيعِ . ٢ بَلْ هُوَ تَحْتَ أَوْصِيَاءَ
وَوُكَلاءَ إِلَى ٱلْوَقْتِ ٱلْمُؤَجَّلِ مِنْ أَبِيهِ . ٣ هٰكَذَا نَحْنُ أَيْضاً
لَمَّا كُنَّا قَاصِرِينَ كُنَّا مُسْتَعْبَدِينَ تَحْتَ أَرْكَانِ ٱلْعَالَمِ .
٤ ولٰكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ ٱلزَّمَانِ أَرْسَلَ ٱللهُ ٱبْنَهُ مَوْلُوداً مِنِ ٱمْرَأَةٍ
مَوْلُوداً تَحْتَ ٱلنَّامُوسِ . ٥ لِيَفْتَدِيَ ٱلَّذِينَ تَحْتَ ٱلنَّامُوسِ لِنَنَالَ
ٱلتَّبَنِّيَ . ٦ ثُمَّ بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ أَرْسَلَ ٱللهُ رُوحَ ٱبْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ
صَارِخاً يَا أَبَا ٱلآبُ . ٧ إِذاً لَسْتَ بَعْدُ عَبْداً بَلِ ٱبْناً وَإِنْ كُنْتَ
ٱبْناً فَوَارِثٌ لِلّٰهِ بِٱلْمَسِيحِ .

(غل ٤ : ١ — ٧)

كانت مراحل النمو فى العالم القديم أكثر تحديدا مما هى عليه اليوم :

١ ــ ففى العالم اليهودى متى تجاوز الغلام عيد ميلاده الثانى عشر كان الأب يأخذ ابنه فى أول سبت يلى ذلك الى المجمع حيث يصبح ابنا للناموس A son of the Law • وكان الوالد ينطق عندئذ بالبركة قائلا «مبارك أنت يا الله يامن أخذت عنى مسئولية هذا الغلام» ويصلى الولد صلاة يقول فيها «يالهى واله آبائى فى هذا اليوم الرهيب المقدس الذى يتحدد فيه انتقالى من مرحلة الصبا الى مرحلة الرجولة أرفع عينى باتضاع اليك وأعلن فى اخلاص وصدق أن أحفظ وصاياك من الآن فصاعدا وأقوم بمسئولية أفعالى من نحوك واتحملها» فكان هنالك خط فاصل واضح فى حياة الصبى فانتقاله للرجولة يكاد يكون مفاجئا •

٢ ــ وفى اليونان كان الغلام فى رعاية والده من سن السابعة حتى الثامنة عشرة حين يصبح ما كان يطلق عليه أفيبوس أو ماشبه الطالب بالكلية الحربية وكان يبقى لمدة عامين فى رعاية الدولة • وكان الاثينيون منقسمين الى عشرة من المجموعات الأخوية أو العشائر وقبل أن يصبح الغلام أفيبوس فى احتفال يطلق عليه اسم أباتوريا كانوا يقبلونه فى العشيرة ، وكانوا يقصون شعره الطويل فى ممارسة طقسية ويقدمونه للاله • وهنا نرى مرة أخرى كيف كان « البلوغ شيئا محددا » •

٣ ــ وفى القانون الرومانى لم يكن العام الذى يعتبر فيه الغلام قد بلغ سن النضوج محددا تماما ولكنه كان دائما بين الرابعة عشرة والسابعة عشرة • وفى احتفال عائلى مقدس يطلق عليه اسم ليبراليا كان الصبى يخلع الرداء الذى يطلق عليه اسم توجا بريتكستا وهو رداء يحيط به من أسفل طوق بنفسجى ضيق ، ويلبس رداء يطلق عليه اسم توجا فيريليس وهو رداء بسيط يلبسه البالغون ثم أن أصدقاءه وأقاربه كانوا يقودونه بعد ذلك الى الساحة العامة حيث يبدأ رسميا فى الاشتراك

فى الحياة العامة • وكان الحفل أساسا حفلا دينيا • الا أننا نلاحظ مرة أخرى أن الغلام كان يعتبر أنه قد وصــل سن البلوغ فى يــوم محدد بالذات • وكان من عادات الرومان أنه عندما يصل ولد أو فتاة سن البلوغ يقدم الولد الكرة التى كان يلعب بها وتقدم الفتاة العروسة التى كانت تلهو بها الى أبولو ليعبرا عن أنهما قد هجرا مايتعلق بالطفولة • وعندما كان الغلام طفلا فى نظر القانون ، فلربما كان يملك فى الواقــع ممتلكات واسعة ، ولكنه لايستطيع أن يتخذ أى قرار قانونى بشأنها • فلم تكن حياته تحت تصرفه الشخصى ، ولكنما يفعل الآخرون كل شىء يتعلق به • ولذلك فلم يكن من الناحية العلمية أكثر حرية من العبيد • ولكنه عندما يصبح رجلا يستطيع أن يتصرف فى ميراثه ويستمتع بحرية الرجال •

ولذلك يقول بولس الرســول انه عنــدما كان العالم غلاما ، كان الناموس متحكما فى كل شىء • الا أن الناموس لم يكن سوى معــرفة ابتدائية ويصف ذلك بالكلمة Stoicheia وقد كانت هذه الكلمة تعنى أولا صفا من الأشياء المتراصة فكانت تعنى مثلا صفــا من الجنـــود الا أن هذه الكلمة أصبحت تعنى الألف باء ، ثم بعــد ذلك أصبحت تعنى أى تعليم أو معلومات بدائية • ويجب أن نلاحظ أنها ربما تحمل معنــى آخر قد يلمحه البعض منا • فقد تعنى العناصر التى يتكون منها العالم والنجوم بصفة خاصة • ونلاحظ أن العالم القديم كانت تسيطر عليــه بعض عقائد التنجيم فلو ولد انسان فى وقت أحد النجوم ، فانهم كانوا يؤمنون بأن مصيره قد تحدد وتثبت • فقد كان الناس يعيشون تحــت سطوة النجوم ، وكانوا يتوقون الى سر الحرية • ويرى بعض علمــاء الكتاب المقدس أن بولس الرسول يقــول هنــا ان الغــلاطيين كانــوا يعيشون فى الخــوف والفــزع والعبــودية بسبب اعتقادهــم فى تأثير

[18]النجوم الشريرة المدمرة . الا أن القرينــة فى النص كله تــدفعنا لأن نفهم كلمة Stoicheia بمعنى الشيء البدائى أو المعلومات الأولية ولذلك فالرسول بولس يقــول انه عنــدما كان الغلاطيون وكل البشر فى الواقع مجرد أطفال عاجزين ، فقــد كانــوا تحت سطوة الناموس . الا أنــه بعــد ان استكمــل اعداد كل شيء جــاء المسيــح وحــرر الناس من عبودية الناموس . ولذلك فقد تحررت البشرية من هــذه العبودية ، لقد أصبح البشر أبناء ، وأصــبح ميراثهم تحت تصرفهم . ولذلك فصبا الناموس يجب ان يمضى لتحل محله حرية الرجولة .

ودليل أننا أبناء يأتى من صرخةالقلب الغريزية.ففى حاجةالانسان الماســة يرفع المرء عينه الى أعلى ويصرخ لله قائلا « أبى » ويستخدم بولس الرسول الكلمة المكررة « أبا الآب » وكلمة أبا هى الكلمة الأرامية التى تعنى الآب ويلوح أن الرب يسوع قد استخدم هــذه الكلمة كثيرا وكان وقعها على آذان البشر ذا قدسية خاصة حتى أن احتفظ بها الأولون فى لغتها الأصلية . ويعتقد بولس الرسول أن صرخة القلب الغريزية هذه انما هى من عمل الروح القدس وان كانت قلوبنا تصرخ هكذا فنحن نعلم اذن أننا أبناء وأن كل ميراث النعمة هو لنا . ويرى بولس أن الانسان الذى يسمح لحياته بأن تتحكم فيها عبودية الناموس فهو مجرد طفل أما من تعلم طريق النعمة فقد أصبح بالغا ، انــه انسان ناضج فى الايمان المسيحى .

التقدم المعكوس

٨ لٰكِنْ حِينَئِذٍ إِذْ كُنْتُمْ لاَ تَعْرِفُونَ ٱللهَ ٱسْتُعْبِدْتُمْ لِلَّذِينَ
لَيْسُوا بِالطَّبِيعَةِ آلِهَةً . ٩ وَأَمَّا ٱلآنَ إِذْ عَرَفْتُمُ ٱللهَ بَلْ بِالْحَرِيِّ

عرفتم من الله فكيف ترجعون أيضاً إلى الأركان الضعيفة
الفقيرة التي تريدون أن تستعبدوا لها من جديد. ١٠ أتحفظون
أياماً وشهوراً وأوقاتاً وسنين. ١١ أخاف عليكم أن أكون قد
تعبت فيكم عبثاً.

(غل ٤ : ٨ – ١١)

فى هذه الفقرة لازال بولس الرسول يؤسس فكره على الاعتقاد بأن الناموس هو مرحلة ابتدائية فى الديانة وأن الانسان الناضج هو الذى يؤسس حياته على النعمة • فلقد كان الناموس صالحا للأيام السابقة اذ لم يعرفوا ما هو أفضل ، الا أنهم الآن قد بلغوا معرفة الله ونعمته • وهنا يستدرك بولس الرسول فكره فيقول ان الانسان لايستطيع بمجهوده الخاص أن يعرف الله،ولكن الله فى نعمته يعلن ذاته للانسان • فنحن لانسعى نحو الله الا بعد أن يكون هو قد وجدنا • ولذلك يطلب بولس الرسول قائلا : هل تعودون الآن الى المستوى الذى يجب أن تكونوا قد تركتموه منذ أمد بعيد ؟ هل يكون تقدمكم معكوسا ؟

ويقول بولس الرسول ان الأشياء الأولية أى الديانة المبنية على الناموس ضعيفة وفقيرة •

١ – فهى ضعيفة لأنها عاجزة ، فهى تقدم تعريفا للخطية وتكشف للانسان خطيته وتؤنبه على الخطية ، الا أنها لاتستطيع أن تقدم له ، لاغفرانا لخطاياه السابقة ، ولا قوة ينتصر بها على خطايا المستقبل • فعجز الناموس الأساسى والذى هو جزء لايتجزأ منه هو أنه كان ولازال يستطيع أن يشخص المرض ولكنه لايستطيع أن يقدم الشفاء •

٢ — وهى فقيرة عنـــدما نقارنها بغنى النعمة المجيـــد • فالناموس بطبيعته يعالج حالة واحدة فقط ولكل موقف جـــديد يحتاج المـــرء الى ناموس جديد • الا أن مايدهش المرء وهو يتأمل النعمة هو أنها كما يطلق عليها الرسول Poikilos أى أنها ذات ألوان كثيرة متنوعة ، وهـــذا يعنى أنه لايوجد موقف من مواقف الحيـــاة مما لاتستطيع النعمـــة أن تعالجه بكفاءة فالناموس يتعثر من مشكلة الى مشكلة أما النعمة فهى كافية لكل شيء •

ومن خاصيات الناموس اليهودى حفـــظ أيام ومواسم معينة وفى هذه الفقرة الأيام هى السبوت الأسبوعية والشهور هى الهلال الجديد الذى كان يعتبر مناسبة خاصة والأوقات هى الأعيـــاد السنوية العظيمة مثل الفصح والخمسين وعيـــد المظال والسنين هى ســـبوت السنين كل سابع سنة وهى التى كانت تعتبر سنة خاصة • وخطأ الديانة التى تعتمد على أيام ومواسم خاصة هو أنها بالضرورة تقسم الأيام الى مقدسة وعامة، أيام مخصصة لله وأيام يعمل فيها المرء مايشاء • وأكثر من ذلك فالخطوة التالية التى لايمكن تجنبها ، هى أنه بعـــد أن يحافظ المـــرء على الأيام الخاصة بكل دقة فهو معرض لأن يعتقد أنه قد قام بكل واجبه من نحو الله • ومع أن هـــذه هى ديانة الناموس الا أنها كانت بعيـــدة تماماً عن الديانة التى نادى بها الأنبياء • لقد قيل : « لاتوجد فى لغـــة العبرانيين القدماء مثل كلمة ديانة كما نستخدمها عادة اليوم » •

فالحياة بجملتها كما رأوها انما هى عطية الله وهى تخضع لناموسه واحكامه فلا يوجد فيها جزء منفصل يطلق عليه اسم ديانة فلم يقل المسيح أتيت لتكون لهم ديانة ولكن لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل • فمن

يجعل الدين شيئاً يتعلق بأيام وأوقات ومواسم انما يجعله شيأ خارجيا • الا أن كل يوم هو يوم الهى للمسيحى الحقيقى • وكان بولس يخشى أنه بعد أن يعرف الناس مجد النعمة ينزلقون ثانية الى النانوس ، وأن أولئك الذين عاشوا من قبل فى حضرة الله يقصرون علاقتهم بالله على أيام خاصة •

دعوة المحبة

١٢ أَتَضَرَّعُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ كُونُوا كَمَا أَنَا لِأَنِّي أَنَا
أَيْضاً كَمَا أَنْتُمْ . لَمْ تَظْلِمُونِي شَيْئاً . ١٣ وَلٰكِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ
أَنِّي بِضَعْفِ ٱلْجَسَدِ بَشَّرْتُكُمْ فِي ٱلْأَوَّلِ . ١٤ وَتَجْرِبَتِي ٱلَّتِي فِي
جَسَدِي لَمْ تَزْدَرُوا بِهَا وَلَا كَرِهْتُمُوهَا بَلْ كَمَلَاكٍ مِنَ ٱللّٰهِ قَبِلْتُمُونِي
كَٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ . ١٥ فَمَاذَا كَانَ إِذاً تَطْوِيبُكُمْ . لِأَنِّي أَشْهَدُ
لَكُمْ أَنَّهُ لَوْ أَمْكَنَ لَقَلَعْتُمْ عُيُونَكُمْ وَأَعْطَيْتُمُونِي . ١٦ أَفَقَدْ
صِرْتُ إِذاً عَدُوًّا لَكُمْ لِأَنِّي أَصْدُقُ لَكُمْ . ١٧ يَغَارُونَ لَكُمْ
لَيْسَ حَسَناً بَلْ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّوكُمْ لِكَيْ تَغَارُوا لَهُمْ . ١٨ حَسَنَةٌ
هِيَ ٱلْغَيْرَةُ فِي ٱلْحُسْنَى كُلَّ حِينٍ وَلَيْسَ حِينَ حُضُورِي عِنْدَكُمْ فَقَطْ .
١٩ يَا أَوْلَادِي ٱلَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ أَيْضاً إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ ٱلْمَسِيحُ
فِيكُمْ . ٢٠ وَلٰكِنِّي كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ حَاضِراً عِنْدَكُمُ ٱلْآنَ
وَأُغَيِّرَ صَوْتِي لِأَنِّي مُتَحَيِّرٌ فِيكُمْ .

(غل ٤ : ١٢ ــ ٢٠)

لايقدم الرسول بولس هنا دعوة لاهوتية ولكنه يوجه نداء ورجاء نداء ورجاءشخصيا ، وهو لايستخدم الجدل العقلى ، ولكن دعوة القلب، وهو يذكرهم بأنه لأجلهم قد أصبحهو أمميا وقد هجرطرق وميزاتشعبه كما هجر التقاليد التى تربى فيها وأصبح مثلهم • وهو يدعوهم الآن لأن لا يحاولوا أن يصبحوا يهودا ، بل أن يصبحوا مثله •

ونجد هنا اشارة لشوكة الجسد التى عانى منها بولس الرسول • فلقد تقابل معهم لأول مرة بسبب المرض وجاء اليهم مريضا ونتحدث عن الشوكة حديثا مستفيضا فى دراستنا للفصل الكتابى المشهـور فى ٢ كو ١٢ : ٧ واعتقد البعض أن الشـوكة هى الاضـطهاد الذى عاناه بولس الرسول ، وتجارب الجسد التى يقولون انه لم ينجح أبدا فى اذلالها ، ومظهره الجسدى الذى اعتبره الكورنثيون حقيراً (٢ كو ١٠ : ١٠)وأقدم التقاليد يقول ان الشوكة تشير الى صداع شديد كان ينتابه فيلقيه أرضا• وفى الفصل الذى أمامنا تلوح فكرتان فقد كان الغلاطيون على استعداد لأن يعطوه عيونهم لو استطاعوا الى ذلك سبيلا ، وهـذا يدفع البعض لأن يقولوا ان عينى بولس الرسول كانتا مصدر متاعب كثيرة له لأن مجد رؤيا الطريق الى دمشق قد بهرهما ، ولذلك فلم يستطع أن يرى بعـد ذلك الا بصعوبة وألم • وكلماته التى نترجمها « ولا كرهتموها » تعنى حرفيا « لم تبصقوا على » • وكانت من عادات العالم القديم أن يبصق المرء متى صادف انسانا مصابا بالصرع ليحول تأثير الروح الشرير الذى كانـوا يعتقدون أنه يسـكن المريض • ولذلك رأى البعض أن بولس الرسـول كان مصابا بالصرع ولنحاول أن تكتشف متى ذهب بولس الرسول الى غلاطية وقد يمكننا أن نستنتج لماذا ذهب الى هناك • أغلب الظن أن أعمال ١٣ : ١٣ و١٤ يصفان مجىء بولس الى غلاطية • وهذا

الفصل الكتابى يواجهنا بمشكلة • فلقد وصل بولس وبرنابا ومرقس من قبرص الى الشاطىء ووصلا الى برجة فى بمفيلية وهنالك تركهما مرقس ثم ذهبا مباشرة الى انطاكية بيسيدية التى تقــع فى مقاطعــة غلاطية • فلماذا لم يبشر بولس فى بمفيلية ؟ لقد كانت اقليما شعبيا • فلماذا اختار أن يذهب الى انطاكية بيسدية ؟ والطريق الذى يــؤدى الى هنالك فى منتصف الهضبة كان من أخطر وأصعب الطرق فى العالم • ولربما كان هذا هو السبب الذى دفع مرقس لأن يتركهما ويذهب راجعا الى بيته • فلماذا ذهب بولس مسرعا من بمفيلية ؟ أغلب الظن أن هذا هو السبب : كانت بمفيلية والسهل الساحلى مناطق موبوئة جدا بحمى الملاريا وهنالك احتمال كبير أن يكون بولس قــد أصيب هنــالك بالملاريا وكان علاجه الوحيد أن يذهب الى أعالى غلاطية • ولذلك فقــد وصل الى الغلاطيين وهو فى حال المرض • والملاريا تعاود الانسان ويصحبها صداع شــديد يلقى بالمرء أرضا وهو ما يصفه من اختبروه « وكأنه قضيب من الحديد المحمى جدا يخترق مقدم الرأس » أو مثل مثقاب طبيب الاسنان وهــو يفرى داخــل الضروس • وأغلب الظن أن ذلك الألم الفظيــع ، الذى لا شفاء له ، والذى كان يلقى بصاحبه أرضا ، كان هو بعينه الشوكة التى فى الجسد التى عانى منها بولس الرسول ، والتى عذبته عندما وصــل لأول مرة الى غلاطية •

ويتحدث عن أولئك الذين كانــوا يقومون باغراء الغلاطيين لــكى يوقعوا بهم وهو يقصد أولئك الذين كانوا يحاولون اقناعهم بأن يسلكوا مسلك اليهود ، وكانوا يخبطون ودهم ليضعوا الحواجز • فلو أمكنهم أن يقنعوا الغلاطيين بأن يســلكوا السبيل اليهودى لاضــطر الغلاطيون أن يعودوا اليهم فى اتضاع ليختتنوا ، وليقبلوا فى الأمة اليهودية • لقد كان

أولئك القوم يخطبون ود الغلاطيين ليسودوا عليهم وليخضعوهم لذواتهم وللناموس •

ويستخدم بولس الرسول فى النهاية تشبيها قويا فلقد كان الاتيان بالغلاطيين الى المسيح فى نظر بولس الرسول مؤلما مثل الآم المخاض التى تجتازها الأم • وهاهو الآن فى حاجة لأن يجتاز نفس الألم مرة أخرى • فالمسيح فيهم وكأنه فى دور التكوين ويجب عليه أن يلدهم فى المسيح •

ولايمكن لأحد أن لايلمح عواطف المحبة فى كلماته الأخيرة ياأولادى (الصغار) • والحديث عن الكبار بلغة الصغار فى اللاتينية واليونانية انما هو للتعبير عن عمق العواطف والاحاسيس • ويستخدم يوحنا الرسول هذا التعبير مرات كثيرة ، الا أن بولس الرسول لايستخدمه الا فى هذا الموضع فلقد فاض قلبه ! وحرى بنا أن نلاحظ أن بولس لم يؤنب بكلمات قاسية • لقد أشفق على أبنائه الضالين • قيل عن « فلورنس الشورن » ، تلك المرسلة والمعلمة الشهيرة ، أنه عندما كان الأمر يدعو لأن تؤنب أحد تلاميذها أنها كانت تفعل ذلك وكأنها تطوقه بذراعها • ان نبرات المحبة يمكن أن تتغلغل حيث لايمكن لنغمة الغضب أن تجد لنفسها من سبيل •

القصة القديمة ومعنى جديد

٢١ قُولُوا لِي أَنْتُمُ ٱلَّذِينَ تُرِيدُونَ أَنْ تَكُونُوا تَحْتَ
ٱلنَّامُوسِ أَلَسْتُمْ تَسْمَعُونَ ٱلنَّامُوسَ. ٢٢ فَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ أَنَّهُ
كَانَ لِإِبْرٰهِيمَ ٱبْنَانِ وَاحِدٌ مِنَ ٱلْجَارِيَةِ وَٱلْآخَرُ مِنَ ٱلْحُرَّةِ .

٢٣ لكِنَّ ٱلَّذِي مِنَ ٱلْجَارِيَةِ وُلِدَ حَسَبَ ٱلْجَسَدِ وَأَمَّا ٱلَّذِي مِنَ
ٱلْحُرَّةِ فَبِٱلْمَوْعِدِ ٢٤ وَكُلُّ ذٰلِكَ رَمْزٌ لِأَنَّ هَاتَيْنِ هُمَا ٱلْعَهْدَانِ
أَحَدُهُمَا مِنْ جَبَلِ سِينَاءَ ٱلْوَالِدُ لِلْعُبُودِيَّةِ ٱلَّذِي هُوَ هَاجَرُ .
٢٥ لِأَنَّ هَاجَرَ جَبَلُ سِينَاءَ فِي ٱلْعَرَبِيَّةِ . وَلكِنَّهُ يُقَابِلُ أُورُشَلِيمَ
ٱلْحَاضِرَةَ فَإِنَّهَا مُسْتَعْبَدَةٌ مَعَ بَنِيهَا . ٢٦ وَأَمَّا أُورُشَلِيمُ ٱلْعُلْيَا
ٱلَّتِي هِيَ أُمُّنَا جَمِيعاً فَهِيَ حُرَّةٌ . ٢٧ لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ ٱفْرَحِي
أَيَّتُهَا ٱلْعَاقِرُ ٱلَّتِي لَمْ تَلِدْ . اهْتِفِي وَٱصْرُخِي أَيَّتُهَا ٱلَّتِي لَمْ تَتَمَخَّضْ
فَإِنَّ أَوْلَادَ ٱلْمُوحِشَةِ أَكْثَرُ مِنَ ٱلَّتِي لَهَا زَوْجٌ . ٢٨ وَأَمَّا نَحْنُ
أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ فَنَظِيرُ إِسْحٰقَ أَوْلَادُ ٱلْمَوْعِدِ . ٢٩ وَلكِنْ كَمَا كَانَ
حِينَئِذٍ ٱلَّذِي وُلِدَ حَسَبَ ٱلْجَسَدِ يَضْطَهِدُ ٱلَّذِي حَسَبَ ٱلرُّوحِ هٰكَذَا
ٱلْآنَ أَيْضاً . ٣٠ لكِنْ مَاذَا يَقُولُ ٱلْكِتَابُ . ٱطْرُدِ ٱلْجَارِيَةَ
وَٱبْنَهَا لِأَنَّهُ لَا يَرِثُ ٱبْنُ ٱلْجَارِيَةِ مَعَ ٱبْنِ ٱلْحُرَّةِ . ٣١ إِذاً أَيُّهَا
ٱلْإِخْوَةُ لَسْنَا أَوْلَادَ جَارِيَةٍ بَلْ أَوْلَادُ ٱلْحُرَّةِ .

١ فَٱثْبُتُوا إِذاً فِي ٱلْحُرِّيَّةِ ٱلَّتِي قَدْ حَرَّرَنَا ٱلْمَسِيحُ بِهَا وَلَا
تَرْتَبِكُوا أَيْضاً بِنِيرِ عُبُودِيَّةٍ .

(غل ٤ : ٢١ ــ ٣١، و ٥ : ١)

عندما نحاول أن نفسر هذا الفصل الكتابى يجب أن نتذكر أنه بالنسبة لليهودى المتعبد وخاصة للربيين كانت الكتب المقدسة تحمل اكثر

من معنى ومن الصواب أن نقول ان المعنى الحرفى كان يعتبر أقلها شأنا فللربيين اليهود كان كل فصل كتابى يحمل أربعة معان :

١ — فيشات وهو المعنى البسيط الحرفى .

٢ — اماز وهو المعنى الذى يمكن استنتاجه .

٣ — ديروش وهو المعنى العميق والذى يمكن استنباطه بالدراسة .

٤ — سود وهو المعنى الرمزى .

والحروف الأولى لهذه الكلمات الأربعة « فردوس » هى الحروف الأساسية لكلمة فردوس فقالوا انه وعندما ينجح انسان فى ان يصل الى عمق هذه المعانى الأربعة فانه يصل الى سعادة الفردوس ، وينبغى أن نلاحظ أن قمة المعانى وأسماها هو المعنى الرمزى . ولذلك فكثيرا ماكان الربيون يأخذون قصة تاريخية بسيطة من العهد القديم ويقرأون فيها بعض المعانى الداخلية مما نقف اليوم أمامه مشدوهين . الا أن تلك التفسيرات كانت مقنعة جدا لأناس عصرهم وكان بولس الرسول ربيا متمرسا . وهذا ما يفعله هنا ، فهو يأخذ القصة التى تحدثنا عن ابرهيم وسارة وهاجر واسماعيل واسحق (تك ١٦ ، ١٧ و ٢١) وهى قصة بسيطة من قصص العهد القديم ولكنه يفسرها تفسيراً رمزياً ليوضح النقطة التى يتحدث عنها . وخلاصة القصة كما يلى : ان ابراهيم وسارة كانا متقدمين فى العمر ، ولم يكن لسارة ابن ولذلك فعلت ماكانت أى زوجة تفعله فى تلك الأيام . فقد وجهت ابرهيم الى خادمتها هاجر لعلها ترزق ابنا منها . وولد لهاجر ابن هو اسماعيل . الا أن الله جاء ووعد بأن ترزق سارة ابنا مما كان يصعب تصديقة جدا حتى ان ابراهيم وسارة اعتبرا هذا

ضربا من المستحيل •ولكن بمرور الزمن ولد ذلك الابن ، اسحق •ولذلك فيمكننا أن نقول ان اسماعيل قد ولد عن طريق الدوافع البشرية العادية بينما ولد اسحق بناء على وعد الله • وكانت سارة حرة بينما كانت هاجر جارية مستعبدة • وكان واضحا من البداية أن هاجر ستنتصر على سارة لأن عدم وجود الأبناء كان شيئا مشينا للمرأة وكان الجو مشحونا بالمشاكل • وبمرور الزمن وجدت سارة أن اسماعيل « يسخر » من اسحق • ويقول بولس ان هذا يساوى الاضطهاد • وأصرت سارة على أن تطرد هاجر لأن ابن الجارية لاينبغى أن يشارك ابن الحرة فى الميراث وبالاضافة لذلك فان « العربية » كانت تعتبر بلاد العبيد حيث عاش نسل هاجر •

ويأخذ بولس الرسول هذه القصة القديمة البسيطة ويفسرها رمزيا فيعتبر ان هاجر ترمز لعهد الناموس القديم الذى تم على جبل سيناء الذى يقع فى العربية التى هى بلاد نسل هاجر • أما هاجر نفسها فهى جارية مستعبدة وكل أولادها ولدوا فى العبودية • وذلك العهد المبنى على الناموس يجعل من الناس عبيدا للناموس وقد ولد ابن هاجر بدوافع بشرية مجردة والتمسك بالشرائع هو أقصى مايمكن للانسان أن يحققه أما من الناحية الأخرى فان سارة تشير للعهد الجديد فى المسيح يسوع ، أى طريقة الله الجديدة للتعامل مع البشر وذلك ليس عن طريق الناموس ولكن عن طريق النعمة • وقد ولد ابنها حرا ، وكذلك كل نسله يجب ان يكونوا أحرارا • كما أنه لم يولد بدوافع بشرية ولكنما بوعد الهى• وفى القصة القديمة نرى ابن الجارية يضهد ابن الحرة ويتكرر الأمر فى اضطهاد اليهود للمسيحيين فأبناء الناموس يضهدون ابناء النعمة والوعد • وفى نهاية القصة القديمة يطرد ابن الجارية خارجا مع

نصيب فى الميراث وكذلك فى النهاية يطرد المتمسكون بالشرائع من حضرة الله ولا يمكن أن ينالوا نصيبــا فى ميراث النعمة • ومهما بدأ هذا غريبا بالنسبة لنا فان حقيقة واحدة تبقى ثابته وهى أن الشخص الذى يتخذ من الناموس مبدأ لحياته ، هو فى مكانة العبد وهو يحاول كل حياته أن يرضى سيده ، الناموس ، بينما من يتخذ من النعمة مبدأ لحياته يجعــل المحبة المبدأ السائد ، فهو الرجل الحر لأن المبــدأ المسيحى ، كما عبــر قديس عظيم عن ذلك ، هو « احب الله وافعل ماتشئت » • وعندئذ تكون قوة ذلك الحب ، وليس قيود الناموس ، هى التى تحفظك فى الطــريق الصحيح • والحب أقوى من الناموس دائما •

الأَصْحَاحُ ٱلْخَامِسُ

العلاقة الشخصية

١ فَٱثْبُتُوا إِذاً فِي ٱلْحُرِّيَّةِ ٱلَّتِي قَدْ حَرَّرَنَا ٱلْمَسِيحُ بِهَا وَلاَ
تَرْتَبِكُوا أَيْضاً بِنِيرِ عُبُودِيَّةٍ .

٢ هَا أَنَا بُولُسُ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ إِنِ ٱخْتَتَنْتُمْ لاَ يَنْفَعُكُمُ
ٱلْمَسِيحُ شَيْئاً . ٣ لٰكِنْ أَشْهَدُ أَيْضاً لِكُلِّ إِنْسَانٍ مُخْتَتِنٍ أَنَّهُ
مُلْتَزِمٌ أَنْ يَعْمَلَ بِكُلِّ ٱلنَّامُوسِ . ٤ قَدْ تَبَطَّلْتُمْ عَنِ ٱلْمَسِيحِ
أَيُّهَا ٱلَّذِينَ تَتَبَرَّرُونَ بِٱلنَّامُوسِ . سَقَطْتُمْ مِنَ ٱلنِّعْمَةِ . ٥ فَإِنَّنَا
بِٱلرُّوحِ مِنَ ٱلإِيمَانِ نَتَوَقَّعُ رَجَاءَ بِرٍّ . ٦ لِأَنَّهُ فِي ٱلْمَسِيحِ
يَسُوعَ لاَ ٱلْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئاً وَلاَ ٱلْغُرْلَةُ بَلِ ٱلإِيمَانُ ٱلْعَامِلُ
بِٱلْمَحَبَّةِ . ٧ كُنْتُمْ تَسْعَوْنَ حَسَناً . فَمَنْ صَدَّكُمْ حَتَّى لاَ تُطَاوِعُوا
لِلْحَقِّ . ٨ هٰذِهِ ٱلْمُطَاوَعَةُ لَيْسَتْ مِنَ ٱلَّذِي دَعَاكُمْ . ٩ خَمِيرَةٌ
صَغِيرَةٌ تُخَمِّرُ ٱلْعَجِينَ كُلَّهُ . ١٠ وَلٰكِنَّنِي أَثِقُ بِكُمْ فِي ٱلرَّبِّ
أَنَّكُمْ لاَ تَفْتَكِرُونَ شَيْئاً آخَرَ . وَلٰكِنَّ ٱلَّذِي يُزْعِجُكُمْ سَيَحْمِلُ

ٱلدَّيْنُونَةَ أَيًّا مَنْ كَانَ . ١١ وَأَمَّا أَنَا أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ فَإِنْ كُنْتُ
بَعْدُ أَكْرِزُ بِالْخِتَانِ فَلِمَاذَا أُضْطَهَدُ بَعْدُ . إِذًا عَثْرَةُ
ٱلصَّلِيبِ قَدْ بَطَلَتْ . ١٢ يَا لَيْتَ ٱلَّذِينَ يُقْلِقُونَكُمْ يَقْطَعُونَ
أَيْضاً .

(غل ٥ : ١ ــ ١٢)

كان بولس الرسول يعتبر أن طريق النعمة وطريق الناموس متعارضان تماما . والخطأ الأساسى الذى يقع فيه من يختار طريق طاعة الناموس ، هو أن يظن أن ما يفعله سيكسبه الثواب أمام الله ، وطريق الناموس يجعل الخلاص يعتمد على المنجزات البشرية . أما من يختار سبيل النعمة فانه يلقى بنفسه وخطيته على رحمة محبة الله . وهنا يقدم بولس الرسول وجهة نظره فى تسلسل منطقى فيقول : انك لو قبلت الختان ــ فهذا يعنى أنك تقبل جزءا من الناموس ، ويتبع ذلك منطقيا أنه يجب عليك أن تقبل الناموس بجملته . فلنفترض أن انسانا يرغب فى أن يكتسب جنسية احدى البلاد ولنفترض أنه ينفذ كل شروط وقوانين تلك البلاد التى تتصل بالجنسية،فهل يكفى هذا؟انه لايستطيع أن يتوقف عند هذا الحد ، بل يجب عليه أن يقبل كل القواعد والقوانين والتعليمات الأخرى أيضا . ولذلك يقول بولس ان اختتن انسان ، فانه يصبح ملتزما بالناموس كله ، الذى يعتبر الختان مدخلا له . فان سلك هذا السبيل فانه بذلك يكون قد رفض تلقائيا سبيل النعمة ، ويكون المسيح بالنسبة له وكأنه لم يمت أبدا . وكان كل مايهم بولس هو ذلك الايمان العامل ، عن طريق المحبة . وهذا يعنى بصورة أخرى أن جوهر الدين ليس هو الناموس ، ولكن العلاقة الشخصية مع المسيح يسوع . أنه ذلك

الحب القلبى الذى يحب يسوع المسيح لدرجة ان يسلم المرء جسده ونفسه له • فايمان المسيحى لا يتأسس أبدا على كتاب ، ولكن على شخص ، والقوة الدافعة فيه ليست طاعة أى ناموس ولكن الحب للمسيح يسوع — ولقد عرف الغلاطيون فى البداية كل هذا ولكنهم يعودون الآن للناموس • فيقول بولس « ان خميرة صغيرة تخمر العجين كله » • والخميربالنسبة للعقلية اليهودية يكاد أن يمثل دائما تأثيرات الشر •وما يقوله بولس الرسول هو : « ان هذه الحركة الداعية للتمسك بالشرائع ربما لم تصل الى مداها البعيد بعد ، ولكنها يجب أن تقتلع من جذورها قبل ان تفسد وتحطم ديانتكم كلها » •

ويختتم بولس حديثه بمثل يكاد يفتقر الى التهذيب • فغلاطية كانت قريبة من فريجية وكانت العبادة العظيمة فى كل ذلك الجزء من العالم هى عبادة الالهة « سيبيل » • ولقد اعتاد كهنة تلك الالهة والمتعبدون لها أن يخصوا أنفسهم • فكهنة الالهة «سيبيل» كانوا خصيان • ويقول بولس الرسول «ان بدأتم فى هذا السبيل الذى يبدأ بالختان فلعلكم تنتهون بأن تخصوا أنفسكم مثل هؤلاء الكهنة الأمميين » وهذا ايضاح غريب قد يشمئز منه المهذبون اليوم ، الا أن هذا الأمر كان حقيقة واضحة للغلاطيين الذين كانوا يعرفون جيدا كل مايتعلق بكهنة الالهة «سيبيل» • الذين عاشوا بين ظهرانيهم •

الحرية المسيحية

١٣ فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا دُعِيتُمْ لِلْحُرِّيَّةِ أَيُّهَا ٱلإِخْوَةُ • غَيْرَ أَنَّهُ

لاَ تُصَيِّرُوا ٱلْحَرِّيَّةَ فُرْصَةً لِلْجَسَدِ بَلْ بِالْمَحَبَّةِ ٱخْدِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً . ١٤ لأَنَّ كُلَّ ٱلنَّامُوسِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يُكْمَلُ . تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ . ١٥ فَإِذَا كُنْتُمْ تَنْهَشُونَ وَتَأْكُلُونَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَٱنْظُرُوا لِئَلاَّ تُفْنُوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً .

(غلا ٥ : ١٣ ــ ١٥)

بهذه الفقرة يتحول التنبير فى خطاب بولس الرسول . فحتى هذه النقطة كان اهتمامه لاهوتيا ولكنه يصبح الآن أخلاقيا لدرجة كبيرة . لقد كانت عقلية بولس الرسول بصورة متميزة ، عقلية عملية . فمهما سما فى أجواء التفكير العليا كان يختم خطاباته دائما بنبرة عملية . فالأفكار اللاهوتية تعتبر فى نظر بولس الرسول تافهة ما لم يمكن للمرء أن يحياها عمليا فى العالم . ولذلك ، ففى رسالة رومية ، التى دون لنا فيها بحثا من أهم المباحث اللاهوتية فى العالم ، نراه ينزل فجأة فى الفصل الثانى عشر الى الحياة فى هذا العالم ويقدم التحديات والنصائح العملية . وقد قال فنسنت تيلور مرة « ان الاختبار الذى نمتحن به اللاهوتى الناجح هو ان كان يمكنه أن يكتب نبذة صغيرة» أى أن نسأل: هل يستطيع بعد التحليق فى أجواء الفكر أن ينزل بهذه الأفكار الى المستوى الذى يستطيع فيه الشخص العادى أن يتفهمها ويطبقها عمليا فى حياته ولقد نجح بولس دائما نجاحا باهرا فى هذا الاختبار وهذه هى نقطة الارتكاز فى هذه الرسالة ، فهو يخضع كل تعليمه لاختبار الحياة العملية اليومية القاسى .

وقد تعرض تعليم بولس اللاهوتى لخطر معين ، فمتى أعلن أن سلطان الناموس قد انتهى ، وأن عصر النعمة قد ابتدأ ، فانه يمكن

لأحدهم أن يسىء تفسير تعليمه فيقول : « ان هذا يعنى أننى استطيع أن أفعل ما أشاء ، فاذ قد زالت كل النـــوابط يمكننى أن أطلق العنان لميولى ورغباتى وشهواتى وعواطفى لتســوقنى حيثما شـــاءت » • فالناموس قد مضى وفى النعمة ضمان للغفران على أى حال الا أن بولس كان يصر دائما على التزامين :

١ ــ وهو لا يشير الى هذا هنا ولكنه متضمن فى كل تفكيره • انه الالتزام من نحو الله • فان كان الله قد أحبنا بهذا المقدار ، فان حب المسيح يجب أن يحضرنا • فلا يمكننى أن ألطخ حيـــاة اشتراها الله بحياته •

٢ ــ وهنالك الالتزام من نحو اخوتنا البشر • فنحن احرار ، الا أن حريتنا هى تلك التى تحب للقريب ما تحب لنفسها • ولعلنا نستنبـط هذا من أسماء أنواع الحكومات فحكومة الفرد تهدف نحو الدقة وسرعة الاداء لأن حكومة اللجان لها عيوبها • وحكـومة القلائل يبررونها بأن القلائل هم الذين يصلحون لشغل مناصب الحكم • والأرستقراطية هى حكومة الطبقة الأفضل الا أن كلمة الأفضل تترك دون تعريف • وحكومة طبقة الأغنياء يبررونها بأن أصحاب الثروات لهم منطقيا الحق فى الحكم • الا أن الديمقراطية هى حكم الشعب بالشعب ولأجل الشعب • ويمكننا أن نقول ان المســيحية هى الديمقراطيـــة الحقيقية الوحيـــدة لأنه فى المســيحية يفكر المرء فى جاره بقـــدر ما يفكر فى نفســـــه ، فالحرية المسيحية ليست رخصة للبسطاء ، ولكنها سبب قوى يدفـــع المسيحى لا لأن يصبح حرا ليخطىء ، بل ليكون ذلك الشخص الذى قد صار بنعمة الله حرا لأن لا يخطىء • فالمسيحى هو ذاك الذى اذ يسكن روح المسيح فيه يتطهر من الذات حتى يحب قريبه كنفسه ، الأمر الذى لايستطيعه سوى المسيحى •

ويختتم بولس كلامه بنصيحة جادة فيقول « ما لم تجدوا حلا لمشكلة الحياة معا فانكم ستجعلون الحياة نفسها مستحيلة تماما » فالأنانية لا تعظم الانسان ولكنها تحطمه .

الأشياء الشريرة

١٦ وَإِنَّمَا أَقُولُ ٱسْلُكُوا بِالرُّوحِ فَلا تُكَمِّلُوا شَهْوَةَ ٱلْجَسَدِ
١٧ لِأَنَّ ٱلْجَسَدَ يَشْتَهِي ضِدَّ ٱلرُّوحِ وَٱلرُّوحُ ضِدَّ ٱلْجَسَدِ . وَهذَانِ
يُقَاوِمُ أَحَدُهُمَا ٱلآخَرَ حَتَّى تَفْعَلُونَ مَا لاَ تُرِيدُونَ . ١٨ وَلكِنْ
إِذَا ٱنْقَدْتُمْ بِالرُّوحِ فَلَسْتُمْ تَحْتَ ٱلنَّامُوسِ . ١٩ وَأَعْمَالُ ٱلْجَسَدِ
ظَاهِرَةٌ ٱلَّتِي هِيَ زِنًى عَهَارَةٌ نَجَاسَةٌ دَعَارَةٌ . ٢٠ عِبَادَةُ ٱلْأَوْثَانِ
سِحْرٌ عَدَاوَةٌ خِصَامٌ غَيْرَةٌ سَخَطٌ تَحَزُّبٌ شِقَاقٌ بِدْعَةٌ . ٢١ حَسَدٌ
قَتْلٌ سُكْرٌ بَطَرٌ وَأَمْثَالُ هذِهِ ٱلَّتِي أَسْبِقُ فَأَقُولُ لَكُمْ عَنْهَا
كَمَا سَبَقْتُ فَقُلْتُ أَيْضاً إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هذِهِ لاَ يَرِثُونَ
مَلَكُوتَ ٱللهِ .

(غل ٥ : ١٦ ــ ٢١)

لم يدرك أحد توتر الطبيعة البشرية بمثل ما أدركه بولس الرسول كما قال الجندى فى أشعار ستودرت كندى .

انى انسان ومزيج من الانسان
وذلك من مولدى

فجزء منه سماوى
بينما الآخر أرضى

كان من الأمور الأساسية فى نظر بولس الرسول أن الحرية لاتعنى الانغماس فى الجانب الوضيع من الطبيعة البشرية ولكنما الحرية للسلوك فى حياة الروح • ويقدم لنا بولس الرسول هنا قائمة بالأمور الشريرة • وهنالك صـــورة معينـــة من وراء كل كلمة ويجب أن نتأمل كل كلمة على حدة •

« زنى » « عهارة » لقد قيل ، وصدق القول ، ان الفضيلة الكاملة التى أتت بها المسيحية للعالم هى الطهارة • فلقد جاءت المسيحية الى عالم لم يكتف بأن يغض الطرف عن الخطايا الجنسية ، بل اعتبرها أمرا عاديا وأساسيا للحياة اليومية

« نجاسة » والكلمة اليونانية التى يستخدمها بولس akatharsia كلمة جديرة بالدراسة ، فهى تطلق على القيح الذى ينجم عن وســـخ الجروح ، وعن الشجرة التى لم تقلم مطلقـــا وعن المـــادة التى لم تتم تنقيتها • وفى صيغتها الايجابية katharos وهى صفة تعنى النقـــاء) تستخدم كثيرا فى عقود ايجار المساكن لتدلعلى المنزل النظيفوعن حالته اليد· الا أن أكثر المعانى وضوحا هو تلك الصفة التىتستخدمعن النظافة الطقسية التىتؤهل المرء لأن يقترب من الآلهة • فالعهارة اذنهى ماتجعل المرء غير أهل للمثول فى حضرة الله • فهى عكس النقاء ، الذى يعـــاين الله ، وهى تلوث الحياة بما يفصل بيننا وبين الله • دعارة وهذه الكلمة aselgia وردت بترجمات مختلفة فى المواضع الآتية مر ٧ : ٢٢ ، ٢ كو

١٢ : ٢١ ، غل ٥ : ١٩ ، أف ٤ : ٢٩ ، ١ بط ٤ : ٣ ، يه ٤ ، رو ١٣ ١٣ ، ٢ بط ٢ : ١٨ وقد عرفها البعض بالاستعداد لأى نوع من الملذات والذى يمارسها لا يكبح له جماح فيفعل أى ما تمليه عليه نزواته وشهواته • وينسب يوسيفوس هذا لايزابل اذ بنت هيكلا للبعل فى أورشليم المدينة المقدسة • والفكرة اجمالا تقدم لنا صورةانسان انغمس فى الشهوات والملذات لدرجة لا يبالى معها بما يقوله الناس أو يفكرون فيه « عبادة الأوثان » وهذه الكلمة تعنى عبادة آلهة من صنع يد البشر فهى الخطية التى تحتل فيها الأشياء المادية مكان الله • « سحر » وهذه الكلمة تعنى حرفيا استخدام المخدرات • وقد تشير الى الاستخدام المفيد للمخدرات كما يستخدمها الطبيب • ولكنها تعنى أيضا التسمم ، وتستخدم بصفة خاصة عن استخدام — المخدرات فى السحر والشعوذة التى امتلأ بها العالم القديم • « عداوة » والفكرة تشير الى من يظهر عداء خاصا لرفاقه من البشر ، فهى ضد فضيلة المحبة المسيحية للاخوة وسائر البشر على خط مستقيم • « خصام » كانت هذه الكلمة تعنى فى البداية المنافسة على الجوائز ويمكن استخدامها بمعنى حسن فى هذا الصدد الا أن استخدامها الشائع يتعلق بالمنافسة التى تقود للشجار والخصام • « غيرة » وكانت هذه الكلمة أصلا كلمة حسنة فكانت تعنى المنافسة ، وهى الرغبة فى بلوغ نبل الاخلاق متى لاح لنا ذلك الا أن هذه الكلمة تدهورت فأصبحت تعنى الرغبة فيما يملكه الآخرون أى الرغبة الخاطئة فيما للآخرين • « سخط » والكلمة التى يستخدمها بولس الرسول تعنى ثورات المزاج الحاد • فهى لا تصف الغضب الذى يدوم طويلا ولكنما ذلك الغضب الذى يتأجج ثم لا يلبث أن يخمده « تحزب » وتاريخ هذه الكلمة يلقى ضوءا كبيرا عليها • فهى الكلمة eritheia

وكانت تعنى أصلا العمل الذى يقوم به الأجير erithos وبذلك أصبحت تعنى العمل الذى يقوم به المرء نظير أجر ثم أصبحت تعنى بعـد ذلك الحملة التى يقومون بها للوصـول لوظيفة سياسـية أو عامة وتصف الانسان الذى يسعى للوظيفة لا بدوافع الخدمة ولكنما لأجل مايمكن أن تدر عليه تلك الوظيفة • فهى صفة ذلك الانسان الذى يهتم بنفسه ولا قبل له بخدمة الانسانية على الاطلاق • « شقاق » وتعنى هذه الكلمة حرفيا الوقفة المنفردة • قال نلسون بعد احدى انتصـاراته أنه انتصر لأنه كان له الحظ السعيد فى أن يقود جماعةمن الاخوة •«بدعة» وتصف هذه الكلمة جماعة تعمل عكس مايجب أن تتصف به الجماعة فهى تعنى التفكك بدلا من التجمع ، وانقسام الهرطقات انما هو قمة الانقسـام • وكلمة hairesis هى الكلمة التى تشتق منها كلمة هرطقـة • ولم تكن كلمة hairesis أصلا كلمة سيئة ، فهى مشتقة من فكرة الاختيار وكانت تستخدم عن اتباع احدى مدارس الفلسفة أو عن أى مجموعة من الناس يشتركون فى اعتقاد واحد • الا أن مأساة الحيـاة ، ان من يختلفون فى الرأى لاينتهون بالنفور من آراء بعضهم ، ولكنهم ينفرون من بعضـهم الآخر ، رغم أنه من المفروض أنه يمكن أن يختلف اثنان وتبقى صداقتهما « حسد » هذه الكلمة phthonos كلمة وضيعه ويقـول عنهـا أربيدس « أعظم الأمراض بين الناس » وجوهر هـذه الكلمة هو أنها لا تصـف الروح التى ترغب سواء بكيفية وقورة أو غـير وقورة ما للاخريين وما لديهم ، فهى لا ترغب فى تلك الأشياء لنفسها ؛ ولكن كل ما تبغيه هو أن يحرم الآخرون منهـا • وكان الرواقيون يطلقون عليها الحـزن عـلى ما للاخرين من خيرات ويطلق عليها باسيلى « الحـزن على حسن حظ الجار » • « فهى ليست صفة الحسد فى حد ذاته ؛ بقدر ما هى المرارة

التى يحس بها قلب الانسان »• « سكر » لم تكن هذه رذيلة شائعة فى العالم القديم • فلقد شرب اليونانيون خمرا أكثر من شربهم للبن • وحتى الأطفال شربوا الخمر ، الا أنهم شربوا الخمر بنسبة الثلثين ماء الى ثلث من الخمر • فاليونانيون والمسيحيون على السواء رفضوا السكر كشىء يحول الانسان الى حيوان • « بطر » هذه الكلمة komos لها تاريخ حافل فكلمة komos كانت تطلق على فرقة الأصدقاء الذين كانوا يرافقون من يفوز فى الألعاب الرياضية بعد فوزه • فكانوا يرقصــون ويمرحون ويتغنون بمدحه • وكانت هذه الكلمة تصف أيضا أولئك الذين كرســوا أنفسهم للاله باخوس اله الخمر فهى تصف مايمكن أن نسميه بالدهماء أو الرعاع وكانت تعنى المنافسة والمتعة التى لا تحدها ضوابط فانحدرت الى الحضيض •

واذ ندرس معانى هذه الكلمات بعمق ندرك أن حيـاة البشر لم تتغير كثيرا ! •

الأشياء الجميلة

٢٢ وَأَمَّا ثَمَرُ ٱلرُّوحِ فَهُوَ مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ طُولُ أَنَاةٍ
لُطفٌ صَلاَحٌ إِيمَانٌ ٢٣ وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ • ضِدَّ أَمْثَالِ هٰذِهِ لَيْسَ
نَامُوسٌ • ٢٤ وَلٰكِنَّ ٱلَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا ٱلْجَسَدَ مَعَ
ٱلأَهْوَاءِ وَٱلشَّهَوَاتِ • ٢٥ إِنْ كُنَّا نَعِيشُ بِالرُّوحِ فَلْنَسْلُكْ أَيْضاً
بِحَسَبِ ٱلرُّوحِ • ٢٦ لاَ نَكُنْ مُعْجَبِينَ نُغَاضِبُ بَعْضُنَا بَعْضاً
وَنَحْسُدُ بَعْضُنَا بَعْضاً •

كما استعرض بولس الرسول فى الآيات السابقة تلك الأشـــياء الشريرة التى يتميز بها الجسد يقدم لنا الآن الأشياء الجميلة والمحببـة التى هى ثمر الروح • ويجدر بنا أن نتوقف عند كل كلمة على حـده • « محبة » : والكلمة التى يستخدمها العهد الجديد عن المحبة هى agape وهذه كلمة لم تكن مألوفة الاستخدام فى اليونانية الكلاسيكية • وهنالك أربع كلمات للتعبير عن المحبة فى اللغة اليونانية •

(أ) eros وهى تعبر عن محبة الرجل لفتاة • فهى المحبـة التى نسميها الهوى وهذه الكلمة لاتستخدم بتاتا فى العهد الجديد •

(ب) philia وهى ذلك الحب الدافىء الذى نحس به من نحو أقرب الأقربين الينا وأعز الأعزاء وهى محبة تتعلق بالقلب ومشاعره •

(ج) storge وهى تعنى بصفة خاصة العواطف • وهى تستخدم عادة عن حب الآباء والأبناء •

(د) agapeوالكلمة المسيحية تعنى فى الواقع حب عمل الخـير الذى لايمكن أنينتصر عليه شىءفهىتعنى مهما تصرف الانسان من نحونا سواء بالاهانات أو التحقير فسـوف لا يثنينا هـذا عن أن نطلب خيره الأسمى فهى شعور بالعقل ، كما هو بالقلب ، وهى تخص الارداة كمـا تخص العواطف وهى تصف ذلك المجهـود المتعمد الذى لا نستطيع أن نقوم به دون معونة الهية وبه لانبغى ما هو أقل من أفضل الأشياء حتى لأولئك الذين يبغون لنا الأسوأ •

« الفرح »والكلمة اليونانيةهى chara والصفة المميزة لهذه الكلمة هى أنها تصف فى أغلب الأحيان ذلك الفرح المبنى على ناحية دينية بينما

أساسه الحقيقى هو الله (قارن مز ٣٠ : ١١ ، رو ١٤ : ١٧ ، ١٥ : ١٣ ، فى ١ : ٤ و ٢٥) فهــو الفرح الذى لا تمنحــه الخيرات الأرضية ولا الانتصارات الرخيصة ، بل أنه أبعد مايكون عن ذلك الفرح الذى يحس به المرء عندما ينتصر فى منافسة الآخرين • فهو الفرح المبنى على الله•

«سلام»وفى اللغةاليونانية الدارجة فىعصر بولس الرسول كان لهذه الكلمة eirene استخدامان شيقان • فهى تعبر عن الهدوء والســكون اللذان تتمتع بهما احدى البلاد تحت حكم أحد الأباطرة الطيبين المحسنين وهى تستخدم عن النظام المستتب فى مدينة أو قرية • فلقد كان فى القرى موظف كانوا يسمونه المشرف على سلام القرية فهو الذى يحافظ على سلام الجماهير • وكلمة eirene المستخدمة فى العهــد الجديد تعبر عن الكلمة العبرية شالوم ولا تعنى مجرد التحرر من المشاكل ، ولكنما تشير بالاكثر الى كل الأشياء التى تعمل على خير الانســان الأسمى • وهى تعنى هنا هدوء القلب واستقراره النابــع من الاحســاس العجيب بأن ظروف حياتنا انما هى فى يد الله • وانه لمن الطريف ان الكلمتين اليونانيتين chara - eirene أصبحتا اسمين مسيحيين شائعين فى الكنيســـة

makrothumia «طول أناة» وهذه كلمة سامية العظمة فيقول كاتب المكابيين الأول (٨ : ٤) انه makrothumiaقد أصبح الرومان ســادة العالم ويقصد بذلك مثابرة الرومان التى دفعتم لأن لا يقبلوا أن يقيموا صلحا حتى مع العدو والمهزوم ، فهو نوع من الصبر الظافر • ولاتستخدم هذه الكلمة عادة عن الصبر فيما يتعلق بالأشياء أو الأحداث ولكن الصبر فى التعامل مع الناس ويقول يوحنا فم الذهب أن هــذه الكلمة تعبر عن النعمة التى تدفع الشخص الذى فى وسعه أن ينتقم لأن لايفعل ذلك•فهو الانسان البطىء الغضب • وأن مايلقى كثيرا من الضوء على هذه الكلمة

هو أنها تستخدم عادة ڤ العهد الجديد عن موقف الله أو موقف المسيح من البشر (رو ٢ : ٤ ، ٩ : ٢٢ ، ١ تى ١ : ١٨ ، ١ بط ٣ : ٢٠) فلو كان الله انسانا ، لمحا هذا العالم من الوجود منذ زمن بعيد • ولكن الله عنــده ذلك الصبر الذى يحتمل كل خطايانا ولا يطرحنا بعيــدا • ففى حياتنا وڤ موقفنا من معاملات الناس معنا يجب أن نقتفى آثار موقف الله الصابر من نحونا ، ڤ حبه واحتماله وغفرانه •

والكلمتان لطف وصــلاح ترتبطان برباط وثيق فالكلمة اليونانيــة المترجمــة بكلمة لطف هى كلمة Chrestotes وكثيرا ما تترجم بالكلمة صلاح فهى تعبر عن اللطف والرقة (تى ٣ : ٤ ، رو ٢ : ٤ ، ٢ كو ٦ : ٦ ، أف ٢ : ٧ ، كو ٣ : ١٢ ، غل ٥ : ٢٢) وتعبر احــدى الترجمــات الانجليزية عن هذه الكلمة ڤ ٢كو ٦:٦ بكلمة « حلاوة » فيالها من كلمة جميلة ! ويقول عنها بلوتارك ان مجالها أوسع بكثير من العــدل فالخمر العتيقة يسمونها Chrestos فهى طيبــة • ونير المســيح يوصف بأنه Chrestos (مت ١١ : ٣٠) فهو لايثير ولا يتعب ولا يدفع للغضب وكل فكرة الكلمة هى الصــلاح الذى يحمل الطيبــة بين ثناياه والكلمة التى يستخدمها بولس الرسول عن الصلاح هى الكلمة اليونانية agathosune وهى احدى كلمات الكتاب المقدس المتميزة فهى لاترد ڤ غيره من الكتابات اليونانية (رو ١٥ : ١٤ ، أف ٥ : ٩ ، ٢ تس ١ : ١١) وهى كلمة تعبر عن الصلاح ڤ أوسع نطاق فهى « الفضيلة التى تتناسب كافة المواقف » فما الفارق اذن بــين الكلمتين ؟ الكلمة المترجمة صــلاح فيها امكانيــة التوبيخ والتصحيح والتأديب أما الكلمة المترجمة بكلمة لطف فهى تعنى المساعدة فقط• فيقول العالم « ترنش » ان المسيح أظهر «الصــــلاح» عندما طهر الهيكل وطرد الذين جعلوا منه سوقا ولكنه أظهر اللطف عندما

تعامل مع المرأة التى دهنت رجليه بالطيب • فالمسيحى فى حاجة الى ذلك الصلاح الذى يمكن أن يجمع بين اللطف والقوة «ايمان» وهـذه الكلمة تعنى فى الكتابات اليونانية خارج الكتاب المقدس فكرة الجدارة بالثقة • فهى صفة الانسان الذى يمكن الاعتماد عليه•وداعة وهى الكلمة اليونانية praotes وهى من أكثر الكلمات تحديا لكل ترجمة فهى تحمل فى العهد الجديد ثلاثة معان :

(أ) فهى تعنى الخضوع لارادة الله (مت ٥ : ٥ ، ١١ : ٢٩ ، ٢١ : ٥) •

(ب) وهى تعنى القابلية للتعليم فهى تصف ذلك الشخص الذى له الاتضاع الكافى (يع ١ : ٢١) •

(جـ) وفى أغلب الأحيان تعنى المجاملة والأحساس بما يحس به الآخرون• (١ كو ٤ : ٢١ ، ٢ كو ١٠ : ١ أف ٤ : ٢) وقد عرف أرسطو الكلمة praotes بأنها الوسط بين الغضب الشديد والهدوء فهى صفة الرجل الذى يغضب دائما فى الوقت المناسب ولا يغضب أبدا فى وقت غير مناسب • ومما يلقى أكبر الضوء على هذه الكلمة أن الصفة praus تستخدم عن الحيوان الذى استئونس وأصبح خاضعا لمدربة فالكلمة تتحدث عن ضبط النفس والسيادة عليها مما لا يستطيع أحد أن يمنحه سوى المسيح فالكلمة praotes تتحدث عن الروح التى تخضع لله والقابلة للتعلم فى كل الأشياء الصالحة والمترفقة من نحو الآخرين• «تعفف» والكلمة هنا paraptoma ويستخدمها أفلاطون عن السيادة على النفس وضبطها فهى الروح التى تحكمت فى رغباتها وفى حبها للملذات • وهى تستخدم عن تدريب الرجل الرياضى لجسده (١ كو ٩ : ٢٥) وضبط الشخص المسيحى للغريزة الجنسية (١ كو ٧ : ٩) وتستخدم فى اللغة

اليونانية خارج الكتاب المقدس عن الفضيلة التى يتحلى الامبراطور الذى لن يسمح لمصالحة الشخصية بأن تؤثر على كيفية حكمه لشعبه • فهى الفضيلة التى تجعل المرء يمسك بزمام نفسه لدرجة يصلح فيها لخدمة الآخرين •

لقد كانت عقيدة بولس واختباره أن المسيحى قد مات مع المسيح وقام ثانية لحياة جديدة نظيفة ، قد مضت منها الأمور الشريرة التى تنتمى للنفس العتيقة وأثمرت فيها أمور الروح الجميلة •

الأصحاح السادس

حمل الأثقال

١ أَيُّهَا ٱلإِخْوَةُ إِنِ ٱنْسَبَقَ إِنْسَانٌ فَأُخِذَ فِي زَلَّةٍ مَا فَأَصْلِحُوا
أَنْتُمُ ٱلرُّوحَانِيِّينَ مِثْلَ هذَا بِرُوحِ ٱلْوَدَاعَةِ نَاظِراً إِلَى نَفْسِكَ
لِئَلَّا تُجَرَّبَ أَنْتَ أَيْضاً . ٢ اِحْمِلُوا بَعْضُكُمْ أَثْقَالَ بَعْضٍ
وَهكَذَا تَمِّمُوا نَامُوسَ ٱلْمَسِيحِ . ٣ لِأَنَّهُ إِنْ ظَنَّ أَحَدٌ أَنَّهُ
شَيْءٌ وَهُوَ لَيْسَ شَيْئًا فَإِنَّهُ يَغُشُّ نَفْسَهُ . ٤ وَلكِنْ لِيَمْتَحِنْ
كُلُّ وَاحِدٍ عَمَلَهُ وَحِينَئِذٍ يَكُونُ لَهُ ٱلْفَخْرُ مِنْ جِهَةِ
نَفْسِهِ فَقَطْ لاَ مِنْ جِهَةِ غَيْرِهِ . ٥ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ سَيَحْمِلُ
حِمْلَ نَفْسِهِ .

(غلا ٦ : ١ ــ ٥)

كان بولس يعلم جيدا المشاكل التى تظهر فى أى مجتمع مسيحى فان أفضل البشر يمكن أن ينزلق . والكلمة التى يستخدمها بولس هنا وهى كلمة paraptoma لاتعنى الخطأ المتعمد ولكن الانزلاق الذى قد يحدث لانسان يسير على طريق ثلجى أو سبيل خطر . فالخطر الذى يحيط بأولئك الروحيين والذين يحاولون بأمانة أن يعيشوا الحياة

المسيحية ، هو أنهم معرضون لأن يدينوا خطايا كثيرين من الرجـــال الصالحين • فهنالك كثيرون من الرجـــال الصالحين الذين لاتستطيع أن تذهب اليهم لتذرف دموع الندامة وأنت تروى لهم قصة فشل أو هزيمة أو خطأ ، لأنهم سوف لا يظهرون أى عطف أو تفهم للأمــور • الا أن بولس يقول ان انزلق انسان فان الواجب المسيحى هو أن نحـــاول أن نعاون مثل هذا ليقف على قدميـــه ثانيـــة • وكلمــة « أصلحوا » التى يستخدمها بولس الرسول تعنى اجراء اصلاح • وهى تستخدم أيضا للتعبير عن العمل الذى يقـــوم بــه الجراح لاستئصال ورم من جسم الانسان أو جبر أحد الأطراف المكســورة • ولذلك فالجـــو الذى يحيط بالكلمة ينبر على العلاج وليس على العقاب • ويصور التصحيح اصلاحا وليس تأديبا • ويقول بولس اننا عندما نرى انسانا وقد سقط فى خطأ أو خطية فيحسن بنا ان نقول :«كان يمكن أن أكون أنا ذلك الانسان لولا نعمة الله » • ويتقدم بولس خطوة أخرى فيوبخ الغرور ، ويقـــدم طريقـــة يستطيع المرء بهـــا ان يتجنبه • فيجب علينـــا ان لا نقـــارن انجازاتنا بالآخرين من حولنا ، ولـــكن بما كان يمكن لنـــا أن نفعله • لو حققـــنا الأهداف السامية التى رسمناها لأنفســنا • فقد نحس بســـعادة غامرة ونحن نقارن انجازاتنا بالآخرين ولكنا عندما نقارنها بأسمى ما كنا نؤمله لأنفسنا فعندئذ ينتفى كل غرور •

ويتحدث بولس الرسول مرتين فى هذا الفصل عن حمل الاثقال • فهنالك احمال تقع على الانسان بسبب ظروف الحيـــاة وتقلباتها ، فهى تأتيه من الخارج اذ يصادف مشكلة أو شيئا طارئا أو حزنا • ان معاونة مثل هذا الشخص لهى اتمام لناموس المسيح • الا ان هنالك حملا ينبغى

للانسان أن يحمله بنفسه • والكلمة التى يستخدمها بولس الرسول هنا هى الكلمة التى تعبر عن مهمات العسكرى • فهناك واجب لايقوم بـه أحد نيابة عنا وهنالك عمل نحن مسئولون عنه شخصيا • كمـا أن هنالك أشياء لايستطيع انسان مهما كانت مشاعره رقيقة أن يقوم بها نيابة عنا ومهما حاولنا التخلص فليس لنا منها فرار •

المثابرة

٦ وَلكِنْ لِيُشَارِكِ ٱلَّذِي يَتَعَلَّمُ ٱلْكَلِمَةَ ٱلْمُعَلِّمَ فِي جَمِيعِ
ٱلْخَيْرَاتِ . ٧ لاَ تَضِلُّوا . اَللهُ لاَ يُشْمَخُ عَلَيْهِ . فَإِنَّ ٱلَّذِي
يَزْرَعُهُ ٱلإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضًا . ٨ لِأَنَّ مَنْ يَزْرَعُ لِجَسَدِهِ
فَمِنَ ٱلْجَسَدِ يَحْصُدُ فَسَادًا . وَمَنْ يَزْرَعُ لِلرُّوحِ فَمِنَ ٱلرُّوحِ يَحْصُدُ
حَيَاةً أَبَدِيَّةً . ٩ فَلاَ نَفْشَلْ فِي عَمَلِ ٱلْخَيْرِ لِأَنَّنَا سَنَحْصُدُ فِي وَقْتِهِ
إِنْ كُنَّا لاَ نَكِلُّ . ١٠ فَإِذًا حَسْبَمَا لَنَا فُرْصَةٌ فَلْنَعْمَلِ ٱلْخَيْرَ
لِلْجَمِيعِ وَلاَ سِيَّمَا لِأَهْلِ ٱلإِيمَانِ .

(غلا ٦ : ٦ ــ ١٠)

هنا يصبح بولس الرسول عمليا جدا • فلقد كان للكنيسة المسيحية معلمون ، وكانت الكنيسة فى تلك الأيام مؤسسة المشاركة الحقيقة • فلم يستطع أى مسيحى فعلا أن يحتمل أن يكون لديه الكثير بينما غيره كان لديهم القليل ، فلذلك يقول بولس « إن » علمكم انسان الحقائق الأبدية ، فان أقل واجب هو أن تشركوه فى الخيرات المادية التى لكم •

ثم يقدم بولس حقيقة هامة فيؤكد أن الحياة سوف تزن الأمور بميزان دقيق . وان سمح انسان للناحية الوضعية فى طبيعته بأن تتغلب عليه فلايمكن أن يتوقع فى النهاية سوى حصاد من المتاعب . أما اذا استمر الانسان فى طريق السمو والارتقاء نحو الأشياء الطيبة دائما ، فقد يضطر أن ينتظر طويلا ، الا أن الله يكافىء فى النهاية . فالمسيحية لم تجرد الحياة من نغمة التحذير .

ولقد كان اليونانيون يؤمنون باله الانتقام المسمى « نميس »فكانوا يعتقدون أنه عندما يخطىء انسان فان « نميس» كان يهم فورا لمحاكمته، وانه ولابد معاقبته وكل تراجيدية يونانية انما هى عظة على الكلمات « المخطىء لابد ان يعاقب » . ومالا نذكره بالكفاية ، هو أنه برغم الحقيقة المؤكدة والمباركة بأن الله يغفر فعلا للبشر خطاياهم الا أنه حتى الله نفسه لايستطيع أن يمحو نتائج الخطية . فان من يخطىء ضد جسده فسيدفع ان آجلا أو عاجلا ثمن ذلك صحة محطمة ــ برغم الغفران . وان أخطأ أحد ضد أعزائه فهنالك قلوب سوف تتحطم ان آجلا أو عاجلا ، برغم الغفران . وان « جون ب . جوه » ، أحد خطباء الامتناع عن المسكرات ، والذى كانت حياته المبكرة حياة ماجنة اعتاد أن يقول محذراً : « ان أثر الجرح يبقى » . واوريجانوس الاسكندرى ذلك العالم المسيحى العظيم ، الذى كان يعتقد أن كل البشر يخلصون ، كان يؤمن أنه حتى بعد ان يخلص الجميع ، تبقى آثار الخطية . فيجب أن نتذكر أننا لانستطيع أن نقامر على حساب غفران الله . فهنالك قانون أخلاقى فى الكون، وان كسره انسان فانه ينال الغفران ولكنه يعرض نفسه للمخاطر .

ويختتم بولس حديثه بأن يذكر أصدقاءه بأن واجب وعمل الاحسان والكرم قد يكون مضينا وصعبا ، الا أنه لايمكن التنصل منه . وأنـــه لم يوجد من ألقى بخبزه على وجه المياه الا وعاد ذلك الخبز اليه يوما ما .

الـكلمات الختامية

١١ اُنْظُرُوا مَا أَكْبَرَ ٱلْأَحْرُفَ ٱلَّتِي كَتَبْتُهَا إِلَيْكُمْ بِيَدِي .
١٢ جَمِيعُ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعْمَلُوا مَنْظَرًا حَسَنًا فِي ٱلْجَسَدِ هٰؤُلَاءِ
يُلْزِمُونَكُمْ أَنْ تَخْتَتِنُوا لِئَلَّا يُضْطَهَدُوا لِأَجْلِ صَلِيبِ ٱلْمَسِيحِ
فَقَطْ . ١٣ لِأَنَّ ٱلَّذِينَ يَخْتَتِنُونَ هُمْ لَا يَحْفَظُونَ ٱلنَّامُوسَ بَلْ
يُرِيدُونَ أَنْ تَخْتَتِنُوا أَنْتُمْ لِكَيْ يَفْتَخِرُوا فِي جَسَدِكُمْ . ١٤ وَأَمَّا
مِنْ جِهَتِي فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ
ٱلَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ ٱلْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ . ١٥ لِأَنَّهُ فِي ٱلْمَسِيحِ
يَسُوعَ لَيْسَ ٱلْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئًا وَلَا ٱلْغُرْلَةُ بَلِ ٱلْخَلِيقَةُ ٱلْجَدِيدَةُ .
١٦ فَكُلُّ ٱلَّذِينَ يَسْلُكُونَ بِحَسَبِ هٰذَا ٱلْقَانُونِ عَلَيْهِمْ سَلَامٌ
وَرَحْمَةٌ وَعَلَى إِسْرَائِيلِ ٱللهِ . ١٧ فِي مَا بَعْدُ لَا يَجْلِبُ أَحَدٌ عَلَيَّ أَتْعَابًا
لِأَنِّي حَامِلٌ فِي جَسَدِي سِمَاتِ ٱلرَّبِّ يَسُوعَ .

١٨ نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ مَعَ رُوحِكُمْ أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ
آمِينَ .

(غلا ٦ : ١١ ــ ١٨)

اعتاد بولس أن يوقع بامضائه فقط على الرسالة التى يمليهـا على من يقوم بكتابتها الا أن قلبه فاض بحب عجيب مشوب بشىء من القلق من نحو الغلاطيين ، فكتب بخطه كل هـذه الفقرة الأخـيرة • فيقـول « أنظروا ما أكبر الأحرف التى كتبتها اليكم بيدى » والأحرف الكبيرة يمكن أن تكون لأسباب ثلاثة :

(أ) قد تكون أحـرف هـذه الفقرة كبيرة لاهميتها ، كما لو كنا نطبعها ببنط كبير •

(ب) وقد تكون الأحرف كبيرة لأن بولس لم يكن قـد تدرب على استخدام القلم وكانت تلك الكتابة هى أفضل ما يستطيع •

(ج) ربما كان نظر بولس ضعيفا أو أن الصداع الذى أعمى البصر كان قد حل به عندئذ ، وكان كل مايمكن أن يكتبه هو الخط الكبير غـير المنسق الذى ينتجه انسان لا يرى الا بصعوبة بالغة •

ويعود ثانيـة الى الأمـر المركزى • فان أولئك الذين يريدون من الغلاطيين أن يختتنوا كانت لهم أهداف ثلاثة :

(أ) الختان ينقذهم من الاضطهاد : فلقد اعترفت الدولة الرومانية بالديانية اليهودية وسمحوا رسميا لليهود بممارستها • وكان الختان هو العلامة المميزة تماما لليهودى ولذلك فقد رأى أولئك القوم أن الختـان هو جواز السفر الى أرض الأمان متى حل الاضطهاد • فالختان يحفظهم فى أمان من كراهية اليهود وقانون الرومان •

(ب) كانوا فى نهاية المطاف يحاولون عن طريق الختان والحفاظ على

قواعد الناموس وتعليماته ، أن يفوزوا برضى الله • وكان بولس على يقين تام بأنه ليس فى وسع الانسان أن يعمل شيئا بـه يستطيع أن يفـوز بالخلاص • ولذلك فهو يوجههم ثانية الى حيث يظهر حب الله ونعمتـه فى أجلى بيان • وهـو يدعوهم لأن يكفوا عن محاولة كسـب الخلاص بمجهودهم الشخصى وأن يثقوا فى النعمة التى أحبتهم بهذا المقدار •

(جـ) ان أولئك الذين ارادوا من الغلاطيين ان يختتنوا لم يحفظوا الناموس « فلا يستطيع انسان أن يحفظ الناموس كله ، ولكنهم ، كانوا يريدون أن يفخروا بالغلاطيين كآخر من اكتسبوهم وكأنهم أصـبحوا الجوائز التى فازوا بها • فلقد ارادوا أن يفخروا بسلطانهم على الشعوب الذين اخضعوهم لعبودية ناموسهم • ولذلك فيكرر بولس بكل ما أوتى من قوة ، أن الختان أو عدمه لايؤخر ولا يقدم • فكل ما يهم هو خطوة الايمان والثقة فى المسيح ، تلك التى تفتح الطريق للانسان نحو حيـاة جديدة وهى التى تخلقه تماما من جديد » •

« أحمل فى جسدى » يقول بولس « سمات الرب يسوع » وهنالك معنيان محتملان لهذه الكلمات :

(أ) الفكرة المسماة Stigmata ستجماتا (١)«كثيرا ما استحوذت على تفكير الناس فيقولون انه بينما كان القـديس فرانسيس الأسيسى صائما على قمة جبل منفرد ، تصور له أنه يرى حب الله معلقا على صليب

---

(١) كلمة « ستجماتا » تعبير فنى يشـير الى علامات كالتى أحدثتها المسامير فى جسد المسيح عند صلبه ويقال أنها ظهـرت على بعض المؤمنين ومنهم القديس فرنسيس الأسيسى (المترجم) •

من أقصى الأفق الى اقصاه • وبينما هو يتأمل هذا المنظر اخترق قلبه سيف من الأسى والشفقة وغابت الرؤيارويداً رويداً وابتدأ القديس يلتقط أنفاسه ،وعندئذ يقولون انه التفت واذا به يرى المسامير فى يديه ورافقته تلك الأثار حتى الممات • ولايمكننا أن نعلم عن يقين ان كانت هذه القصة حقيقية أم خرافة •ففى عالمنا الكثير مما لاتستطيع فلسفتنا المادية أن تتصوره ! وهنالك من يعتقدون أن بولس قد اختبر فعلا حقيقة الصلب مع سيده حتى أنه أيضا حمل آثار المسامير فى يديه •

(ب) كثيرا ما كان السادة يسمون عبيدهم بعلامة يظهر منها أنهم ملكهم • وأغلب الظن ان ما قصده بولس هو أن آثار الجروح وغيرها مما لحق بجسمه نتيجة ما تحمله لأجل المسيح هى السمات التى يظهر منها أنه عبد المسيح • ولذلك فهو لا يناشدهم فى الختام بسلطانه الرسولى • ولكنما بحق الجراحات التى احتملها لأجل المسيح وكأنى ببولس يقول ما قاله المدافع عن الحق فى قصة سياحة المسيحى « انى أحمل معى علامات وآثار جراحى لتكون شاهدى أمام ذاك الذى سيصبح الآن مكافئا لى » •

وهكذا بعد عواصف وضغوط وشدة الرسالة يأتى السلام وتأتى البركة الرسولية فلقد جادل بولس ووبخ ولاطف ولكن كلمته الأخيرة هى النعمة فهى الكلمة الواحدة الوحيدة التى تهم •

رسالة
أفسس

تمهيد :

كما بدأت سائر أجزاء هذا التفسير ، أجده لزاما على أن أبدأ بالشكر للجنة الانتاج فى كنيسة سكوتلانده لسماحها لى بأن أستمر فى هذه السلسة وأخص بالشكر حضرات القس أندرو ماكوش ، والقس ر • ج ماكدونالد لصبرهما المتواصل ومعاونتها وتشجيعاتهما •

وهذا الكتاب يتناول الرسالة الى أفسس التى تعتبر من أكثر الرسائل التى تدرس • وستبقى الرسالة الى أفسس كاحدى أهم رسائل بولس الرسول لأنه لنا فيها عقيدته بشأن الكنيسة والصورة المثلى التى يود أن يراها عليها •

ولقد كانت الرسالة الى أفسس محظوظة بمن قاموا بشرحها•فمن ناحية النص اليونانى هناك ثلاثة تفاسير هامة للمؤلفين : ج • ارميتاج روبنسون ، ب • ف •• وستكون و ت • ك • أبوت فى سلسلة International Critical Commentary أما من ناحية تفسير النص الانجليزى فهنالك صياغة أخرى لتفسير ج• ارميتاج روبنسون وهى التى يقدمها أ • ف سكوت فى سلسلة تفسير موفات ، كما أن هنالك تفسير هـ • ج • س • مول فى سلسلة تفسير كمبردج الذى لازال عظيم الفائدة رغم قدمه • كما أن هنالك تفسيرا حديثا ممتازا جدا للدكتور ج • أ • مكاى عنونه God's Order ولقد استعملت كل هذه التفاسير بصفة مستمرة •

وفى الرسالة الى أفسس نجد أمامنا نموذج الكنيسة . وان أملى وصلاتى أن هذا الكتاب يعاوننا على أن نرى فى وضوح عظمة الكنيسة التى ننتمى اليها وسمو الحياة المسيحية التى دعينا لنحيا لها .

وليم باركلى

كلية ترينيتى جلاسجو

مقدمة

الرسالة السامية :

هناك اتفاق عام على أن الرسالة الى أفسس تحتل مركزا ساميا بين الكتابات التقوية واللاهوتية فى الكنيسة المسيحية • ولقد أطلق عليها اسم « ملكة الرسائل » وهى جديرة بهذه التسمية • وكثيرون يعتبرونها قمة فكر العهد الجديد • وعندما كانت حياة يوحنا نوكس تقترب من نهايتها كان الكتاب الذى رغب فى أن يقرأوا له منه أكثر من أى كتاب آخر هو عظات يوحنا كالفن على الرسالة الى أفسس • وقد قال الشاعر والفليسوف العظيم كوليربدج عن الرسالة الى أفسس انها « اعظم الكتب اللاهوتية التى انتجتها البشرية بالوحى الالهى فهى تحوى أولا تلك العقائد الخاصة بالمسيحية ثم أنها تحوى الافكار العامة التى تتفق فيها المسيحية مع الديانة الطبيعية » • وواضح أن الرسالة الى أفسس تحتل مكانا خاصا بين كتابات بولس الرسول •

وبرغم ذلك فهنالك مشاكل تتعلق بالرسالة الى أفسس وهى مشاكل لم تكتشفها العقول المتطرفة فى النقد ولكنها مشاكل تظهر واضحة لكل قارىء • الا اننا يجب أن نسارع فنقول أنه عندما تحل هذه المشاكل تظهر عظمة رسالة أفسس أكثر فأكثر وتسطع بنور أبهى وأهمية أعظم •

ظروف كتابة الرسالة الى أفسس :

وقبل أن نناقش الأمور التى تحيط بها الشكـوك دعنـا نتـأمل الحقائق الثابتة • فنرى أولا أن رسالة أفسس كتبت وقت أن كان بولس الرسول سجينا فهو يقول عن نفسه إنه «أسير المسيح يسوع» ١:٣ وهو يناشد قراء الرسالة بما يناشدهم به بوصف كونه « الاسير فى الرب » ٤ : ١ وهو يصف نفســه فى كلمته الشهيرة بأنه « سفير فى سلاســل » ٦ : ٢٠ فبينما كان فى السجن وبينما النهاية تقترب كتب رسالة أفسس • ثم نرى ثانيا أن رسالة أفسس وثيقة الصلة والأرتباط برسالة كولوسى • ويلوح أن تيخيكس حمل الرسالتين فيقول بولس فى رسالة كولوسى إن تيخيكس سيعرفهم بأحواله كو ٤ : ٧ ويقول فى رسالة أفسس « لكى تعلموا أنتم أيضا أحوالى ماذا أفعل يعرفكم بـكل شىء تيخيكس الأخ الحبيب أ ف ٦ : ٢١ فتيخيكس يرتبط ارتباطا وثيقا بالرسالتين • الا أن ما نلاحظه أكثر من ذلك هو التشابه الشديد بين مادة الرسالتين • وقد بلغ هذا التشابه مبلغا عظيما حتى أننا نجـد ٥٥ آية بنفس الكلمات فى الرسالتين • ولذلك نقول ـــ كما قال كوليريدج ـــ ان رسالة كولوسى أما أن تكون بمثابة ما فاضت عنه رسالة أفسس أو أن رسالة أفسس بمثابة نسخة أخرى مفصلة من رســالة كولوسى وسنرى فى النهاية أن هــذا التشابه هو الذى يكشف لنا سر المكانة الخاصة التى تحتلها رســالة أفسس بين رسائل بولس الرسول •

المشـــكلة :

فمن المؤكد إذن أن رسالة أفسس كتبت عندما كان بولس الرسول فى السجن لأجل الايمان وأن رسالة أفسس وثيقة الصلة برسالة كولوسى •

فأين تكمن المشكلة ياترى ؟ تبرز المشكلة عندما نسأل : لمن كتبت رسالة أفسس ؟ فقديما كانت الرسالة تكتب على درج من البردى • وعندما كان الكاتب يفرغ من كتابة الرسالة كانوا يربطونها بخيط وان كانت الرسالة شخصية أو هامة فان عقد الخيط كانت تختم بنوع من الشـــمع • وقلما كانوا يضعون عليها عنوانا وذلك ببســـاطة لأنه لم تكن هنـــالك خدمات بريدية للفرد العادى فى العالم القديم • فقد كان هنالك بريد حكومى الا أنه كان للمراسلات الرسمية والامبراطورية فقط ولم يكن متاحا لمراسلات الشخص العادى • فقد كانت الرسائل تسلم وكان يطلب من أحـــد الأفراد أن يسلمها شخصيا ،لذلك فلم يكن هنالك لزوم لكتابة العناوين • ولهذا ، فعناوين رسائل العهد الجديد ليســـت على الاطلاق جـــزءا من الرسائل وانما اضيفت فيما بعد عنـــدما جمعت تلك الرســـائل ونشرت لتقرأها كل الكنائس •

وعندما ندرس الرسالة إلى أفسس بدقة وبدرجة من الفهم ، نلاحظ ضعف احتمال كتابتها لكنيسة أفسس • فهناك أسباب داخلية تقودنا لهذه النتيجة :

(أ) واضح أن الرسالة قد كتبت للأمم • فالمرسل اليهم « أمم فى الجسد المدعوون غرلة من المدعو ختانا •• بدون مســـيح ، اجنبيون عن رعوية اسرائيل وغرباء عن عهود الموعد » ٢ : ١١ ، ١٢ ويستحثهم بولس الرسول قائلا لا تسلكوا فيما بعد كما يسلك ســـــائر الأمم » ٤ : ١٧، وطبيعى أن كون الرسالة قد كتبت للأمم لايعنى أنها لم تكتب لأفسس الا ان هذه هى الحقيقة المؤكدة عمن كتبت اليهم هذه الرسالة •

(ب) ولا يستطيع أحد أن ينكر أن رسالة أفسس جاءت خالية من

اللمسة الشخصية أكثر من أى رسائل بولس الرسول • فمن بدايتها الى نهايتها خلت من اللمسة الشخصية ، فلا توجد فيها آية تحيات شخصية ، وهى تخلو تماما من العبارات الشخصية الموجهة الى هذا أو الى ذاك مما تفيض به رسائل بولس الرسول الأخرى • ويدفعنا هذا الى مزيد من التسائل ، متى تذكرنا أن بولس قضى فى أفسس مـدة أطول من الوقت الذى قضاه فى أية بلدة أخرى • فقد قضى ما لايقل عن ثلاث سنوات فى أفسس (أ ع ١٨ : ٩ ، ١٠) ثم نجد مرة أخرى فى أ ع ٢٠ : ١٧ ــ ٣٥ خطاب بولس الوداعى لشيوخ أفسس قبل أن يغادر ميليتس فى رحلته الأخيرة • ولا يوجد فى العهد الجديد بجملته ما يفوق هذه الفقـرة فى مشاعر الود والقرب • وازاء كل هذا فمن الصعب جدا أن نعتقد أنه يمكن لبولس الرسول أن يكتب مثل هذا الخطاب لأفسس ، ويأتى خاليا تماما من اللمسة الشخصية ودون علامات الود والقرب •

(جـ) وبالاضافة الى ذلك فان الخطاب يدل على أن بولس والمكتوب اليهم لم يعرفا بعضهما البعض معرفة شخصية وأن معرفتهما لبعضهمـا انما تعتمد على المسموعات ــ وعلى ما قرره آخرون وليس عن صـلة شخصية • فيقول بولس فى ١:١٥ «اذ قد سمعت بايمانكم بالرب يسوع» • وولاء المكتوب اليهم انما بلغة من آخرين وليس عن طريق الاختبار • ففى ٣ : ٢ يكتب اليهم « ان كنتم قـد سمعتم بتدبير نعمة الله المعطـاة لى لأجلكم » ومعنى هـذا : « ان كنتم قـد سمعتم بأن الله أعطانى عمل ووظيفة رسول الأمم أمثالكم » • فمعرفة الكنيسة ببولس فى هذه الحالة باعتبار كونه رسول الأمم كانت شيئا قد سمعوا عنه ،ولكنهم لم يتعرفوا اليه عن طريق الاتصال الشخصى به • وبذلك فالرسالة تحوى من الداخـل

علامات لا تتناسب والعلاقة الشخصية الوثيقة التى كانت تربط بولس بكنيسة أفسس .

ويمكن أن يجد المرء أسبابا لهذه الحقائق ، كما يمكنه أن يفسرها حتى لاتقود المرء الى ما قررناه الآن . إلا أن هنالك حقيقة خارجية تنهى التساؤل بصفة قاطعة . ففى ١ : ١ لا تحوى أى المخطوطات اليونانية القديمة كلمة « فى أفسس » فالمخطوطات الهامة كلها تقول « بولس ... الى القديسين والمؤمنين فى المسيح يسوع » ونعلم من الطريقة التى كتب بها الآباء اليونانيون القدماء تعليقاتهم وشروحاتهم لهذه الرسالة ، أن هذه هى الصورة التى عرفوا بها الآية الأولى من هذه الرسالة .

هل كتب بولس هذه الرسالة :

هنالك من العلماء من وجدوا صعوبة أخرى فى رسالة أفسس . فلقد شكوا فى أن يكون بولس هو الذى كتب هذه الرسالة . فعلى أى أساس بنوا شكوكهم ياترى ؟ يقولون إن مفردات الرسالة تختلف عن المفردات التى يتميز بها بولس . وفى الواقع أنه يوجد ما يقرب من سبعين كلمة فى أفسس لا نجدها فى أى من الرسائل التى كتبها بولس . ويجب أن لا تثير فينا هذه الحقيقة أى شىء من القلق فالحقيقة الواضحة هى أن بولس يتحدث فى أفسس بشأن أمور لم يتحدث عنها من قبل . فهو يسير على درب لم يسبق له أن سار فيه ، وطبيعى أنه احتاج الى كلمات جديدة تعبر عن الأفكار الجديدة . فمن غير المعقول أن نطلب من رجل له مثل عقلية بولس أن لايضيف الى مفرداته شيئا وأن يعبر عن نفسه بنفس الكلمات . ويقولون إن الأسلوب ليس أسلوب بولس . وواضح أن أسلوب أفسس يختلف عن سائر الرسائل مما نلمحه فى

الترجمات المختلفة ويظهر واضحا فى اللغة اليونانية • فالرسائل الأخرى كتبت جميعا لمواجهة موقف محدد ، أو حالة طارئة محـــددة أو مجموعة محددة من المشاكل • الا أن أفسس كما يقول عنها أ • هـ مكنيل « رسالة لاهوتية ، أو بالأحرى رسالة دينية » وحتى إستخدام اللغة مختلف • ويعبر « موفات » عن هذا الأمر بأن لغة بولس تفيض عادة وكأنها سيل منهمر ، وتحوى كلمات حماسية كأنها شلالات ، الا أننا نجد فى أفسس « مجرى واضح هادىء يفيض منتظما وقد بلغ أقصى شطوطه » وطول الجمل فى أفسس طول مدهش ففى اليونانية نجد أن أ ف ١ : ٣ ــ ١٤ ، ١٥ ــ ٢٣ ، ٢ : ١ ــ ٩ ، ٣ : ١ ــ ٧ كل منها جملة طويلة متشـــابكة • ولذلك فيقول مكنيل عن هذه الرسالة فى تعبير صـــادق جميل ، انهـــا « شعر منثور » وكل هذا يختلف عن أسلوب بولس العادى • فماذا يمكن أن نقول عن هذا ؟ هناك أولا الحقيقة العامة بأن كل كاتب عظيم لا يكتب دائما بنفس الأسلوب • فشكسبير هو الذى استطاع ان ينتج الأساليب المتباينة جدا التى نجدها فى « هملت » و « حلم ليلة منتصف الصيف » وغيرهما من الروايات والاشعار • ان أى كاتب عظيم ــ وقد كان بولس كاتبا عظيما ــ يكتب الأسلوب الذى يناسب هدفه وظروفه وقت الكتابة • ان من يقول إن بولس لم يكتب أفسس لأنه يستخدم مفردات جـــديدة وأسلوبا جديدا ، يعتبر نقده نقدا رديئا • الا أن هنالك ما هو أعمق من ذلك • فلنتأمل كيف كتب بولس أغلب رسائله : لقد كتبها وسط انشغال كبير فى الخدمة حيث كان فى أغلب الأحيان مسافرا من مكان الى مكان • لقد كتبها وهو يواجه فى كل منها مشكلة ملحة ، كان يجب أن يواجهها فورا وللتو • وهذا يعنى أن بولس كتب أغلب رسائله فى ظروف صعبة جدا • ولم يكن عنصر الوقت فى جانبه فى أغلب الأحيـــان • فلنتأمل الآن كيف

كتب أفسس • لقد كتبها وهو فى السجن • وبذلك نقول أن الوقت كان متوفرا لديه تماما • فلم يكن فى حاجة لأن يسرع بكتابة هذه الرسالة ، فقد كانت أمامه الشهور الطويلة فى السجن ولم يكن لديه مايشغله سوى أن يفكر وكتب • ولذلك فهل غريب ياترى أن يكون أسلوب أفسس مختلفا عن سائر الرسائل ؟ وأكثر من ذلك ، أن هذا الأسلوب المختلف أسلوب التأمل واللغة الشعرية يظهر واضحا بصفة خاصة فى الفصول الثلاثة الأولى ، التى هى صلاة طويلة تنتهى فى كلمات التمجيد التى يختتم بها الفصل الثالث • وفى الحقيقة أنه لا يوجد ما يماثل ذلك فى كل رسائل بولس الرسول • فهذه لغة الصلاة الشعرية لا لغة الجدل واختلاف، وجهات النظر والتوبيخ •

انه من الصواب حقا أن نقول « ان رسالة أفسس مكتوبة بمفردات وأسلوب يختلف عن رسائل بولس الأخرى ، الا أن رسالة أفسس قد كتبت لتعبر عن أفكار جديدة فى ظروف مختلفة تماما — وكما سنرى — لغرض يختلف تمام الاختلاف عن سائر الرسائل الأخرى فالاختلافات لاتثبت أبدا أن بولس الرسول لم يكتب رسالة أفسس •

فكر الرسالة :

هنالك علماء يذهبون الى القول بأن فكر رسالة أفسس يتجاوز فكر أية رسالة أخرى من رسائل بولس الرسول • فلنتأمل ما هو فكر رسالة أفسس • لقد لاحظنا أن رسالة أفسس ترتبط ارتباطا وثيقا برسالة كولوسى والفكر المركزى العظيم لرسالة كولوسى هو كفاية المسيح يسوع التامة • ففى يسوع المسيح تحل كل المعرفة وكل الحكمة (كو ٢ : ٣) فقد سرب الآب أن يحل فيه كل الملء (كو ١ : ١٩) • فى تلك العبارة

العظيمة ، فى المسيح يحل كل ملء اللاهوت جسديا (كو ٢ : ٩) فهو وحده الضرورى والكاف لخلاص الانسان (كو ١ : ٤) وكل فكر كولوسى مبنى على كفاية المسيح الكاملة • وفكر أفسس هو تنمية هذه الفكرة • وكل فكر أفسس يتلخص فى آيتين من الفصل الأول وهما اللتين يتحدث فيهما بولس الرسول عن الله الذى عرفنا بسر مشيئته حسب مسرته التى قصدها فى نفسه لتدبير ملء الازمنة ليجمع كل شىء فى المسيح ما فى السموات وما على الأرض فى ذاك (أفسس ١ : ٩ ، ١٠) ومفتاح فكر أفسس هو جمع كل شىء فى يسوع المسيح • فالمسيح هو المركز الذى تجتمع فيه كل الأشياء والرباط الذى يوحد كل الأشياء • فالطبيعة بدون المسيح لايوجد فيها سوى التفكك وعدم التوافق • فهناك حرب فى الطبيعة ، وهى مخضبة بالدماء فتسلط الانسان قد حطم الرابطة التى يجب أن تكون بين الانسان والحيوان ، وانقسم الانسان على الانسان ، والطبقة على الطبقة ، والأمة على الأمة ، والمبادىء على المبادىء ، والأممى على اليهودى • فالعالم اذ نراه بدون المسيح عالم منقسم مفكك دون ما توافق • وما يصدق على عالم الطبيعة الخارجية انما يصدق على الطبيعة البشرية نفسها • ففى كل انسان هنالك توتر • وكل انسان انما هو حرب أهلية متحركة • فهنالك معركة مستمرة بين الجانب السامى والجانب الوضيع فى الانسان • ويتمزق الانسان دائما بين الرغبة فى الخير والرغبة فى الشر • فهو يمقت خطاياه ويحبها فى عين الوقت • ويقول الفكر اليونانى واليهودى فى عصر بولس الرسول أن هذه المعركة وعدم التوافق وعدم الاتحاد انما تمتد أيضا الى الاماكن السماوية • فهنالك معركة كونية تدور رحاها بين قوات الشر وقوات الخير ، بين الأرواح الطيبة والأرواح الشريرة ، وبين القوات الملائكية ، وبين الله والشياطين • وأسوأ من كل هذا هنالك عدم توافق ، وانقسام ، وانفصال بين الله والانسان •

فالانسان الذى كان مقدرا له أن يكون فى شركة مع الله ، أصبح غريبا عن الله ، ولذلك ففى هذا العالم بدون المسيح حينما امتد بنا البصر لايوجد سوى الانقسام • وهذا الانقسام ليس قصد الله • فلقد قصد الله لهذا الكون أن يكون توافقا وليس عدم توافق • ولايمكن الانقسام أن يصبح اتحادا ، وعدم التوافق أن يصير توافقا الا عندما تتحد جميع الأشياء • يتحد كل البشر وكل القوات فى السماء وعلى الأرض فى المسيح•ويعبر آ •ف• سكوت عن هذه الحقيقة بقوله : «ان الأجزاء المحطمة التى لاتحصى، كان مقدرا لها أن تتحد فى المسيح ، لتتجمع مرة ثانية فى وحدة واحدة ، كما كانت فى البداية • فالفكر المركزى فى رسالة أفسس هو أن يدرك المرء التفكك فى الطبيعة ، والتفكك فى الانسان ، والتفكك فى الزمن ، والتفكك فى الأبد ، والتفكك بين الله والانسان ، وأن يقتنع بأن كل هذا التفكك يمكن أن يتحول الى وحدة وتوافق عندما يتحد كل البشر وتتحد كل القوى فى المسيح •

مصدر فكر بولس :

كيف وصل بولس الرسول الى هذه الفكرة العظيمة التى تقــول بوحدة كل الأشياء فى المسيح يسوع ؟ أغلب الظن أنه وصل الى هــذه الفكرة عن طريقين • فمن المؤكد أن هذه الفكرة كانت نتيجة اقتناعه الذى يقرره بوضوح فى رسالة كولوسى بأن المسيح فيه الكفاية التامة • فان كانت الكفاية التامة فى المسيح فكل البشر وكل الأشياء وكل القوى يمكن أن تبلغ التوافق والاتحاد عندما تقبل المسيح وتحيا فيه • الا أن أغلب الظن أن هنالك شيئا آخر حرك فكر بولس فى هذا الاتجاه • لقد كان بولس مواطنا رومانيا ؛ وكان يفخر بذلك • وفى رحلاته رأى الكثير من

الامبراطورية الرومانية،وهاهو قد وصل الى روما عاصمة الامبراطورية• ولقد قادت الامبراطورية الرومانية العالم الى وحدة جديدة وما كانوا يطلقون عليه اسم Pax Romana أى السلام الرومانى كان حقيقـــة واقعة • فالممالك والولايات والبلدان التى تطاحنت فى المعارك وتصارعت وتنافست وتحاربت قد تجمعت فى وحـــدة جديدة فى امبراطورية روما فزالت الحواجز ، وحلت الجسور مكان الانقسامات ، وانتهت العداوة ، وهدأ التوتر ، وتم جمع شمل الجميع فى روما الواحدة • ولعل بولس فى سجنه رأى بصورة جديدة كيف تركزت هذه الوحدة فى روما ، ولعله رأى فى تلك الوحدة رمزا ومثالا للوحـــدة التى يجب أن تتمركز فى المســيح وتتجمع فيه ، ان كان يمكن للطبيعة وللعالم وللانسانية أن تصـــل الى التوافق والاتحاد • وأنه لمن المتيقن أن هذه الفكرة لم تكن خارج نطاق تفكير بولس ، فكل فكره واختباره انما يقوده الى هذه الحقيقة بالذات •

عمل الكنيسة :

يتناول بولس الرسول فكرة التوافق والوحدة فى المسيح فى الفصول الثلاثة الأولى • وفى الفصـــول الثلاثة الثانيـــة يتحدث كثيرا عن مكانة الكنيسة فى الخطة الالهية للتوافق والاتحاد • فالى أى شىء تشـــير الكنيسة ؟ وما هو عمل الكنيسة الحقيقى فى الخطة الالهية ؟ وما هو دور الكنيسة فى اتمام القصد الالهى بأن يخلق عالما جديدا متحدا فى وســـط عالم منقسم • وهنا يصوغ بولس عبارة من أعظم عباراته : الكنيســـة جسد المسيح • فالكنيسة هى الايدى التى تقوم بعمل المسيح ، والأقدام التى تسعى لتنفيذ شئونه ، والفم الذى يتحدث بالنيابة عنه ، والأداة والجسد الذى يعمل من خلاله • وبذلك فهنالك فكرة مزدوجة فى رسالة أفسس •

أولا : ان المسيح هو الأداة الالهية للمصالحة .

ثانيا : ان الكنيسة هى أداة المسيح للمصالحة . فيجب على الكنيسة أن تقدم المسيح للعالم ، وفى داخل الكنيسة يجب أن تتحطم كل الحوائط الحاجزة والفاصلة فعن طريق الكنيسة يجب أن تتم وحدة كل العناصر المتنافرة وتتحقق . فالكنيسة هى التى تقدم المسيح الذى فيه وحده يمكن الاتحاد ، وداخل الكنيسة يجب أن يبلغ المرء هذه الوحدة ويحققها . ويعبر أ . ف . سكوت عن ذلك قائلا : « ان الكنيسة قائمة لتتحقق المصالحة التى جاء المسيح لأجلها فى كل انحاء العالم ، ولذلك ففى كل تعامل المسيحيين مع بعضهم البعض يجب أن يسعوا لتحقيق هذه الفكرة التى تتكون الكنيسة على أساسها » .

من سوى بولس :

هذا إذن هو فكر رسالة أفسس . لقد رأينا ، أن هنالك من لايمكنهم وهم يتأملون مفردات وأسلوب وفكر هذه الرسالة ، أن يصدقوا أن بولس قد كتبها . ولقد قدم العالم الامريكى أ . ج . جود سبيد نظرية طريفة ولكنها غير مقنعة . فالاحتمال الأعظم هو أنه تم جمع رسائل بولس الرسول لأول مرة فى سنة ٩٠ م وذلك فى أفسس حيث نشرت تلك الرسائل وأرسلت الى الكنيسة العامة . وتقول نظرية جود سبيد أن الشخص الذى قام بجمع رسائل بولس كان تلميذا محبا لبولس وقد كتب رسالة أفسس لتكون بمثابة مقدمة وتمهيد للمجموعة كلها . وتتحطم هذه النظرية تماما أمام حقيقة واضحة : فأى محاكاة تكون دائما وطبعا أقل من الأصل . فالعمل الثانوى ينبىء عن نفسه بأنه عمل ثانوى . الا أن أفسس على نقيض ذلك ، بعيدة كل البعد عن أن تعتبر الأدنى ، لأنها

يمكن أن تعتبر أعظم رسائل بولس على الاطلاق • وعلى ذلك فان لم يكن بولس قد كتبها فيجب أن نستنتج أن كاتبها شخص تعادل عظمته عظمة بولس الرسول أو بالأحرى اعظم منه • ويطالب أ • ف • سكوت فى هذا الصدد قائلا : هل يمكننا أن نصدق أنه كان فى كنيسة عصر بولس الرسول معلم مجهول بمثل هذا التفوق والروعة ؟ فالافتراض الطبيعى ، بكل تأكيد ، هو أن رسالة تشبه كثيرا أفضل ماسطرته يد بولس الرسول ، انما لم يكتبها ســـوى بولس الرسول نفسه • فلم ير أحد المسيح فى صورة أروع من هذه الصورة التى تقدمه لنا كالمركز الواحـد الذى تتحد فيه كل تمزقات الحياة • ولم ير أحد الكنيسة فى صورة أعظم من أن يراها اداة الله للمصالحة التى تشمل العالم بأسره بل الكون كله • وحرى بنا أن نؤمن أنه ما من شخص سوى بولس الرسول يسمو الى مثل هذه الرؤية •

وجهة رسالة افسس :

يجب أن نعود ثانية الى المشكلة التى تركناها معلقة من قبل ، فان لم تكن رسالة أفسس قد كتبت لأفسس ــ وقد رأينا من قبل أن هنالك شكا عظيما فى أن تكون كذلك : فلنسأل الآن لأى كنيسة قد كتبت ؟ •

وتقول أقدم الآراء إنهـا كتبت الى لاودكيـة • ففى كو ٤ : ١٦ يقول بولس : ومتى قرئت هذه الرسالة فاجعلوها تقرأ أيضا فى كنيسـة اللاودكيين والتى من لاودكية تقرأونها أنتم أيضا • ومن هذه العبـارة نتأكد أن بولس الرسول قد أرسل خطابا الى لاودكية • وليست هنالك رسالة بهذا الاسم بين رسائل بولس الرسول التى بين أيدينا • ولقدكان مارسيون من أول من كون مجموعة من رسائل بولس • وكتب قائمة بها

فى منتصف القرن الثانى تقريبا وهو يطلق فعلا على رسالة أفسس اسم الرسالة الى لاودكية • ولذلك فمن عصر مبكر جدا لابد أنه ساور الكنيسة إحساس بأن أفسس قد أرسلت أولا الى لاودكية •

فان كنا نقبل هذا الافتراض الجذاب فاننا سنحتاج بعد ذلك أن نوضح كيف فقدت هذه الرسالة عنوانهـا الخاص بلاودكية وارتبطت بأفسس ؟ ويمكن أن نجد تفسيرين • فلربما بعد موت بولس الرســول علمت كنيسة أفسس أن كنيسة لاودكية تمتلك رسالة رائعة جدا من قلم بولس الرسول • ولربما كتب المسيحيون فى أفسس الى لاودكية فى طلب نسخة من الرسالة • ولربما عملت نسخة وأرسلت ولم تحذف منها سوى الكلمتين «فى لاودكية» فى الآية الأولى وتركوا فراغا فى مكانهما ، حيث أننا نجد فراغا فى أقدم المخطوطات • وبعد مايقرب من ثلاثين سنة بعد ذلك ، جمعت رسائل بولس الرسول للنشر العام • وتقع لاودكية فى منداقة اشتهرت بالزلازل • ولعل كل ماحفظته كنيسة لاودكية اندثر • ولذلك فعندما جمعوا رسائل بولس كانت النسخة الوحيدة من الرســالة الى لاودكية هى تلك التى كانت موجودة بأفسس • وضمت تلك الرسالة الى مجموعة رسائل بولس الرسول ، واذ وجدت تلك الرسالة فى أفسس عرفت باسم الرسالة الى أفسس لأن النسخة الوحيدة الموجودة انما كانت فى أفسس ، وهذا محتمل جدا •

والتفسير الثانى هو ما نادى به العالم الألمانى العظيم هارناك • ففى الأيام التالية لخدمة بولس الرسول سقطت كنيسة لاودكيــة مــن النعمة سقوطا مؤسفا • ففى سفر الرؤيا هنالك رسالة مؤثرة الى كنيسة لاودكية (رؤ ٣ : ١٤ ــ ٢٢) وفى تلك الرسالة يعاتب المسيح المقام فى

حزن وبلا هوادة كنيسة لاودكية لدرجة أن يقول لها تلك العبارة الشديدة «سأتقيأوك من فمي» «رؤ ٣ : ١٦» وقد كانت في العالم القديم عادة يطلقون عليها اسم Damnatio Memoriae وهي لعنة ذكرى واحد من الناس • فلربما قام احدهم بخدمات بارزة للدولة تدعو الى ذكر اسمه في الكتب وفي سجلات الدولة وفي اللوحات التذكارية • الا أن هذا الانسان قد ينهي حياته بعمل دنيء من الخيانة أو شيء مشين من عدم الامانة أو فعل يقضي تماما على الشرف • وفي مثل تلك الحالات كانوا يحكمون « بلعنة » ذكراه فيمحون اسمه من كافة الكتب ، ويحذفونه من كافة اللوحات التذكارية • وبذلك كانوا يطبقون على هذا الانسان فكرة Damnatio Memoriae ويعتقد هارناك أن هذا هو عين ماحدث مع كنيسة لاودكية ولذلك فقد شطبوا اسمها من السجلات المسيحية • وان كان الأمر كذلك فان نسخ الرسالة الى لاودكية تكون قد حفظت دون عنوان على الاطلاق ، وعندما جمعوا الرسائل في أفسس ، وبما أن هذه الرسالة وجدت في أفسس ، فلعل اسم أفسس ارتبط بها لأنه لم يكن بها اسم آخر •

الخطاب الدوري :

ان التفسيرين السابقين ممكنان • الا ان هنالك رأيا آخر يرجح احتمال وقوعه كثيرا وهو ما نعتقد أنه صواب • فنعتقد أن النسخ المبكرة من رسالة أفسس لاتحوي اسم أي كنيسة ، لأن هذه الرسالة لم تكتب في الواقع لكنيسة واحدة ، ولكنها كتبت كخطاب دوري لكل كنائس بولس الرسول في آسيا • فلم تكن هذه الرسالة ملك كنيسة واحدة ولكنها كانت دائما ملك الكنائس • ولننظر مرة أخرى لما قاله بولس الرسول في كو ٤ : ١٦ فهو يقول : « متى قرئت عندكم هذه الرسالة فاجعلوها تقرأ أيضا في

كنيسة اللاودكيين والتى من لاودكية تقرأونها أنتم أيضا » • ونلاحظ أن بولس الرسول لا يقول إن الكولوسيين يجب أن يقرأوا الرسالة الى لاودكية ، بل أن يقرأوا الرسالة من لاودكية • فكأنه يقول : « هنالك رسالة تمر من كنيسة الى كنيسة ، وفى هذه اللحظة قد وصلت هذه الرسالة الى لاودكية ، فمتى وصلت اليكم ، أى متى أرسلت اليكم من لاودكية ، تأكدوا من أن تقرأوها • « وهذا يعنى أن هنالك رسالة كانت تمر بين كنائس آسيا •ونعتقد أن الخطاب الذى كانوا يحملونه من كنيسة الى كنيسة انما هو رسالة أفسس •

خلاصة تعليم بولس الرسول :

فان كان الأمر كذلك ، وهذا ما نعتقده ، فتكون رسالة أفسس هى أسمى رسائل بولس الرسول • لقد لاحظنا أن أفسس وكولوسى قريبتان جدا احداهما للأخرى • ونعتقد أن ماحدث هو أن بولس كتب كولوسى ليعالج موقفا محددا وهرطقة محددة ظهرت فى الأفق • وبينما كان يكتب عثر على تعبيره العظيم عن كفاية المسيح الكاملة • فقال لنفسه : « يجب أن أوصل هذه الفكرة لكل البشر » • وبذلك أخذ المادة التى استخدمها فى كولوسى وجردها من كل الأمور المحلية والأمور التى ترتبط بزمن معين ، كما خلصها أيضا من النواحى الجدلية ، وكتب رسالة جديدة لكل البشر عن كفاية المسيح التامة • فالرسالة الى أفسس كما نراها هى الرسالة الوحيدة التى أرسلها بولس الرسول لكل الكنائس الشرقية ليقول لهم إن الوحدة المقررة لكل البشر وكل الأشياء لايمكن أن نجدها الا فى المسيح ، وأن يحدثهم عن واجب الكنيسة الأعظم ، ألا وهو أن تكون اداة

المسيح وجسـده فى القيام بالمصالحـة التى تشمل العالم بأسره ، اذ يتصالح الانسان مع الانسان ، والانسان مع الله • ولهذا تعتبر أفسس بلاشك ملكة الرسائل •

التفســير

أفسس

ان الفكرة التى يقدمها بولس الرسول فى أفسس مترابطـة تماما وتبدأ فى أحيان كثيرة بجمل طويلة معقدة يصعب جدا تحليلها • فان كنا نريد فعلا أن ندرك المعانى التى قصدها فهنالك أجزاء يحسن أن نقـرأ الرسالة فيها فى أقسام طويلة أولا ثم نقسم هـذه الأجزاء بعدئـذ الى فقرات قصيرة للدراسة التفصيلية •

ٱلْأَصْحَاحُ ٱلْأَوَّلُ

قصد الله

١ بُولُسُ رَسُولُ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ بِمَشِيئَةِ ٱللهِ إِلى ٱلْقِدِّيسِينَ
ٱلَّذِينَ فِي أَفَسُسَ وَٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ ٢ نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلَامٌ
مِنَ ٱللهِ أَبِينَا وَٱلرَّبِّ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ . ٣ مُبَارَكٌ ٱللهُ أَبُو رَبِّنَا
يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ ٱلَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي ٱلسَّمَاوِيَّاتِ
فِي ٱلْمَسِيحِ . ٤ كَمَا ٱخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ ٱلْعَالَمِ
لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلَا لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي ٱلْمَحَبَّةِ . ٥ إِذْ سَبَقَ
فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ
٦ لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ ٱلَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي ٱلْمَحْبُوبِ .
٧ ٱلَّذِي فِيهِ لَنَا ٱلْفِدَاءُ بِدَمِهِ غُفْرَانُ ٱلْخَطَايَا حَسَبَ غِنَى

نِعْمَتِهِ ٨ ٱلَّتِي أَجْزَلَهَا لَنَا بِكُلِّ حِكْمَةٍ وَفِطْنَةٍ ٩ إِذْ عَرَّفَنَا بِسِرِّ
مَشِيئَتِهِ حَسَبَ مَسَرَّتِهِ ٱلَّتِي قَصَدَهَا فِي نَفْسِهِ ١٠ لِتَدْبِيرِ مِلْءِ
ٱلْأَزْمِنَةِ لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي ٱلْمَسِيحِ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى
ٱلْأَرْضِ فِي ذَاكَ . ١١ ٱلَّذِي فِيهِ أَيْضًا نِلْنَا نَصِيبًا مُعَيَّنِينَ سَابِقًا
حَسَبَ قَصْدِ ٱلَّذِي يَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ ١٢ لِنَكُونَ
لِمَدْحِ مَجْدِهِ نَحْنُ ٱلَّذِينَ قَدْ سَبَقَ رَجَاؤُنَا فِي ٱلْمَسِيحِ . ١٣ ٱلَّذِي
فِيهِ أَيْضًا أَنْتُمْ إِذْ سَمِعْتُمْ كَلِمَةَ ٱلْحَقِّ إِنْجِيلَ خَلَاصِكُمُ ٱلَّذِي فِيهِ
أَيْضًا إِذْ آمَنْتُمْ خُتِمْتُمْ بِرُوحِ ٱلْمَوْعِدِ ٱلْقُدُّوسِ ١٤ ٱلَّذِي هُوَ
عَرَبُونُ مِيرَاثِنَا لِفِدَاءِ ٱلْمُقْتَنَى لِمَدْحِ مَجْدِهِ .

(أفسس ١ : ١ — ١٤)

تحيات لشعب الله

يبــدأ بولس رســالته بالشيئين الوحيدين اللذين كان يعتز بأنه يملكهما •

١ — فهو رسول المسيح • وعندما قال بولس ذلك فقــد كانت فى فكره أشياء ثلاثة •

(أ) فهو يعنى أنه ينتمى للمسيح ،فحياته لم تكن ملكا له يفعل بها ما يشاء ، ولكنه كان ملكا ليسوع ، ويجب عليه أن يحيا دائما ، لا كما يريد هو أن يعيش ولكنما أراد له المسيح أن يحيا •

(ب) قصد أنه مكلف ومرسل من يسوع المسيح فالكلمة apostolos مشتقة من الفعل apostellein الذى يعنى يرسل أو يبعث فيمكن

استخدامه مثلا عن بعثة بحرية ترسل فى مهمة خاصـــة ، كمايمكن أن يستخدم أيضا عن سفير ترسله بلاده . فهذا الفعل يصف شخصا يرسل فى مهمة خاصة ليقوم بها.فالمسيحى يحس بنفسه فى كل حياته كأحدأفراد قوات المسيح الخاصة . فهو انسان صاحب رسالة ، رسالة خدمة المسيح فى هذا العالم .

(ج) قصـد أن أية قـوة يمتلكهـا هى قـوة موكولـة اليه . لقـد كان السنهدريم مجلس اليهـود الأعلى . ففى الشئون الدينيـة كان للسنهدريم سلطان على كل يهودى فى مختلف أنحاء العالم . وعندما كان السنهدريم يصـل الى قرار معين كانوا يسلمون هـذا القـرار « لرسول » ، ليقوم بتوصيله لمن يهمهم الأمر وليتحقق من تنفيذ القرار فعلا . وعندما كان مثل هذا « الرسول » يذهب ، فانه لم يذهب ببساطة بسلطانه الشخصى ولابقوته هو . فمن خلفه ، وفى شخصه ، كانت تستقر سلطة السنهدريم الذى كان يمثله . والمسيحى ممثل المسيح فى العالم ، ولكنه لم يترك ليقوم بهذا الواجب بقوته الشخصية ، بل بقوة المسيح فيه .

٢ — ويقول بولس أيضا إنه رسول بمشيئة الله . واذ فاه بهـذه الكلمات لم تكن نبرات صوته نبرات الكبرياء وانما نبرات الدهشـة البالغة . فقد وقف بولس للنهاية مشدوها : كيف أمكن أن يختـار الله انسانا مثله ليقوم بعمل الله .

احسنت ظنك بنـا
وانت ذا الالـه
عقلى انا يا سيدى ، فى ظلمة قد تاه
لكن قلبى يشرق بالنور يا الله

يجب على المسيحى أن لا يمتلىء أبدا بالكبرياء إزاء أى عمل يكلفه

الله به ، بل يجب أن يمتلىء بالدهشة البالغة لأن الله قد اعتبره مستحقا لنصيب فى عمله ٠

ثم يتقدم بولس ليوجه خطابه الى شعب أفسس والمؤمنين فى المسيح يسوع ٠ والمسيحى انسان يعيش دائما حياة مزدوجة ٠ فأصدقاء بولس كانوا يعيشون فى أفسس وكذلك فى المسيح ٠ ولكل مؤمن عنوان بشرى وعنوان الهى ٠ فهو يقيم فى مكان محدد فى هذا العالم ، ولكنه يقيم أيضا فى المسيح ٠ وهذا بالضبط هو سر الحياة المسيحية ٠ يحدثنا اليستر مكلين عن سيدة مرت فى ظروف قاسية ولكنها كانت متزنة دائما ، وعندما سألوها عن سر ذلك قالت : «ان سرى هو أننى وأنا أشق عباب البحار ، أحتفظ بقلبى دائما فى الميناء » ٠ ان سر الوقار المسيحى هو أنه حيثما كان المسيحى فهو دائما فى المسيح ٠

ويبدأ بولس بالتحية التى يستهل دائما بها رسائله «نعمة لكم وسلام»٠ وهنا نجد كلمتى الايمان المسيحى العظيمتين ٠ وكلمة نعمة تحمل بين طياتها باستمرار فكرتين رئيسيتين فالنعمة دائما شىء محبب الى النفس٠ فيجب أن تحوى الحياة المسيحية شيئا جذابا ومحببا للنفس ، والمسيحية التى فقدت الجاذبية ليست مسيحية حقيقية ٠ والنعمة تصف دائما عطية أو هدية ، وهى تلك العطية التى ماكان يمكن للمرء أن يحصل عليها بنفسه وما كان يمكنه أن يدفع مقابلها ولا أن يستحقها ٠ ومعاملة الله معنا وعطيته لنا انما هى أشياء يسبغها علينا سخاء قلب الله ٠ فكلما ذكرنا كلمة نعمة يجب أن نفكر فى جمال المسيحية الرائع ، وسخاء قلب الله الذى يجود به علينا دون استحقاق منا ٠ وعندما نفكر فى كلمة سلام وعلاقتها بالحياة المسيحية يجب أن نكون على حذر ٠ فالكلمة اليونانية هى eirene ولكنها ترجمة للكلمة العبرية « شالوم » وكلمة سلام فى الكتاب المقدس لاترد ابدا بمعنى سلبى ٠ فهى لاتصف أبدا مجرد عدم وجود المشاكل

والصعوبات والآلام • فكلمة « شالوم » تعنى كل ما من شـأنه خـير للانسان الأسمى ، وكل ما من شأنه أن يجعل الانسان انسانا بأسمى ماتعنيه كلمة انسان ، بل كل ما من شأنه أن يجعل الحياة جديرة بأن المرء يحياها • والسلام المسيحى لايعتمد بتاتا على الظروف الخارجية فقد يعيش انسان حياة سهلة تحيطها الكماليات المختلفة • وقد يستمتع بخيرات الأرض ، وقد يملك أفضل بيت وقد يكون رصيده فى البنوك أكبر رصيد ، ولكنه لايستمتع بالسلام • ومن الناحية الأخرى قد يتصور انسان جوعا فى السجن ، أو قد يكون على وشك الموت شهيدا ، أو قد يحيا حياة انتزعت منها كل وسائل الراحة ، ولكنه برغم هـذا يستمتع بالسلام الكامل • فما هو تفسير ذلك ؟ ان السبب فى ذلك هو أن هنالك مصدرا واحدا للسلام فى كل العالم وذلك هو أن ننفذ مشيئة الله • فنحن نعلم جيدا أننا عندما نعمل شيئا نعلم أنه ماكان يجب علينا أن نفعله ، أو عندما نتهرب من شىء نعلم أنه كان يجب علينا أن نفعله فسيطاردنا ويستقر فى خلفية تفكيرنا احساس بعدم الراحة وفقدان السلام • كما اننا نعلم جيدا أنه متى كنا نقوم بعمل شاق جدا ، بل حتى لو كنا نعمل شيئا لا نرغب فيه ، ولكننا نعلم أنه هو الصواب فهناك شعور بالراحة فى قلوبنا • «فسلامنا انما هو فى عمل مشيئته » والسلام الوحيد فى العالم هو فى تنفيذ مشيئة الله •

المختار من الله

ان الفقرة الطويلة من الآية الثالثة حتى الآية الرابعة عشرة انما هى جملة واحدة فى اللغة اليونانية • وهى جملة طويلة ومعقدة لأنها لا تمثل فكرة منطقية ، ولكنها أغنية شكر وتسبيح • ويسترسل فكر بولس،

لا لأنه يفكر فى خطوات منطقية ولكنما لأن هنالك عطية من بعد عطيـــة ، أعجوبة الهية من بعد أعجوبة ، تمر أمام ناظريه وتدخل الى عقله • ولكى نتفهم هذه الجملة يجب أن نقسمها وأن ندرسها فى أجزاء قصيرة •

ويفكر بولس فى هذه العبارة فى المسيحيين كشعب الله المختار • ويسير تفكيره فى اتجاهات ثلاثة :

١ ـ فهو يفكر فى حقيقة اختيار الله •ولم يفكر بولس أبـــدا فى نفسه وكأنه اختار أن يخدم الله وأن يقوم بعمله • لقد اعتبر دائما أن الله هو الذى اختاره • قال المسيح لتلاميـــذه « ليس أنتم اخترتمونى ولكننى اخترتكم » (يو ١٥ : ١٦) لقد اعتبر بولس كل شىء من الله ، وهنا تكمن الأعجوبة • فليس عجيبا أن يختار الانســـان الله ، ولـــكن الأعجوبة هى أن يختار الله الانسان •

٢ ـ ويفكر بولس فى غنى اختيار الله • فقد اختارنا الله ليباركنا بالبركات التى لا توجد الا فى السماء • فهنالك أشـــياء معينـــة يجدها الانسان ويكتشفها بنفسه • الا أن هنالك أشياء ليست فى متناول يده • فقد يستطيع أى انسان بمفرده أن يصل الى مستوى معين فى الصناعة أو فى العلوم ، ويمكنه أن يصل الى مركز معين فى العالم • ويستطيع أن يجمع كمية معينة من ممتلكات هذا العالم • ولكنه لايستطيع بنفسه أن يصل الى الفضيلة أو الى سلام العقل • فلقد اختارنا الله ليعطينا تلك الأشياء التى لايمكن أن يمنحها سواه •

٣ ـ ويفكر بولس فى غرض اختيار الله • لقد اختارنا الله لنكون

قديسين وبلا لوم • وهنـــا كلمتان عظيمتان فكلمة قديس هى الكلمـــة اليونانية hagios وكلمة « هاجيوس » تحمـــل دائما فـــكرة الاختلاف والانفصال • فالشىء الذى نطلق عليه هـــذا الاسم هو شىء يختلف عن الأشياء العادية فالمعبد مقدس لأنه يختلف عن سائر المبانى • والكاهن مقدس لأنه يختلف عن سائر البشر العاديين • والذبيحة مقدسة لأنهـــا تختلف عن سائر الحيوانات ونقول ان الله سام فى قداسته لأنه يختلف عن البشر • ويوم الرب مقدس لأنه يختلف عن سائر الأيام • ولذا فنقول ان الله قد اختار المسيحى ليكون مختلفا عن سائر البشر • وهنا نجـــد الحقيقة ، بل التحدى الذى تتباطأ كنيسة عصرنا الحاضر عن مواجهته • فلم يساور المسيحى فى الكنيسة الأولى أدنى شك فى أنه يجب أن يكون مختلفا لدرجة قد تدفع العالم لأن يقتله ، وان كان من المؤكد أنه على الأقل سيكرهه • الا أن الكنيســـة فى عصرنا الحاضر تميل الى اذابـــة الفوارق بين الكنيسة والعالم • فكثيرا ما قلنـــا ، فى الواقع ، للنـــاس « مادمتم تعيشون حياة راقية محترمة فانه من المناسب جدا أن تكونوا أعضاء فى الكنيسة وأن تعتبروا أنفسكم مسيحيين • فلستم فى حاجة لأن تكونوا مختلفين كثيرا عن الآخرين » • وأنه ليجب فى الحقيقة أن يكون المسيحى متميزا تماما فى العالم • ويجب أن نذكر دائما أن هذا الاختلاف الذى ينبر المسيح عليه ليس اختلافا يبعد الانسان عن العالم ولكنه يجعل المسيحى مختلفـــا وهو فى العـــــالم • فيجب أن يكون من الممكن تمييز المسيحى فى المدرسة وفى المحل التجارى ، وفى المصنع ، وفى المكتب ، وفى المستشفى وفى كل مكان • ووجه الاختلاف هو أن المسيحى يحيا ويعمل ويسلك لا تحت ضغط أى أحكام بشرية ، ولكن كما يملى عليه نامـــوس المســـيح • فالمدرس المسيحى لايســـــعى لأن يرضى تعليمات الادارة

التعليمية أو ناظر المدرسة ، ولكنه يسعى ليرضى مايطلبه منــه المسيح وسيعنى هذا بالتأكيد موقفا مختلفا ازاء التلاميذ • والعامل المسـيحى لا يعمل ليرضى متطلبات اتحاد العمال ولكنما يسعى لارضاء المسـيح ، مما يجعله عاملا مختلفا تماما ، وقد ينتهى بـه الأمر لأن يكون مختلفـا لدرجة أن يطرد من اتحاد العمال • ولن ينظـر الطبيب المسـيحى الى مريضه كمجرد حالة ، ولكنه سينظر اليه كشخص • ورب العمل المسيحى سيهتم بما هو أسمى من الحد الأدنى للأجور ، أو أن يضع قواعد الحد الأدنى من شروط التوظيف • فحقيقة الأمر ببساطة هى أنــه لو أصبح العدد الكافى من المسيحيين « هجيوس » مختلفين ، يراعون المســيح فقط ، فان هذا سيحدث ثورة فى المجتمع • وهذا فعلا وفى الحقيقة هو واجب المسيحى • والكلمة بلا لوم هى الكلمة اليونانية amomos وأهمية هذه الكلمة سببه كونها كلمة تتعلق بالذبائح • ففى الناموس اليهودى كان يجب أن يفحص الحيوان ويمتحن قبل تقديمه ذبيحة • ومتى وجد فيه أى عيب كان يرفض باعتبار كونه لايصلح تقدمة لله • فالأفضل فقط كان يصلح تقدمة لله • وهذه الكلمة amomos تلمس الحياة بجملتها والانسان بجملته كتقدمة لله • فهى تدفعنا لأن نأخذ كل جزء من حياتنا ، عملنا ، ملذاتنا ، رياضتنا ، حياتنا العائلية ، علاقتنا الشخصـية ، وأن نجعلها بالصورة التى تليق بأن نأخذها ونقدمها لله •ولا تعنى هذه الكلمة أن يصبح المسيحى محترما ، ولكنها تعنى أنه يجب عليه أن يكون كاملا • فمتى قلنا إن المسيحى يجب أن يكون « أموموس » فان هـــذا يعنى ببساطة أن ينتقى إرضاء الذات ، وأن لايقنع المرء بمـا هو أقـل من الأسمى ، فهو تحد لأن يجعل الانسان حياته كاملة لدرجة يصلح معهـا تقدمة لله • فهذا يقضى على الروح التى تقول : « أعلم أن لى أخطـاء ولكننى لا أستطيع أن أغيرها » • انها نهاية تلك الروح التى تعلم أننا

نقوم بعملنا بأقل من المستوى الذى كان يمكن أن ننجز به هذا العمل ، ولكنها أصبحت راضية تماما بما هو أقل من الأسمى • فهى تعنى ببساطة أن المستوى المسيحى لايقل عن الكمال ، وأن المسيحى لايعلق أهمية على أحكام النظرة البشرية ولكنه يفكر فى إرضاء نظرة الله الفاحصة •

الخطــة الالهيــة

يتحدث بولس الرسول الينا فى هذه الفقرة عن الخطة الالهية • ومن الصور التى يستخدمها بولس الرسول أكثر من مرة للتعبير عما فعله الله للانسان صورة التبنى (راجع رو ٨ : ٢٣ ، وغل ٤ : ٥) فقد تبنانا الله فجعلنا أبناء فى أسرته • ففى العالم القديم ، حيث ســـاد القانــون الرومانى ، كان لهذه الصورة معنى أعمق مما نفهمه اليوم • ففى العالم الرومانى ، كانت الأسرة تتأسس على ما يسمونه Pattia Potestas أى سلطة الأب • فبحكم القانون الرومانى كان للأب سلطان مطلق على أبنائه ما دام الأب والأبناء على قيد الحياة • فالأب الرومانى يستطيع أن يبيع ابنه عبدا ، أو حتى أن يقتل ابنه •فبحكم القانون الرومانى،الذى كان سائدا فى أيام بولس الرسول ، كان للأب حق الحياة أو الموت على أبنائه • فيقول لنا ديون كاسيوس عن القانون الرومانى أن ذلك القانون «يعطى الأب سلطة مطلقة على ابنه وذلك على مدى حياة الابن •فيعطيه القانون سلطانا،ان رغب فى ذلك،لأن يسجنه،أو يجلده ،أو أن يجعله يعمل فى مزارعه كعبد مقيد ، أو حتى أن يقتله • ويستمر سلطان الأب هكذا حتى لو كان الابن بالغا ، ويقوم بدور فعال فى شئون البلاد السياسية ، وحتى لو أعتبر أهلا لأن يشغل منصبا قضائيا ، بل حتى لو بلغ مركـــز

الاحترام من كافة البشر • وصحيح أنه كان من المفروض أن يدعو الأب كل أفراد الأسرة البالغين من الذكور عند محاكمة ابنه،الا أن الأب لم يكن ملزما أن يفعل ذلك •

وهنالك حالات حقيقية فيها حكم أب على ابنه فعلا بالموت • فيقول سالوست فى كتابه عن مؤامرة كاتيلين الفصل ٣٩ أن ابنا اسمه أولوس فولفيوس رافق كاتيلين الثائر ، ولكنه قبض عليه أثناء الرحلة وعادوا به وأمر والده بأن يقتل وقد فعل الأب ذلك بناء على سلطته الشخصية • وقال الأب موضحا قراره بأنه « أنجبه لا ليرافق كاتيلين ضد بلاده ولكنما ليدافع عن بلاده ضد كاتيلين » • وبموجب القانون الرومانى لم يكن للابن أن يملك أى شيء ، وكل ميراث يوصى أى انسان به له ، أو أى هدية تقدم له ، كانت تصبح ملكا لوالده • ولم يكن عمر الابن شيئا هاما ، كما أن مركزه ومسئولياته فى المجتمع لم تكن تهم فى شيء • فقد كان تحت سلطة أبيه المطلقة ، وفى مثل تلك الأحوال يعتبر التبنى خطوة خطيرة جدا • فلقد كان شيئا خطيرا أن تأخذ ابنا من « سلطان أب » وتضعه تحت « سلطان أب آخر » • الا أن ذلك لم يكن غير عادى فقد كانوا يتبنون الأطفال حتى لاتنقرض عائلة من العائلات فتستمر فى الوجود • ولابد أن الطقوس المرافقة للتبنى كانت تترك أثرا كبيرا فى النفس • وكانت عملية التبنى تتم بطريقة بيع رمزى يستخدم فيه الميزان والنحاس • فكان الأب الحقيقى يبيع ابنه مرتين ، وكان يشتريه رمزيا مرتين • وأخيرا كان يبيعه للمرة الثالثة ولا يشتريه ثانية • ثم يذهب الأب المتبنى بعد ذلك الى أحد كبار الحكام الرومان ويعرض قضية التبنى ويدافع عنها • ولا يتم التبنى الا بعد اتخاذ كل هذه الخطوات • ولكن

متى تمت خطوات التبنى فانه يتم فعلا . فالابن المتبنى له كافة حقوق الابن الشرعى فى الاسرة الجديدة كما أنه يفقد كل حقوق الأسرة القديمة تماما ، ويصبح شخصا جديدا فى حكم القانون بل انه يصبح شخصية جديدة ، لدرجة أن كل الديون والمسئوليات الى ترتبط بأسرته القديمة تنتهى تماما وكأنها لم تكن .

هذا ما يقوله بولس إن الله قد فعله لنا . لقد كنا تحت سلطـــان الخطية والعالم تماما ، ولكن الله بالمسيح ، نقلنا من نفوذ هذه السلطة الى سلطته هو ، وهذا التبنى يلغى ويمحو كل الماضى ويجعل منا شيئا جديدا . فلقد انتقلنا من أسرة العالم والشر الى أسرة الله .

عطايا الله

نواجه فى هذه الفقرة ثلاثة أفكار هامة فى الايمان المسيحى .

١ ــ فهنالك فكرة الفداء والكلمة المستخدمة هى كلمة apolutrosis وهذه الكلمة مشتقة من الفعل Lutroun الذى يعنى يفدى . وهى تستخدم عن افتداء سجين حرب أو عبد . وهى الكلمة التى تستخدم عن تحـــرير شخص من عقوبة الموت نتيجة جريمة من الجرائم ، كما أنها الكلمة التى تستخدم عن انقاذ شعب الله فى القديم من العبودية فى أرض مصر ، وعن انقاذ الله المستمر لشعبه فى وقت ضيقتهم . وفى كل حالة نجـــد فـــكرة الانقاذ أو التحرير لانسان ، من موقف ما كان يمكن له أن ينقذ نفسه بنفسه منه ، أو من عقوبة ما كان يمكنه أن يفى بمطالبها . وبذلك فان أول مايقوله بولس الرسول هو أن الله أنقذ البشر من حالة ماكان يمكن لهم أن يخلصوا أنفسهم منها . وفى حقيقة الواقع ، يعتبر هـــذا مافعلتـــه المسيحيـــة بالضبط للبشر ، فاذ جاءت المسيحيـــة للعـــالم كان البشر

يتوجسون خيفة تحت ضغط الاحساس بالضعف، والعجز • لقد كانوا يعرفون خطيتهم ويعرفون عجزهم ، كما كانوا يعرفون خطأ الحياة التى يعيشونها وعدم قدرتهم على القيام بأى شىء ازاء هذا الخطأ • ولقد كان سينيكا مليئا بالاحساس بالاحباط • ولذلك فقد قال البشر يغمرهم الاحساس بالعجز أمام الأشياء الضرورية ، كما أنه قال عن نفسه إنه انسان لايطاق ،بل انه قال بلغة مفعمة باليأس ،أن البشر يحبون شرورهم ويكرهونها فى نفس الوقت • وصرخ قائلا بأن البشر يحتاجون الى يد تمتد اليهم لترفعهم • وقد عرف اسمى مفكرى العالم الوثنى فى ذلك العصر ، وهم الذين يمثلون العقليات الحساسة فى جيلهم ، أنهم قد وقعوا فى حبائل شىء يعجزون عن أن يخلصوا أنفسهم منه • فهم فى حاجة الى التحرر والى قوة دافعة • وهذه هى الحرية التى جاء المسيح بها • ولازال المسيح يحرر البشر بقوته من حال الاستعباد والعجز إزاء تلك الأشياء التى ينجذبون اليها ، ويشمئزون منها فى نفس الوقت • وببساطة فلازال المسيح يستطيع أن يخرج من الأشرار قوما صالحين •

٢ ــ وهنالك الغفران • لقد كانت المخاوف تساور العالم القديم نتيجة الشعور بالذنب • ولعلنا نستطيع أن نقول إن العهد القديم بجملته انما هو مزيد من الايضاح للكلمات « النفس التى تخطىء ، هى تموت » (حز ١٨ : ٤) فقد كان البشر يحسون بجرمهم وكانوا يفزعون من الههم أو من آلهتهم • ويقال أحيانا ان اليونانيين لم يكن لديهم إحساس بالاثم ، الا أن هذا القول انما هو أبعد ما يكون عن الصواب • لقد قال هسيود « ان الناس يستمتعون بالبحث عن الممنوع » وكل روايات اشيلوس مبنية على نص واحد « الفاعل يعاقب » فمتى فعل انسان شيئا سيئا فان « نيميسيز » تطارده ، ولابد أن تلحق به •

والعقاب يتبع الخطأ لا محالة ، كما يتبع الليل النهار • هذا ما عبر عنه شكسبير فى روايته « رينتشارد الثالث » :

ان ضميرى له آلاف الألسنة

وكل لسان يحكى كثيرا من القصص

وكل قصة تحكم على بأنى مجرم

فان كان هنالك شيء واحد عرفه البشر فهو الشعور بالخطية والخوف من الله • وقد غير المسيح كل هذا ، وفتح الطريق الى الله • لقد علم الناس عن محبة الله ، لا عن كراهية • ولأن المسيح جاء الى العالم ، فقد اكتشف البشر محبة الله حتى وهم فى خطيتهم •

٣ — وهنالك الحكمة والفطنة • والكلمتان فى اليونانية هما : Sophia & Phronesis أتى المسيح بهما لنا •وهذا حديث شيق جدا فلقد فكر اليونانيون فى هاتين الكلمتين وكتبوا عنهما ، واعتبروا أنه ان كانت لانسان هاتان الصفتان ، فإن هذا الانسان يعتبر مهيئا تماما للحياة • وقد عرف أرسطو Sophia أى الحكمة ، كمعرفة أثمن الأشياء • وعرفها شيشرون كمعرفة الأشياء البشرية والالهية معا • وهذه الكلمة تتعلق بالذهن الباحث ، والعقل المتسائل ، وبأقصى مايصل اليه الفكر البشرى • Sophia اذن هى الاجابة على مشاكل الحياة والموت الأزلية ، والاجابة عن الأسئلة المتعلقة بالله والانسان ، والزمن والأزل • وعرف أرسطو Phronesis بأنها معرفة الشئون البشرية ، والأمور التى تحتاج الى تدبر • وعرف بلوتارك Phronesis بأنها المعرفة العمليةللأمور التىتهمنا • وعرف شيشرون هذه الكلمة بأنها معرفة الأشياء التى يجب أن نسعى اليها والأشياء التى يجب أن نتجنبها • وعرف أفلاطون Phronesis

كالاستعداد العقلى الذى يعاوننا لندرك الأشياء التى يجب أن نفعلها والأشياء التى يجب أن نتجنبها • « الفطنة » ، بمعنى آخر هى أكثر الأشياء العملية فى هذا العالم فهى الاحساس السليم الذى يعـــاون الانسان على أن يقابل المشاكل العملية فى حياته اليومية ويجـد لها حلا• ويقول بولس أن المسيح أتى لنا بالحكمة Sophis وهى معرفة الأشياء الأزلية ، تلك المعرفة الذهنية التى تشبع العقل كما أن المســيح أتى لنا بالفطنة Phronesis وهى تلك المعرفة العملية التى تعيننا على مواجهة مشاكل الحياة اليوميـــة وحلهـا • وهنـــالك تكامل خاص فى الشخصية المسيحية • فهنالك نوع من الناس يسهل عليه أن يجلس الى مكتبه وأن يدرس بسهولة ويسر المشاكل اللاهوتية والفلسفية ، الا أنه يعجز عن مواجهة شئون الحياة اليومية مواجهة عملية • وهناك نوع آخر من البشر وهو الذى يدعى أنه رجل عملى مشغول تماما بمسئوليات الحياة ، لدرجة أنه لايجد الوقت للتفكير فى الأشياء الأبقى • وفى ضـوء عطية الله فى المسيح ، نرى أن كلا من هاتين الشخصيتين ناقص ومتطرف الى ناحية واحدة دون الأخرى ، والمسيح يأتى الينا بالحل لمشاكل الزمن والأبد • فالمسيح يعطى البشر المقدرة على رؤية حقائق الأزل الأسمى وعلى حل مشاكل كل لحظة من لحظات الزمن •

هدف التاريخ

هنا يواجه بولس الرسول موضوعه مواجهة تامة • فيقول ان الله قد عرفنا « بسر مشيئته » • ويستخدم العهـد الجديد كلمة سر بمعنى خاص • فكلمة سر فى العهد الجديد لا تعنى شيئا يصعب ادراكه • ولكنها

(م ٩ — رسالة أفسس)

تعنى شيئا كان مكتوما لمدة طويلة ، وقد أعلن الآن ،إلا أنه لازال غامضا على الشخص الذى لم يتضح له معناه بعد • لنأخذ مثلا : فلنفترض أن شخصا لايعرف شيئا عن المسيحية اطلاقا حضر خدمة العشاء الربانى ، فستكون هذه الخدمة بالنسبة له سرا كاملا ، فهو لا يدرك شيئا مما يدور حوله • أما بالنسبة لشخص يعرف قصة المسيح ، شخص يعرف قصة ومعنى العشاء الربانى ، شخص يعرف كيف أن المسيح ترك هذه الذكرى لتلاميذه ، فكل الخدمة ، وكل تصرف فيها له معناه الواضح • وهكذا نرى أن السر فى العهد الجديد معنـــاه أن شيئا كان خافيا على الذهـــن أصبح واضحا للمسيحى • فهو « سر » أعلن معناه •

وماذا كان معنى سر ارادة الله بالنسبة لبولس الرسول ؟ كان هذا السر بالنسبة لبولس هو أن الأمم أيضا قد صار لهم نصيب فى الانجيل • هنا يكمن سر الله العظيم • كان يلوح ، حتى مجىء المسيح ، أن اليهود كانوا شعب الله المختار ، الا أن الله أعلن أن حبه وعنايته ، نعمته ورحمته أخباره السارة ، لا يقصد بها اليهود فقط ، ولكنما العالم أجمع •

ويقدم بولس فكرته العظيمة ، فى جملة واحدة • فقد كان الناس يعيشون حتى ذلك الوقت فى عالم منقسم • فحيثما نظرت كان هنالك انقسام • كان هنالك الانقسام بين الوحوش والبشر • فلقد مزق تسلط الانسان وحـــدة الطبيعة • كان هنالك انقسام بين اليهــــود والأمم ، اليونانيين والبرابرة • ففى كل العالم كان هنالك انقسام وخصام ، حرب وكراهية وتباعد • هكذا كان حال العالم وحال الأفراد • فكل انسان كان يعيش فى حرب داخلية • ففى داخله كان التـــوتر والانقســـام والمعركة بين الخير والشر ، بين الخطأ والصواب ، بـــين العقل والعاطفة ، بـــين الغرائز والارادة • فحيثما نظرت فى هذا العالم ، كان هنالك الانقسام •

وجاء المسيح الى العالم ليمحو الانقسام ، ويزيل التوتر ويسد الفواصل ويقارب بين المتباعدين ، ويوحد كل البشر • كان هذا هو سر الله فى نظر بولس الرسول • فلقد قصد الله أن تتجمع الأشـــياء المختلفـــة ، وكل التشتت ، والحروب ، والمنافسة ، وعناصر الكراهية فى هذا العالم ، الى وحدة واتحاد فى المسيح يسوع • لقد جاء المسيح ليجعل العالم عالمـــا واحدا فى نفسه •

وهنا نجد أنفسنا أمام فكر عظيم آخر من أفكار بولس الرسول ، فيقول ان كل التاريخ انما كان تنفيذا لهذه الخطة • ففى كل العصور كان هنالك تخطيط ، وترتيب للأحداث ، وتدبير للأمور ، ليأتى يوم الوحدة هذا • والكلمة التى يستخدمها بولس الرسول عن هـــذا التدبير وهـــذا التخطيط كلمة مشوقة جدا • فالكلمة اليونانيـــة هى Oikonomia وهى تعنى حرفيا ادارة الشئون البيتية • ولقد كان اليونانيون يطلقون اسم Oikonomos على الخادم الذى كان يدبر شئون العائلة لتســـير فى سهولة ودون تقلقل • فيقول بولس الرســـول إن كل التاريخ انما كان تخطيطا ، وتفكيرا ، وتدبيرا ، وترتيبا ينتهى بأن يكون العالم عائلة واحدة لله •

فالمسيحية تعتقد اعتقادا راسخا بأن التاريخ انما هو خطة ، وله هدف ، وأنه تنفيذ لارادة الله • وليس هذا ما استطاع كل مؤرخ أو مفكر أن يراه • فقد قال أوسكار وايلد فى إحدى عباراته المشهورة : « إنـــك تقدم أحداث أوربا الاجرامية لأولادك تحت اسم التاريخ» • وقال ج•ن كلارك فى الخطاب الافتتاحى الذى ألقاه فى كمبردج : «لايوجد سر ولا توجد خطة فى التاريخ ، فنبحث عنها ونكتشفها ولا أعتقـــد أن هنالك

ختاما لحوادث المستقبل يمكن أن يعطى معنى للأمـور اللامعقـولة فى العصور السابقة • فان لم يمكن شرحها ، فانه من الأصعب جدا تبريرها • «وفى مقدمة كتابه عن تاريخ أوربا يقول : هـ • أ • ل • فيشر — «هنالك لذة عقلية قد حرمت منها • فهناك من هم أحـكم منى ، ومن تعمقوا فى الدراسة أكثر منى ، ممن استطاعوا أن يكتشفوا فى التاريخ خطة،ورتابة، ونمطا مقررا للأحداث • ومثل هذا التوافق قد خفى على • فلم أستطع أن أرى سوى حالة طارئة تتبع حالـة طارئة ، كما تتعاقب الأمواج ، حقيقة كبيرة لايمكن التعميم ازائها حيث أنها حقيقة فريدة • فهـنالك قاعدة واحدة مأمونة للمؤرخ • أن يلاحظ فى تطور المصير البشرى تفاعل الأشياء الطارئـة وغـير المتوقعـة » • ويقـول اندريـه موريس : « ان الـكون يتسـم بعدم المبـالاة • من الذى خلقـه ؟ لمـاذا نجـد أنفسـنا فوق هذه الكومة الصـغيرة من الأوحال فى الفضـاء غير المتناهى ؟ لست أدرى اجابة ، وأثق أنه لا يوجد هنالك من يدرى » • فنحن نعيش فى عصر فقد فيه الناس ايمانهم بأن هنالك هدفا فى هـذا العالم • الا أن المسيحى يؤمن بأن الله ينفذ قصده فى هذا العالم • وكان اعتقاد بولس الراسخ أن ذلك القصد هو أنه فى يوم من الأيام ستصبح كل الأشياء وكل البشر عائلة واحدة فى المسيح • ويعتقد بولس الرسول أن كل التاريخ يسير نحو هذا الهدف • وكان يعتقد أن ذلك السر ، ذلك الأمر الغامض لم يدركه أحد حتى أن جاء المسـيح • ويرى بولس أن المسئولية العظيمة التى تقع على عاتق الكنيسة هى أن تنفـذ غـرض الوحدة الذى هو قصد الله أعلنه فى المسيح يسوع •

هنا نجد المثال الأول الذى يقدمه بولس الرســـــول عن الوحدة الجديدة التى يأتى المسيح بها • وعندما يقول بولس الرسول « نحن » فانه يعنى أمته هو،التى هى شعب اليهود • وعندما يقول « أنتم » فانه يعنى الأمم الذين كان يكتب اليهم • أما فى الجملة الأخيرة فعندما يقول « نحن » فانه يفكر فى اليهود والأمم معا •

ويتحدث بولس الرسول أولا عن اليهود • فلقد كان لهم نصيبهم فى خطة الله ، فهم أول من آمنوا بمسيح الله وأول من انتظروه • وفى كل تاريخهم ، كان اليهود يرجون ويأملون ويتوقعون مجىء المسيا • وكان نصيبهم فى خطة الله أن يكونوا الأمة التى يأتى منها مختار الله • قال آدم سميث ، الاقتصادى المشهور ، إن كل أنماط الحياة مبنية على ما أسماه ، توزيع الاختصاصات ، وقصد بذلك أن الحياة لايمكن أن تسير سيرا رتيبا ما لم يكن لكل انسان عمل ، وما لم يقم كل واحد بعمله ، وما لم تتجمع نتائج كل الأعمال لتصبح ملكا للجميع • فالاســكافى يصنع الأحذية — والخباز يصنع العيش — والخياط يصنع الملابس ولكل واحد وظيفته ، ويلتزم كل واحد بوظيفته • وعندما ينجز كل واحد عمله بأمانة وباتقان يؤدى ذلك لخير المجتمع بأسره • وما يصح أن نقوله عن الأفراد يمكن أن نقوله عن الأمم • فكل أمة لها مكانها ولها نصيبها فى خطة الله • فلقد علم اليونانيون البشرية جمال الفكر وترتيبه ، وعلم الرومانيون البشرية القانون وعلم الحكم والادارة ، وعلم اليهود البشر الدين • ولقــد كان اليهــود مستعدين تماما ، ولذلك جاء المسيح منهم • ونحن لا نقول إن الله لم يعد شعوبا أخرى • فلو لم تكن بعض الأمم الأخرى معدة لما أمكن لهم أن يستقبلوا رسالة المسيحية عندما أتت اليهم • لقد كان الله يهىء

البشرية فى كل أنحاء العالم ليكون ذهنها معدا لاستقبال الرسالة متى أتت • الا أن امتياز اليهودية العظيم هو فى كونهم كانوا أول أمة تتوقع وتنتظر مجىء مختار الله ومسيحه الى العالم • ثم يتحول بولس الرسول بحديثه الى الأمم • ويرى بولس فى تطورهم ثلاث خطوات :

١ ـ لقد قبلوا الكلمة : فقد قدم لهم وعاظ المسيحية رسالة المسيحية ، والكلمة التى قبلوها تتكون من شيئين • فهى أولا كلمة الحق لأنها قدمت لهم الحق عن الله والحق عن العالم الذى يعيشون فيه والحق عن أنفسهم • وهى ثانيا : أخبار سارة • فالمسيحية تتميز بأنها أخبار سارة عن الله ، فهى رسالة محبة الله ونعمته •

٢ ـ لقد ختموا بالروح القدس : كانوا فى العالم القديم ـ وهذه عادة لازالت متبعة ، عندما يرسلون حقيبة أو طردا من الطرود يختمونه بخاتم يضمنون به أنه قد جاء من الراسل وأنه قد وصل سالما • وكان الختم يوضح من أين جاءت الرسالة والشخص الذى تخصه • وامتلاك الروح القدس هو الختم والعلامة التى توضح أن الانسان ينتمى لله • والروح القدس هو الذى يعرف الانسان بالله ، والروح القدس هو الذى يعضد الانسان ليواجه الحياة ولا يتحطم : فالروح القدس هو الذى يعرف الانسان بما يجب عليه أن يفعله وهو الذى يعضده ليقوم بما يطلب منه • لأن الروح القدس يعلن لنا ارادة الله ويقوينا لننفذها •

ويقدم بولس الرسول هنا فكرة عظيمة عن الروح القدس ، فهو يسميه « عربونا » • والكلمة اليونانية هى arrabon وتعبر هذه الكلمة عن احدى السمات المميزة لعالم اليونان التجارى • فلقد كان «العربون»

جزءاً من الثمن، يدفع مقدما كضمان بأن بقية الثمن سيدفع فى الوقت المناسب.وهنالك كثير من المستندات التجارية اليونانية القديمة التى لازالت موجودة بين أيدينا تستخدم فيها هذه الكلمة.فهنالك امرأة تبيع بقرتها وتتسلم عددا من الدراخمات «كعربون»،وهذا هو الضمان والتأكيدأن الثمن الكامل سوف يدفع.وهنالك أمثلة أخرى مشابهة،وبذلك فان مايقوله بولس هو أن اختيار الروح القدس الذى ننائه فى هذا العالم ، انما هو تذوق مبدئى لأفراح وبركات السماء ، وهو الذى يعطينا ضمانا بأننا سنصل الى كمال المعرفة والقوة والفرح يوما من الأيام ، وهو الضمان بأننا سنمتلك يوما بركة الله الكاملة .

فهنا نجد الحقيقة العظيمة بأن أعظم وأعلى وأغلى ما يمكن أن يختبره المؤمن فى هذا العالم من السلام والفرح انما هو مجرد تذوق بسيط للفرح الذى سنستمتع به يوما من الايام . فكأن الله قد أعطانا ما يكفى لتشويقنا الى المزيد، وما يكفى لأن يؤكد لنا أنه سيمنحنا كل شىء.

علامات الكنيسة

١٥ لِذٰلِكَ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ سَمِعْتُ بِإِيمَانِكُمْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ
وَمَحَبَّتِكُمْ نَحْوَ جَمِيعِ ٱلْقِدِّيسِينَ ١٦ لاَ أَزَالُ شَاكِراً لأَجْلِكُمْ
ذَاكِراً إِيَّاكُمْ فِي صَلَوَاتِي ١٧ كَيْ يُعْطِيَكُمْ إِلٰهُ رَبِّنَا يَسُوعَ
ٱلْمَسِيحِ أَبُو ٱلْمَجْدِ رُوحَ ٱلْحِكْمَةِ وَالإِعْلاَنِ فِي مَعْرِفَتِهِ
١٨ مُسْتَنِيرَةً عُيُونُ أَذْهَانِكُمْ لِتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ وَمَا
هُوَ غِنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي ٱلْقِدِّيسِينَ ١٩ وَمَا هِيَ عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ

ٱلْفَائِقَةُ نَحْوَنَا نَحْنُ ٱلْمُؤْمِنِينَ حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ ٢٠ ٱلَّذِي
عَمِلَهُ فِي ٱلْمَسِيحِ إِذْ أَقَامَهُ مِنَ ٱلْأَمْوَاتِ وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ
فِي ٱلسَّمَاوِيَّاتِ ٢١ فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ وَكُلِّ
ٱسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هٰذَا ٱلدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي ٱلْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا
٢٢ وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ
كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ ٢٣ ٱلَّتِي هِيَ جَسَدُهُ ٱلَّذِي يَمْلَأُ ٱلْكُلَّ
فِي ٱلْكُلِّ

(أفسس ١ : ١٥ — ٢٣)

والجزء الهام جدا ، وهو الخطوة الثانية الكبيرة فى حديث بولس الرسول يقع فى نهاية هذا الفصل الكبير . الا أننا قبل أن نصل الى ذلك يجب أن نلاحظ بعض الأمور التى نجدها فى الآيات السابقة . وهنا نجد أنفسنا أمام ملخص شامل لخصائص الكنيسة الحقيقية . فلقد سمع بولس الرسول عن ايمانهم بالمسيح وبمحبتهم لكل شعب الله المكرس له . والشيئان اللذان يجب أن تتصف بهما الكنيسة الحقيقية هما الولاء للمسيح والحب للبشر . هنالك ولاء للمسيح لا يؤدى الى المحبة للبشر . فالرهبان والنساك قادهم ولاؤهم للمسيح الى الانفصال عن إخوتهم البشر ، ودفعهم لأن يهجروا أنشطة الحياة العادية ليعيشوا منفردين فى الصحارى . والذين كانوا يقودون محاكم التفتيش فى أسبانيا ويبحثون عن الهراطقة ، وأمثالهم كثيرون فى العصور المختلفة ، دفعهم ولاؤهم للمسيح لأن يضطهدوا الذين اختلفوا عنهم . وقبل أن يأتى المسيح كان ولاء الفريسيين لله يجعلهم يمجدون برهم الذاتى وينظرون باحتقار

لاولئك الذين اعتبروهم أقل ولاء من أنفسهم • والمسيحى الحقيقى يحب المسيح ويحب إخوتــه البشر • وأكثر من ذلك ، فان المسيحى الحقيقى يعلم أنه لايستطيع أن يظهر حبه للمسيح بوسيلة أخرى غير أن يظهــر حبه للآخرين • ومهما كانت أى كنيسة تعتز باستقامة تعليمها ونقــاء لاهوتها ، ومهما سما أسلوب عبادتها فهى ليست كنيسة حقيقية بالمعنى الصحيح ان لم تتميز بالحب للبشر • فهنالك كنائس لاتعبر عن رأيها علنا الا لادانة عيوب الآخرين ، فصوتها صوت النقـــد المستمر وقد يكون تعليمها صحيحا ، ولكنه ليس مسيحيا • فالكنيسة الحقيقية تتميز بهذا الحب المزدوج الحب للمسيح والحب للبشر • وقد قدم روبرت بوكانن فى كتابه « ظل السيف » وصفا لما سماه كنيسة الكراهية فقال : « كانت هذه الكنيسة قائمة فى بقعة جرداء فى انجلترا منذ مئة عام • وكانت حطاما : فالحوائط ســوداء وقد لطختها مخلفات الكروم : ومن حــول المذبح المتداعى نبتت الأعشاب وارتفعت ـــ وكان الضباب الأســـود المحمل بالأمطار يخيم ليل نهار على هذا المكان الحزين • وعلى باب تلك الكنيسة ظهر اسمها وقد كاد أن ينمحى • وكانت مكرسة لسيدة الكراهية • ويقول بوكانن : « فى ساعات الانفعال والألم كان الرجال والنساء يأتون الى هذه الكنيسة ليصبوا لعناتهم على أعدائهم ـــ فالشابة تلعن من خانها ، والشاب يلعن من خانته ، والزوج يلعن زوجتــه الخائنـــة ـــ والجميع يصلون ، لتستمع اليهم سيدة الكراهية وهم يطلبون أن عدوهم يموت خلال العام » • ثم يقول الروائى متهكما : « لقد سطع نور المسيحية اللطيف بعمق فى عقول هؤلاء ! » • إن فكرة إنشاء كنيسة للكراهية فكرة مكروهة ولاشك : إلا أننا نتساءل هل نحن دائمــا بعيدون عن مثل هذه الفكرة ؟ فنحن نكره المتطرفين والمتحررين ، ونكره المتزمتين ، نحن نكره من يعتقد بغير اعتقادنا فنكره الكاثوليك أو البروتســتانت كيفما كانت

حالتنا • ونحن نصدر البيانات التى لا تتميز بالمحبة المسيحية ، بل تفيض بالمرارة التى تحكم على الآخرين • ولعله يجدر بنا أن نتذكر بين وقت وآخر أن الحب للمسيح ، والحب للآخرين لا يمكن أن يعيش أحدهما بدون الآخر • إن مأساتنا هى أنه كثيرا ما يصدق فينا قول سويفت : « عندنا قدر من الدين يدفعنا للكراهية ، لكن لا يوجد لدينا القدر الكافى الذى يدفعنا لأن نحب بعضنا بعضا » •

صلاة بولس لأجل الكنيسة

(أفسس ١ : ١٥ — ٢٣)

فى هذه الفقرة نرى بولس الرسول يصلى لأجل كنيسة يحبها وكان حالها طيبا •

١ — إنه يصلى لأجل روح الحكمة •والكلمة التى يستخدمها للتعبير عن الحكمة هى Sophia وقد رأينا من قبل أن هذه الكلمة تعبر عن الحكمة فيما يتعلق بالأشياء الالهية العميقة • فهو يصلى لكى تتعمق الكنيسة أكثر فأكثر فى معرفة الحقائق الأزلية • وان كان لهذا أن يحدث فى الكنيسة فهنالك أشياء أساسية •

(أ) يجب أن يكون لدينا شعب مفكر • ويقول بوزوال إن جولد سميث قال مرة : « كما آخذ حذائى من صانع الأحذية ، ومعطفى من الخياط كذلك آخذ ديانتى من الكاهن » • وكثيرون يعيشون على هذا المنوال •إلا أن الديانة لا تساوى شيئا على الاطلاق إن لم تكن اكتشافا شخصيا ، كما قال عنها أفلاطون قديما : « إن حياة تخلو من التساؤل والتحرى لايجدر بالمرء أن يحياها » • «والديانة التى تخلو من التساؤل

والتحرى لهى ديانة يجدر بالمرء أن لا يتبعها • إن الانسان المفكر مسئول بأن يفكر فى طريقه الى الله •

(ب) يجب أن تكون لدينا خدمة تعليمية • وقال وليم شلنجورز : « إن الكتاب المقدس ، والكتاب المقدس وحده ، هو ديانة البرتستانت » هذا حق — الا أننا كثيرا ما لا نفكر فى ذلك • إن تفسير الكتب المقدسة من المنبر هو الضرورة الأولى نحو اليقظة الروحية ، ونحن لايهمنا ماذا يفتكر الواعظ ولكن ماذا يقول الله •

(ج) إننا فى حاجة لأن نعيد التفكير لنصل الى التناسب الصحيح بين الأشياء•إنه من الأشياء العجيبة فى حياة الكنيسةأنهفى محاكم الكنيسة مثل مجلس الكنيسة والمجمع وحتى المحفل العام ، نقضى ساعات طويلة فى مناقشة مشاكل بشرية ادارية مقابل كل ساعة واحدة نقيضها فى مناقشة حقائق الله الأزلية• فانها حقيقة واضحة أن المناقشات اللاهوتية فى محاكم الكنيسة أصبحت نادرة فى هذه الأيام • وصلى بولس الرسول أن يقود الله شعبه الى حكمة أعمق فى أمور الله الأزلية • ومثل هذه الصلاة لا يمكن أن تستجاب إن لم نقض وقتا فى التأمل فى أمور الله الأزلية •

٢ — يصلى بولس الرسول لأجل إعلان أكمل ولأجل معرفة أكمل لله • فالنمو فى المعرفة والنمو فى النعمة ضروريان للمسيحى • فكل من يزاول أية مهنة يعلم أنه لا يجرؤ على أن يكف عن الدراسة • فلا يوجد هنالك طبيب يعتقد أنه بإنهاء دراسته الجامعية قد تلقن كل العلوم التى يمكن لانسان أن يتعلمها • فهو يعلم أنه أسبوعا من بعد أسبوع ، بل ربما يوما من بعد يوم ، هنالك اكتشافات حديثة فى الأدوية وطرق العلاج •

ولذلك فهو يعلم أنه إن كان يرغب فى أن يستمر فى نشاطه كطبيب وأن يستمر فى أن يقدم خدماته للمرضى والمتألمين فيجب أن يواصل التعليم ، وهكذا الحال مع المسيحى • فالحياة المسيحية يمكن أن توصف بأنها هى التعرف الى الله معرفة أفضل يوما فيوما • فالصداقة التى لاتنمو بمرور الأعوام انما تنتهى ، وهكذا علاقتنا بالله •

٣ — وهو يصلى لأن يتحقق ويتأكد الرجاء المسيحى من جديد • ولعل إحدى سمات العصر الذى نعيش فيه أنـــه عصر اليأس • قـــال توماس هاردى : « أعتقد أحيانا أن العوالم المختلفة إنما تشبه التفاح فوق الشجرة • بعضها جميل وبعضها ردىء » •ثم يتساءل بعد ذلك عن عالمنا ، واذا به يقـــول إنه من النوع الردىء • قال سير فيليب جيبس فى فترة ما بين الحروب : « ان كنت أشتم رائحة الغازات الســـامة فى الشارع القريب فاننى سوف لا ألبس قناع الغازات السامة أو أذهب الى غرفة مجهزة ضد تلك الغازات ،بل سأخرج الى الخارج وأستنشق تلك الغازات السامة لأننى سأعلم أن الأمر قد انقضى ••فهنالك من يشعرون أننا نعيش فى عالم قد انقضى فيه الأمر • وقد قال هـ • ج • ويلز مرة يائسا : « إن الانسان الذى بدأ حياته فى كهف سينهى حياته فى جو من المرض بين الحطام » • واننا لنسمع أصوات المتشائمين من كل ناحية • فالعصر الذى نعيش فيه هو أحوج العصور لأن يستمع لصـــوت بوق الرجاء المسيحى • فان كانت رسالة المسيحية رسالة حقيقية ، وان كان الله فعلا كما علمنا عنه يسوع المسيح ، فان العالم ليس فى طريقه الى الانحلال بل الى الاكتمال •

٤ — ويصلى لأجل تحقيق جديد لقوة الله • والدليل العظيم لقوة الله فى نظر بولس الرسول هو القيامة • فعندما عملت الخطية كل ما فى

وسعها لتقضى على المسيح ، وعندما فعل البشر أقصى ما يستطيعون للتخلص من المسيح ، أثبتت قيامة يسوع أن قوة الله أقوى من خطية البشر ، وأن غرض الله لايمكن أن يوقفه أى عمل بشرى • ففى العالم الذى تشيع فيه الفوضى يجدر بنا أن نتذكر أن قائد السفينة المجهول الذى يسميه البشر الله لازال يمسك بزمام الأمور •

٥ ــ يختتم بولس حديثه بأن يشير الى انتصار المسيح فى عالم قد لا نهتم به كثيرا فى هذه الأيام • فيقول : « فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى » • ففى أيام بولس الرسول كان البشر يؤمنون بشدة بالشياطين والملائكة :والكلمة التى يستخدمها بولس إنما هى ألقاب درجات متنوعة من الملائكة • وما يقوله بولس هنا هو إنه لا يوجد كائن ما كان ، فى السماء أو على الأرض الا وقد فاق المسيح عنه وعظم • فكأنى ببولس الرسول يقول : « إن لكم فى المسيح أعظم وأقوى صديق فى السماء وعلى الأرض » • فجوهر صلاة بولس هو أن يتحقق البشر عظمة السيد والمخلص الذى أعطاه الله لهم •

جسد المسيح

(أفسس ١ : ١٥ ــ ٢٣) تتمة

نأتى الآن الى الآيتين الأخيرتين من هذا الفصل واللتين يقدم بولس الرسول فيهما فكرة من أعظم وأجرأ الأفكار التى عرفها البشر ، فكرة تسمو وترتفع بالبشرية وتشجعها •ففى هاتين الآيتين يطلق على الكنيسة لقبها العظيم ــ جسد المسيح • فالمسيح هو رأس الكنيسة ، والكنيسة هى جسد المسيح •

ولكى نتفهم ما يقصده بولس الرسول لنعد الى الفكرة الأساسية لهذه الرسالة • فالعالم كما نراه اليوم ملىء بالانقسام • هناك انقسام بين اليهودى والأممى ، بين اليونانى والبربرى — هنالك انقسام بين أفراد الأمة الواحدة — وهنالك انقسام داخل كل انسان ، ففى كل واحد يتصارع الخير مع الشر — هنالك انقسام بين الانسان والوحوش ، فالانسان والوحوش أعداء بدلا من أن يكونوا أصدقاء ، وفوق كل هذا هنالك انقسام بين الانسان والله • وكان بولس الرسول يرى أن يسوع قد مات ليوحد بين كل العناصر غير المتوافقة فى الكون ، ويمحو كل الانقسامات والفواصل ويصالح الانسان مع أخيه الانسان ويصادق الانسان مع الله • فقد كان المسيح يسوع قبل كل شىء هو أداة الله للمصالحة • فمات المسيح ليجعل من كل الأشياء ومن كل البشر أسرة واحدة ووحدة واحدة • الا أنه من الواضح أن الوحدة لم تتم بعد • فلنوضح هذا بمثال بشرى • لنفرض أن طبيبا عظيما يعمل فى معمله وفى مستشفاه ويكتشف يوما علاجا لداء السرطان وهكذا يصبح العلاج موجودا • الا أنه قبل أن يصبح فى متناول الجميع ، وقبل أن يشفى جميع من يعانون من السرطان فى جميع أنحاء العالم ، يجب أن يصل هذا العلاج لجميع البلاد • ويجب أن يعلم الأطباء والجراحون عنه ويجب أن يتدربوا على استخدامه • فالعلاج موجود — الا أن الانسان الواحد لايمكن أن يحمله الى مختلف أنحاء العالم — فيجب أن تعرف مجموعة الأطباء عنه وعن كيفية استخدامه ، ويجب أن يكونوا هم الوكلاء والوسطاء الذين يصل بهم العلاج الى المتألمين فى جميع أنحاء العالم • وهذه بالضبط هى علاقة الكنيسة بالمسيح•فانه فى المسيح يصبح كل البشر وتصبح كل الأمم وحدة واحدة • الا أنه قبل أن يحدث هذا يجب أن يعرف كل البشر وأن تعرف كل الأمم عن المسيح يسوع• إن حقه ونعمته

وغفرانه وحبه يجب أن تصل الى كل إنسان • وهــذه هــى مسئوليــة الكنيسة • فالمسيح يسوع هو أداة الله التى بها يوحد بين عناصر العالم المتحاربة والمتنافرة فتتحد فيما بينها وتتحد مع الله — والكنيســة هى أداة المسيح يسوع التى بها يتم هذا الاتحاد • فالمسيح هو الرأس — والكنيسة هى الجسد • فالرأس وحده بلا عمل ، إنه عقل ولكن ما هى فائدته • فيجب أن يكون للرأس جسد يوجهه — ويجب أن يكون للعقل جسد يعمل من خلاله • والكنيسة حرفيا هى الأيدى التى تقوم بعمــل المسيح • وهى الأقدام التى تسعى لتؤدى مايريد هو أن يقوم به ، وهى الصوت الذى يتحدث بكلامه •

وفى العبارة الأخيرة من هذا الفصل يقدم بولس الرسول فكرتين عظيمتين • فيقول إن الكنيسة هى ملء المسيح • فكما أن الجســد هــو امتداد واستكمال للعقل ، كذلك الكنيسة هى امتداد واستكمال للمسيح • فكما أن أفكار العقل وتصوراته واكتشافاته لايمكن أن يكون لها أى تأثير دون عمل الجسد كذلك سر المسيح العظيم ومجده اللذان أتى بهما الى العالم لايمكن أن يكون لهما أى تأثير دون عمل الكنيسة • ثم يستطرد بولس فيقول إن المسيح يملأ شيئاً فشيئا كل الأشياء فى كل الأماكن وأن الكنيسة تقوم بعملية الملء ولذلك فيجب عليها أن توصل سر المسيح الى كل البلاد والى جميع البشر • وتعتبر هذه من أعظم أفكار المسيحية • وهذا لايعنى أقل من أن خطة الله للعالم الواحد انما هى بــين يــدى الكنيسة • فلقد قصد الله أن يصنع عالما تتحد فيه كل العناصر المتحاربة ويصبح متحدا معه • ولكى تتم هذه الخطة أرسل يسوع المسيح • ففى المسيح سر الاتحاد • الا أن الرسالة والقوة يجب أن تصل لكل البشر ، والكنيسة هى جسد المسيح ، الأداة التى يعمل المســيح من خلالها فى العالم • وتنفيذ خطة الله يعتمد على الكنيسة •

وهنالك تصوير قديم قد استخدم كثيرا إلا أنه يوضح فى ايجـاز هذه الحقيقـة العظيمة • فهنالك أسطورة تروى كيف عاد المسيـح الى السماء بعد الفترة التى قضاها فوق أرضنا • الا أنه حمل فى السـماء علامات الآلام التى تألم بها على الصليب • وكانت الملائكة تتحدث اليه وقال له جبرائيل : « ياسيد ، يلوح أنك قاسيت كثيرا لأجل البشر هنالك فى الأرض » • فقال له يسوع : « نعم لقد قاسيت » فقال له جبرائيل : « فهل يعلمون جميعا مقـدار الحب الذى أحببتهم به ومقدار ما فعلت لأجلهم ؟ » فأجاب يسوع : «كلا ، إن هذا لم يحدث بعد • ففى الوقت الحاضر هنالك مجموعة قليلة من البشر فى فلسطين تعرف هذه الحقيقة» • فتسائل جبرائيل : «وماذا فعلت ليعرف الجميع عن حبك ؟» فقال يسوع: « لقد طلبت من بطرس ويعقوب ويوحنا وجماعة قليلة غيرهم أن يجعلوا الحديث عنى شغلهم الشـاغل فى الحيـاة وهؤلاء يحدثون آخرين ، وآخرون يحـدثون غيرهم ، ليعرف من يسكنون أقص البقاع مافعلت • « وظهرت على وجه جبرائيل علامات الشك الكبير لأنه كان يعرف معدن البشر • فقال : « نعم ، ولكن ماذا لو أصاب الملل بطـرس ويعقـوب ويوحنا ؟ وماذا لو نسى الناس الذين يأتون من بعدهم ؟ وماذا لو أن الناس هنالك فى القرن العشرين لم يحدثوا الآخرين عنك ؟ هل وضعت خطة أخرى ؟ « فأجابه يسوع » : « اننى أعتمد عليهم » • فاذ نقول إن الكنيسة هى الجسد ، وهى امتـداد للمسيح ، فان هذا يعنى بالضبط أن المسيح يعتمد علينا •

الأَصْحَاحُ ٱلثَّانِي

الحياة بدون المسيح ونعمة الله

١ وَأَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا بِالذُّنُوبِ وَٱلْخَطَايَا ٢ ٱلَّتِي سَلَكْتُمْ
فِيهَا قَبْلاً حَسَبَ دَهْرِ هٰذَا ٱلْعَالَمِ حَسَبَ رَئِيسِ سُلْطَانِ ٱلْهَوَاءِ
ٱلرُّوحِ ٱلَّذِي يَعْمَلُ ٱلآنَ فِي أَبْنَاءِ ٱلْمَعْصِيَةِ ٣ ٱلَّذِينَ نَحْنُ
أَيْضًا جَمِيعًا تَصَرَّفْنَا قَبْلاً بَيْنَهُمْ فِي شَهَوَاتِ جَسَدِنَا عَامِلِينَ
مَشِيئَاتِ ٱلْجَسَدِ وَٱلأَفْكَارِ وَكُنَّا بِالطَّبِيعَةِ أَبْنَاءَ ٱلْغَضَبِ
كَٱلْبَاقِينَ أَيْضًا .

٤ اللهُ ٱلَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي ٱلرَّحْمَةِ مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ ٱلْكَثِيرَةِ
ٱلَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا ٥ وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ ٱلْمَسِيحِ .
بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ . ٦ وَأَقَامَنَا مَعَهُ وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي
ٱلسَّمَاوِيَّاتِ فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ ٧ لِيُظْهِرَ فِي ٱلدُّهُورِ ٱلآتِيَةِ غِنَى
نِعْمَتِهِ ٱلْفَائِقَ بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ . ٨ لِأَنَّكُمْ

بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ بِالإِيمَانِ وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ . هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ .
٩ لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ . ١٠ لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ
مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا
لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا . (أف ٢ : ١ — ١٠)

فى هذه الفقرة يفيض فكر بولس الرسول دون اعتبار لقواعد النحو ، فهو يبدأ بعض الجمل ، ولكنه لا يكملها ، وهو يبدأ فى تركيب عبارة وفى منتصف الطريق يتجه الى عبارة أخرى ، وينسى الأولى • وسبب هذا هو أن هذه الفقرة انما هى أنشودة يتغنى بها عن محبة الله وليست شرحا لاهوتياً • وأغانى الطيور المغردة لايمكن أن نحللها على أساس القواعد الموسيقية • فالطيور المغردة تغنى لأنها تستمتع بالغناء • وهذا مايفعله بولس الرسول هنا ، فهو يسكب قلبه ، ولذلك فان متطلبات اللغة يجب أن تفسح مجالا لمعجزة النعمة •

الحياة بدون المسيح

(أف ٢ : ١ — ٣)

عندما يقول بولس الرسول أنتم ، فهو يتحدث الى الأمم ، وعندما يقول نحن فهو يتحدث عن اليهود ، الذين هم شعبه • وفى هذه الفقرة يوضح بولس الرسول شناعة الحياة بدون المسيح سواء بالنسبة للأمم أو اليهود على السواء •

١ — فهو يقول أولا ان مثل تلك الحياة هى حياة فى الخطايا والذنوب • والكلمات التى يستخدمها طريفة للغاية • فكلمة خطايا هى كلمة hamartia وهى كلمة تتعلق بالتصويب نحو الهدف • وهى تعنى حرفيا عدم اصابة الهدف • فالانسان يرمى بسهمه نحو هدف ، والسهم لا يصيب هدفه ،

هذا ما تعنيه كلمة hamartia وهذا يرينا ان الخطية هى الفشل فى أن نبلغ هدف الحياة ، فالخطية هى الفشل فى أن نكون ما يجب أن نكون عليه وما يمكن أن نحققه • وهذا بالضبط هو مايجعل الخطية عامة شاملة لجميع البشر • ولدينا عادة فكرة خاطئة عن الخطية • فنحن مستعدون لأن نوافق على أن السارق والقاتل والنشال والسكير ورجل العصابات كلهم خطاة ، ولكننا ، بما أن أغلبنا مواطنون محترمون،نظن فى أعماق نفوسنا أن الخطية لاشأن لها بنا• بل لعلنا نرفض بانفعال أن يقال عنا اننا خطاة نستحق جهنم•الا أن هذه الكلمة hamartia تضعنا وجها لوجه أمام حقيقة الخطية • فالخطية ، ولنقلها مرة ثانية ، هى الفشل فى أن نكون مايجب أن نكون عليه والفشل فى تحقيق مايمكن أن نحققه فى حياتنا • فهل الزوج على أحسن مايمكن أن يكون عليه الزوج ؟ هل يسعى لأن تكون حياة زوجته حياة سهلة؟ وهل يفرض مزاجه وأهوائه ومضايقاته على عائلته ؟ وهل الزوجة على أحسن مايمكن أن تكون عليه الزوجة ؟ هل تهتم فعلا بعمل زوجها وتحاول أن تتفهم مشاكل ومشاغل الرجل الذى يعتمد البيت على عمله ؟ هل نحن آباء على أحسن ما يمكن أن يكون عليه الآباء هل هذبنا أبناءنا ودربناهم كما يجب أم هل تهربنا من المسئولية؟وعندما ابتدأ أبناؤنا يكبرون هل اقتربنا اليهم أكثر، أم هل تباعدنا عنهم لدرجة أن أصبحت المناقشة معنا أمرا صعبا وأصبحنا غرباء ؟ هل نحن كأبناء وبنات على أفضل ما يمكن أن يكون عليه الأبناء والبنات؟هل حاولنا أن نشكر ، أو أن نرد شيئا مما قدم لنا؟ هل لاحظنا علامة الألم على وجه آبائنا ونحن نعلم أننا نحن الذين آلمناهم ؟ هل كنا عمالا على أحسن مايمكن أن يكون عليه العمال ؟ هل شغلنا كل ساعة من ساعات العمل بأقصى قدر ممكن كما يمليه علينا ضميرنا ؟ وهل يتم كل عمل بأكمل صورة يمكن أن يتم بها ؟ عندما ندرك ما هى الخطية يمكننا أن نرى أن الخطية ليست شيئا قد اخترعه اللاهوتيون • فالخطية شىء قد

تشبعت به الحياة وقد تغلغل فيها . فالخطية هى أننا ، فى أى ناحية من نواحى الحياة ، نفشل فى أن نكون ما يجب أن نكون عليه ، وما يمكن أن نحققه فعلا. والكلمة الثانية التى يستخدمها بولس الرسول هى كلمة ذنوب وهى الكلمة Paraptoma وهذه الكلمة تعنى حرفيا انزلاق أو سقوط فهى تستخدم عن انسان يضل الطريق ، ويمضى تائهـــا ، وهى تستخدم عن انسان لايستطيع أن يدرك الحق، ولذلك يبتعد عن جادة الصواب. فالخطايا والذنوب هى أن يسير الانسان فى الطـــريق الخاطىء بينما كان يمكنه ، وكان يجب عليه ، أن يسير فى الطريق الصحيح ، فهى أن نضل عن الحق الذى كان يمكننا وكان يجب علينا أن نعرفه . فالخطية هى أن نفشل فى أن نبلغ هدف رحلة الحياة والغاية التى كان ينبغى أن نبلغها . فهل نحن فى الحياة حيث يجب أن نكون ؟ هل بلغنا هدف الكفاءة والمهارة والانتاج الذى كان يمكن لنا بلوغه؟ هل وصلنا فى خدمتنا للآخرين ماكان يمكننا أن نصل اليه ؟ هل وصلنا فى سعينا نحو الحياة الصالحة ماكان يمكن أن نصل اليه ؟ هل نحن على الطريق الصحيح ، أم ضللنا ، وانجرفنا عند نقطة معينة من الحياة ؟ .

فالفكرة المركزية للخطية هى فكرة الفشل ، الفشل فى بلوغ الهدف الفشل فى السير على الطريق الصحيح ، الفشل فى أن نجعل من الحياة ماكان يمكن أن تكون عليه ، وتعريف الخطية بهذه الصورة يشملنا جميعا . وعندما ندرك ما هى الخطية ، لايساورنا شك فى عمومية الخطية ، وأننا نحن خطاة .

موت فى الحياة

(أف ٢ : ١ ــ ٣ تتمة)

يتحدث بولس الرسول عن البشر فيقول انهم أموات فى الذنوب .

فماذا يعنى بذلك ياترى ؟ ظن البعض أن هذا يعنى أنه بدون المسيح يعيش البشر فى حال الخطية مما يقودهم فى الحياة الآتية الى موت النفس • الا أن بولس الرسول لا يتحدث عن الحياة الآتية ، انه يتحدث عن هذه الحياة الحاضرة فى هذا العالم • فالخطية دائما لها قوة قاتلة • وهناك اتجاهات ثلاثة يكون فيها تأثير الخطية مميتا قاتلا :

١ ـ **الخطية تقتل البراءة :** لايمكن أن يكون المرء كما هو بعد أن يخطىء • يقول علماء النفس اننا لاننسى أى شىء على الاطلاق • فقد يختفى شىء من ذاكرتنا الواعية من بين الأشياء التى نذكرها ، الا أن كل شىء فعلناه أو رأيناه أو سمعناه يختزن فى ذاكرتنا غير الواعية • وقد لا نعلم أنه فى ذكراتنا ، الا أنه يختزن هناك • ونتيجة ذلك أن الخطية تترك أثرا دائما على الانسان • وهنالك مثال لذلك فى احدى روايات دى موريه فيقول إن طفلا صغيرا اشترك لأول مرةفى حياتهفىحفل وزعوا فيه المسكرات وشرب حتى سكر فيقول انه بعد أن نام لمدة حوالى ثمانية وأربعين ساعة أو ما أشبه وبعد ما أفاق من رائحة ذلك الحفل وجد أن شيئا مؤسفا وغريباً قد حدث له ! وكأن أنفاساً غريبة قد عبرت على مرآة عقله وتركت عليها طبقة جعلته من العسير عليه أن يذكر الأشياء بنفس الوضوح الذى اعتاد على أن يذكرها به وكأن تلك المقدرة الممتازة التى كان يدرك بها الأشياء فى جمالها وفى جوهرها قد ضعفت كثيرا • وكأن تلك البهجة التى كان يستمتع بها وهو يمارس موهبة تذكر الأشياء والحوادث والمواقف المختلفة قد ضاعت تماما • ولم يستطع أن يسترد تلك المقدرة الغالية التى كان يستمتع بها وهو فى زهرة الشباب وبهجة الصبا ، دون أن يدرى • فلقد تركت الخطية تأثيرها على عقله وعلى ذاكرته فلم يعودا كما كانا عليه • فلو اتسخ رداء أو لو اتسخت سجادة

مثلا فقد نرسلها لمحلات التنظيف ، ولكنها لن تعود الى ماكانت عليه • ان الخطية تفعل شيئا بالانسان ، انها تقتل البراءة ، وعنـــدما يقتل المرء البراءة فانه لن يستطيع أن يستردها ثانية •

٢ ــ **الخطية تقتل المثل العليا :** فى حياة الكثيرين من البشر هنالك نوع من المأساة التى تتم على دفعات • فقد يغزع المرء أولا من خطأ من الأخطاء ، الا أنه فى الخطوة الثانية يجد نفسه مجربا بأن يفعل نفس هذا الخطأ ، ولكنه وهو يفعل الخطأ يحس بعدم السعادة ولا يحس بالارتياح لأنه يشعر بخطئه ، ويصل الى الدرجة الثالثة عنـــدما يكرر نفس الخطأ بدرجة يفقد معها كل الاحساس • ان قوة الخطية المميتة هى أن كل خطية تجعل الخطية التالية أسهل ، وكل انغماس يجعل الانغماس التالى أيسر • وتموت المثل شيئا فشيئا ، وكل خطية ، وكل فشل ، وكل انغماس يقتل تلك المثل •فالخطية نوع من الانتحار ، لأن الخطية تقتل المثل التى تجعل الحياة جديرة بأن نحياها •

٣ ــ **وفى النهاية تقتل الخطية الارادة :** فقد ينغمس انسان فى لذة محرمة لأنه يرغب فى ذلك ، الا أنه فى النهاية يفعلها لأنه لا يستطيع أن لايفعلها • فعندما يصبح الشىء عادة ، فانه يصبح قريبا من كونه ضرورة وعندما يسمح الانسان لعادة من العادات ، لنوع من الانغماس ، لممارسة سرية أو ممنوعة أن تسيطر على حياته ، فانه يصبح عبدا لها • وتصبح ارادته عاجزة تماما • كما يقول المثل القديم ، ازرع عملا تحصد عادة ، ازرع عادة تحصد شخصية ، ازرع شخصية تحصد مصيرا •

فهنالك قوة قاتلة فى الخطية • فالخطية تقتل البراءة ، وحتى ولو غفرت الخطية الا أن تأثيرها يبقى • هذا ما عبر عنه رود يانوس بالقول :

« أثر الجرح يبقى » • فالخطية تقتل المثل العليا فيفعل النـــاس ، دون مبالاة ، نفس الشيء الذى كانوا ينفرون ويفزعون منه• والخطية تقتل الارداة ، فتسيطر على الانسان تماما حتى لايستطيع منها فكاكا •

كل هذا يعتبر على الأقل جزءا مما قصده بولس الرسول عنـــدما تحدث عن الموت فى الخطية •

علامات الحياة بدون المسيح

(أف ٢ : ١ ـــ ٣ تتمة)

فى هذه الفقرة يقدم بولس الرسول قائمة بمواصفات الحياة بدون المسيح •

١ ـــ فهى الحياة التى يحياها المرء بحسب أسلوب العصر فى هذا العالم ، أى أنها الحياة التى يحياها الانسان بحسب مقاييس هذا العالم وقيمه • فالمسيحية تتطلب الغفران • كان الكتاب القدماء يقولون انه من علامات الضعف أن يكون فى مقدورك أن تنتقم ولا تفعل ذلك • الا أن المسيحية تتطلب المحبة حتى لأعدائنا • قال بلوتارك ان علامة الانسان الصالح هو أن يكون نافعا لأصدقائه ومخيفا لأعدائه • والمسيحية تتطلب الخدمة ، الا أن العالم لا يستطيع أن يتفهم مثلا لماذا يذهب مرسل الى بلاد غريبة ليعلم فى مدرسة أو ليداوى فى مستشفى متقاضيا ربع المرتب الذى يستطيع أن يتقاضاه لو بقى فى بلاده • ان جوهر مقاييس العالم هو أن نضع الذات فى مركز الدائرة ، أما جوهر مقاييس المسيحية فهو أن نضع المسيح والآخرين أولا • ان جوهر الانسان العالمى ، كما عبر عنه أحدهم هو أنه يعرف ثمن كل الأشياء ولكنه لا يعرف قيمة أى شىء •

فالدافع العالمى هو دافع الانتفاع ، ولكن المسيحى يعمل بدافع الرغبة فى الخدمة •

٢ ـــ انها حياة تحت سلطان أمير الهواء • وهنا نجد أنفسنا أمام شىء كان معروفا فى أيام بولس الرسول وان كانت الصورة قد تغيرت فى عصرنا الحاضر • فالعالم القديم كان يؤمن ايمانا قويا بالشياطين • فكانوا يؤمنون بأن الهواء مزدحم بالشياطين لدرجة أننا لانستطيع أن نحشــو سن دبوس فيما بينها • قال فيثاغورس : «ان الهواء كله ملىء بالأرواح» وقال فيلو : « هنالك أرواح تطير فى كل مكان فى كل الهــواء » • « ان الهواء هو بيت الأرواح التى لا أجساد لها » • وهذه الشياطين لم تعتبر كلها شريرة ، الا أن الكثيرين منهم كانوا كذلك • فكان عملهم هو نشر الشر ومحاربة قصد الله وايقاع البشر فى طريقهم الشرير ، فكانوا يهدفون نحو تحطيم نفوس البشر • ومن كان تحت سلطانهم فقد جعل نفسه ضد الله •

٣ ـــ انها حياة تتميز بعدم الطاعة • لله طرق كثيرة لاعلان ارادتــه للبشر • فهو يفعل ذلك عن طريق الضمير ، صوت الروح القدس متكلما فى داخلنا ، وهو يفعل ذلك بأن يعطى البشر الحكمة كما يقدم وصاياه فى الكتا بالمقدس • كما أنه يعلن ارداته أيضا عن طريق نصائح وتحذيرات وتوبيخات رجاله الصالحين • الا أن الانسان الذى يحيا حياة بلا مسيح يشق طريقه بنفسه حتى ولو كان يعلم طريق الله •

٤ ـــ انها حياة تحت رحمة الشهوات • وكلمة شهوات هى الكلمــة eptihumia وهى كلمة تعنى بصفة خاصة الرغبة فيما هو خطأ وفيما هو ممنوع • والخضوع لمثل هذه الشهوات يقود بالضرورة الى كارثة • ان

احدى مآسى القرن التاسع عشر كانت حياة أوسكار وايلد • فلقد كان على قسط كبير من الذكاء وفاز بأعلى الدرجات العلمية ، وكان كاتبا لامعا وفاز بأعلى جوائز الأدب ، كانت له شخصية ساحرة ، وكان بالغـريزة شخصا طيبا ، الا أنه سقط فى تجربة رذيلة غير طبيعية ، ووصـل الى السجن والى المهانة • وبينما كان يقضى مدة العقوبة على سقطته ألف أحد كتبه الذى يقول فيه : « لقد أعطتنى الالهية كل شيء تقريبـا • ولكننى سمحت لنفسى بأن أنجرف فى فترات طويلة من الاسترخاء والمتعـة الجسدية •• واذ مللت البقاء عند القمة ذهبت مختـارا الى الحضيض بحثا عن متعة جديدة • وكما كنت أستمتع بدراسة المتناقضات الظاهرية فى عالم الفكر أصبحت أستمتع بالانحراف فى عالم العواطف • وأصبحت لا أبالى بحياة الآخرين • فكنت أطلب اللذة حيثما وجدتها لا أبالى وأمضى فى طريقى • نسيت أن كل عمل صغير من أعمال اليوم العادية اما أن يبنى الشخصية أو يحطها ، وأنه لذلك فان مايفعله المرء فى الخفاء سوف يعلن للجميع يوما من الأيام • وفقدت السيطرة على نفسى • ولم أصبح فيما بعد سيد حياتى ، الا أننى لم أدرك ذلك •وسمحت للذة بأن تسود على حياتى • وانتهيت الى عار مخيف • « الشهوة سيد شرير ومن عاش تحت رحمة الشهود يصبح عبدا • والشهود ليست شيئا جسديا فقط ، ولكنها اشتهاء أى شيء ممنوع •

٥ ــ انها الحياة التى تسعى ورا‌ء ما نسميه شهوة الجسد ويجب أن نتفهم جيدا ما يعنيه بولس الرسول بكلمة الجسد وخطايا الجسد • فهو يعنى ما هو أكثر بكثير من الخطايا الجسدية والذهنية والجنسية • ففى غلاطية ٥ : ٩ ــ ٢١ يقدم بولس الرسول قائمة بخطايا الجسد •نعم انه يبدأ بالاشارة الى الزنا والطهارة ، الا أنه يشير بعد ذلك الى عبـادة

الأوثان والعداوة والخصام والغيرة والسخط والتحزب والشقاق والبدعة. ان الجسد هو الجزء الوضيع من طبيعتنا البشرية ، والجسد هو الذى يهيء للخطية رأس جسر ونقطـــة هجوم على حياتنـــا . ويختلف معنى الجسد من انسان لانسان فقد تكون نقطة ضعف أحدهم فى جســـمه والخطورة على حياته تتعلق بالخطايا الجنسية ، أما خطية شخص آخر فقد تتعلق بالأمور الروحية والخطر عليه انما هو من الكبرياء ، بينمـــا تكون الأمور الأرضية خطية شخص آخر ويعرضه الطموح غير اللائق للخطر ، وهنالك من يكون المزاج والطبع الحاد خطيته والخطورة عليه من الحسد واثارة المشاكل والشغب . كل هذه خطايا الجسد . وليحذر كل انسان من أن يظن أنه لكونه قد نجا من الخطايا الجسمانية الكبيرة فانه قد تجنب بذلك خطايا الجسد ، كما وليحذر كل انسان من أن يظن أنه لكونه لا يستطيع أن يضبط جسده بذلك يصبح الوحيد الذى يحـــارب خطايا الجسد . فالجسد هو أى شيء فينا يعطى للخطية فرصـــة ، انه الطبيعة البشرية بدون الله . ان من يعيش بحسب متطلبات الجسد انما يحيا ببساطة بكيفية تصبح فيها حياته تحت سلطان أدنى وأسوأ ما فى الطبيعة البشرية .

٦ ـــ انها الحياة التى لا تستحق سوى غضب الله . تتسم حياة كثيرين بالمرارة لأنهم يشعرون أنهم لم ينالوا فى هذه الحياة ما يتناسب مع مواهبهم وكفاءاتهم والعمل الذى قاموا به ، وقد يكون هذا صحيحا ، الا أنه فى نظر الله لا يوجد من يستحق أى شيء سوى الدينونة . فلو عاملنا الله كما نستحق ، فلن يكون نصيب أفضل البشر سوى الدينونة والعقاب . فليس سوى حبه فى المسيح هو الذى غفـــر للبشر الذين ما كانوا يستحقون سوى عقابه والذين أحزنوا حبه وكسروا وصيته .

عمل المسيح

(أف ٢ : ٤ — ١٠)

لقد بدأ بولس حديثه قائلا اننـــا ، كما نحن ، أموات بالذنوب والخطايا ، ويقول الآن الله فى حبه ورحمته قد أحيانا فى يسوع المسيح — فماذا قصد بذلك بالضبط ؟ فعن طريق ما فعله المســيح حدث شيء غير مجرى الحياة • لقد رأينـا أن هنالك أمورا ثلاثـة تتعلق بالموت فى الذنوب والخطايا • ويعمل يسوع شيئا ازاء كل واحد من هذه الأمور الثلاثة •

١ — رأينا أن الخطية تقتل البراءة ، ويجب أن نقول من البداية انه حتى المسيح لايستطيع أن يرد لانسان براءته الضائعة ، فحتى المسيح لايستطيع أن يعود بعقارب الساعة الى الوراء الا أن المسيح يستطيع أن يزيل الاحساس بالذنب الذى يترتب على فقدان البراءة • ان أول ما تفعله الخطية هو أن تخلق احساسا بالجفاء بيننا وبين الله — عندما يدرك الانسان أنه أخطأ ، يخيم عليه الاحساس بأنه لايجـرؤ على أن يقترب الى الله • عندما رأى إشعياء الله ، كان رد الفعل الأول هو أن قال : «ويل لى ! انى هلكت • لأننى انسان نجس الشفتين وساكن فى وسط شعب نجس الشفتين » • (إش ٦ : ٥) • وعندما أدرك بطرس من هو يسوع كان رد الفعل الأول : « أخرج من سفينتى يارب لأنى رجـــل خاطىء» (لوقا ٥ : ٨) • ويبدأ يسوع بأن يبعد عنا ذلك الاحســاس بالجفاء • لقد جاء ليخبرنا بأنه مهما كان حالنا فالباب مفتوح لنا لندخل الى حضرته • فلنفرض أن ابنا أو ابنة فعل شيئا مشينا للغاية ، ثم هرب بعيدا ، لأنه كان متأكدا أنه لا جدوى من الرجوع الى البيت لأن الباب لا شك موصد•ولنفرض أن شخصا جاء لهذا الانسان ليخبره بأن الباب

ليس موصدا أبدا بل على العكس لا زال مفتوحا وأن البيت ينتظره مرحبا. فما أعظم الفارق الذى تأتى به مثل هذه الأنباء ! وهذا نوع الأنباء التى أتى بها المسيح ، لقد جاء ليزيل الاحساس بالجفاء والشعور بالذنب ، بأن يخبرنا بأن الله يريدنا بالحال الذى نحن عليه .

٢ — رأينا أن الخطية تقتل المثل العليا التى يحيا الناس بها . والمسيح يحيى تلك المثل فى قلب الانسان . هنالك قصة عن مهندس زنجى كان يعمل فى سفينة صغيرة فى أمريكا وكانت سفينته قديمة ولم يهتم بها . وكانت آلاتها متسخة ولا تنال نصيبا من الصيانة . وتجدد هذا المهندس . وكان أول مافعله هو أن أتى الى سفينته وأخذ يلمع ماكيناتها حتى أصبح كل جزء منها كالمرآة الساطعة . علق أحد الركاب الذين اعتادوا استخدام هذه السفينة على هذا التغيير بأن سأل المهندس قائلا : « ماذا فعلت ؟ ماذا دفعك لأن تنظف وتلمع آلاتك القديمة ؟ » فأجابه المهندس : « يا سيدى ، لقد دخل المجد الى حياتى » . هذا مايفعله المسيح مع الانسان ، انه يعطيه مجدا . يقولون انه عندما جاء جورج ماثيسون ليرعى احدى الكنائس فى ادنبرا كانت هنالك سيدة ضمن شعب تلك الكنيسة تسكن فى بدروم قذر وبعد بضعة أشهر من خدمة ماثيسون فى تلك الكنيسة وجاء وقت التناول من العشاء الربانى ، ذهب أحد شيوخ الكنيسة الى البدروم الذى كانت تسكن فيه تلك السيدة فلم يجدها هناك. وبالاستفسار عنها علم أنها ذهبت لتسكن فى غرفة صغيرة فى أعلى أحد المبانى . كانت السيدة فقيرة جدا فلم يكن هناك فى غرفتها سوى الأثاث البسيط جدا . الا أن الغرفة كانت نظيفة وتتمتع بالهواء وبالنور بعكس غرفة البدروم التى كانت مظلمة وخلوية وقذرة . فقال لها الشيخ : « لقد غيرت مكان سكنك » . فأجابته السيدة : « نعم ! لقد

غيرت سكنى لأن من يستمع لعظات جورج ماثيسون لايستطيع أن يعيش فى بدروم » • ان الرسالة المسيحية توقظ المثل العليا فى حياتنا • فالنعمة تنعش فى الانسان تلك الأحاسيس الدفينة التى يحاول المجرب أن يكتم أنفاسها • ونعمة يسوع المسيح تشعل من جديد جذوة المثل العليا التى أخمدها السقوط المتكرر فى الخطية•وعندما تشتعل هذه الجذوة من جديد تشق الحياة طريقها الى الاعالى •

٣ — ويسوع المسيح يحيى ويرد ، بل يخلق من جديد ، الارادة الضائعة ، وهذا أعظم من أى شىء آخر • لقد رأينا أن الشىء المخيف والمميت الذى تفعله الخطية هو أنها تحطم ارادة الانسان شيئا فشيئا الى أن تقضى عليها تماما ، وأن الانغماس الذى بدأ أولا كنوع من اللذة أصبح ضرورة من ضرورات الحياة ، وأن خطية الانســان تمتص قوة ارادته وتصنع السلاسل التى تقيد المرء بها فيصبح عاجزا • والمسيح يعيد خلق الارداة • وهذا فى الواقع ما تفعله المحبة دائمـا • ان تأثير المحبة العظيمة هو دائما تأثير مطهــر • فعنــدما يغمر حب جارف قلب انسان حقيقة وفعلا يدخل الى حياته حب أعظم من حبــــه لخطاياه • ويدفعه الحب الجديد نحو الصلاح • فيحب محبوبه لدرجة ينهزم أمامها حبه للخطية ويتحطم • وهذا مايفعله المسيح معنا • فعندما نحبه ، فان نفس هذا الحب يعيد خلق اردادتنا ورغبتنا فى الصلاح ويردها الينــا ثانية • فهو يحطم قوة الخطية ، ويحرر الأسير •

عمل النعمة وأعمالها

(أف ٢ : ٤ — ١٠ تتمة)

ويختتم بولس الرسول هذه الفقرة بشرح عظيم لذلك الاختلاف الظاهرى الذى كثيرا ما نراه فى قلب نظرة بولس الرســول للانجيل •

فلننظر الآن جانبى هذا التناقض الظاهرى .

١ ــ يؤكد بولس الرسول اننا نخلص بالنعمة فنحن لا نعمل شيئا لأجل خلاص نفوسنا فنحن لم نعمل ، وما كان يمكن لنـــا أن نعمــل ما نستحق لأجله الخلاص . فالخلاص عطية الله ، وأقصى مايمكننا أن نفعله هو أن نقبله مؤمنين بأن عطية الله المجانية عطية حقيقية . ووجهة نظر بولس الرسول فى هذا الشأن لايمكن انكارها ولا يمكن مكابرتها . وهى صحيحة لسببين .

(أ) فالله هو الكمال ولا يمكننا أن نأتى بشىء يرضى كمال الله . فمهما فعل الانسان المحدود الخاطىء فانه لايستطيع أن يكسب أو يفوز أو يستحق رضى الله غير المحدود فى ذاته وفى صلاحه . فالكمال فقط هو الذى يليق بالله ، والانسان بطبيعته لايستطيع أن يقــدم شيئا كاملا لله . فحتى لو لم يكن الانسان خاطئا ، وان كان له أن يشق طريقه الى الله ، فان الله يجب أن يكون هو المعطى والانسان هو الذى يأخذ .

(ب) الا أن هنالك ما هو أكثر من ذلك ، فهنالك الفكرة المســيحية العظيمة بأن الله محبة . فالخطية اذن جريمة ضد المحبة ، لا ضد شرع من الشرائع . ومن الممكن أن نكفر عن خطأ نرتكبــه ضــــد شرع من الشرائع ولكن من المستحيل أن نعوض قلبا كسيرا .فالخطية ليست مجرد كسر وصايا الله ولكنها بالأكثر كسر قلب الله . فلنفرض اننـــا تعدينا قانونا من القوانين ، فاننـــا نتحمــل العقوبة . وقد يكون ذلك غرامة أو سجنا مما يحدده القانون ونكون بذلك قد وفينا القانون حقه فلا يطالبنا بشىء آخر ، فنصبح آحرارا بالنسبة له . لكن لنفرض أننا كسرنا قلب شخص من الأشخاص ، فلن يمكننا أن نعوض عن ذلك . فلنأخذ مثالا

بدائيا بسيطا : لنفرض أن سائق احدى السيارات نتيجة اهماله يصدم طفلا فيقتله فيلقى القبض عليه ويحاكم وتثبت الجريمة ضده ، ويحكم عليه بالسجن لمدة معينة وبغرامة يحددها القاضى وقد تسحب رخصه القيادة منه لمدة معينة • الا أنــه بعد أن يســدد الغرامة ويقضى مدة السجن لايطالبه القانون بأكثر من ذلك وينتهــى بذلك كل شىء فى نظــر القانون • الا أن الأمر يختلف تماما من وجهة نظر الأم التى قتل ابنها • فلا يستطيع قائد السيارة أن يعوضها ، ولن يستطيع أن يصحح علاقته بها ، بأن يقضى مدة فى السجن وبأن يدفع غرامه • فلقد اقترف جريمته ضد حبها لابنها والسبيل الوحيد الذى يمكن له به أن يسترد علاقته بها هو أن تصفح هى عنه بكامل رغبتها واختيارها وهذا هو حالنا مع الله • فاننا لم نخطىء ضد شرائع الله ، ولكنما ضد قلب الله • وعلى ذلك فلن نستطيع أن نسترد علاقتنا الصحيحة مع الله الا بأن يصفح هو بنعمته عنا بكامل رغبته واختياره • فلن نستطيع أن نستحق غفران الله ولكننا نستطيع أن نقبل ذلك الغفران بثقة كاملة وبايمان •

٢ ــ معنى هذا أن الأعمال لا علاقة لها باستحقاق الخلاص • الا أنه عند هذه النقطة بالضبط لايمكن ، ولا يجوز لنا ، أن تتوقفدراستنا لتعاليم بولس الرسول • الا أن الكثيرين يتوقفون عنــد هذا الحــــد ! ويتقدم بولس الرسول فى حديثه قائلا ان الله قد أعاد خلقنا لأعمــال صالحة • وهنا نجد التناقض الظاهرى فى تعليم بولس الرسول • فكل الأعمال الصالحة لايمكن أن تصحح علاقتنا بالله ، الا أنه عندما تصبح لنا العلاقة الصحيحة بالله فهنالك خطأ جسيم فى المسيحية التى لا تقود الى الأعمال الصالحة • ولا يوجد هنالك سر فى هذا الأمر • فهذا ببساطة ما يحتمه قانون المحبة • فان أحببنا انسان ، وخاصة ان كان ذلك الانسان

شخصا طيبا وجميلا وممتازا فنحن نعلم أننا لا نستحق حبه ، لأنه من المستحيل أن نستحق حبا كهذا ، ولكنه عطية تفوق استحقاقنا • الا أننا فى نفس الوقت نعلم عن يقين أننا يجب أن نقضى حياتنا محاولين أن نكون جديرين بهذه المحبة وهــذه هى علاقتنا بالله • فليس فى استطاعتنا أن نفعل أى شىء نستحق بسببه أو نكتسب عن طريقه رضى الله وحبه • فهذا الحب انما هو عطية الله المجانية التى يهبها لنا بالنعمة والتى نقبلها فى تواضع وثقة وشكر ، الا أن هذا لايعنى اننا لسنا فى حاجة لأن نعمل أى شىء ولكنه يعنى أننا من هذا الوقت فصاعدا نقضى بقية عمرنا فى محاولة طويلة لاظهار مقدار شكرنا محاولين لأن نصــل الى المستـــــوى الذى نكون فيه جديرين بهذا الحب •فالأعمال الصالحة لا يمكن أن تكسبنا الخلاص ، الا أن هناك خطأ رهيبا ان لم ينتج فينا الخلاص أعمـــــالا صالحة فأعمالنا الصالحة لاتجعل الله مدينا لنا ، ولكن حب الله يجعلنـــا ويدفعنا فى حياتنا بجملها أن نسعى لأن نكون جديرين بذلك الحب •

فنحن نعلم ماذا يريدنا الله أن نفعل ، ولقد سبق له أن أعد منذ أمد بعيد نوع الحياة التى يريدنا أن نحياها ، وحدثنا عنها فى كتابه وعن طريق ابنه • فنحن لا نستطيع أن نكتسب بمجهودنا حب الله ، الا أننـــا نستطيع ويجب علينا أن نظهر مقدار شكرنا لأجله بأن نسعى بكل قلوبنا أن نحيا تلك الحياة التى تسر قلب الله •

قبل الميلاد وبعد الميلاد

١١ لِذٰلِكَ ٱذْكُرُوا أَنَّكُمْ أَنْتُمُ ٱلْأُمَمُ قَبْــلاً فِي ٱلْجَسَدِ ٱلْمَدْعُوِّينَ غُرْلَةً مِنَ ٱلْمَدْعُوِّ خِتَانًا مَصْنُوعًا بِٱلْيَدِ فِي ٱلْجَسَدِ

١٢ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ فِي ذَلِكَ ٱلْوَقْتِ بِدُونِ مَسِيحٍ أَجْنَبِيِّينَ عَنْ
رَعَوِيَّةِ إِسْرَائِيلَ وَغُرَبَاءَ عَنْ عُهُودِ ٱلْمَوْعِدِ لَا رَجَاءَ لَكُمْ وَبِلَا إِلَهٍ
فِي ٱلْعَالَمِ . ١٣ وَلَكِنِ ٱلْآنَ فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ أَنْتُمُ ٱلَّذِينَ كُنْتُمْ
قَبْلاً بَعِيدِينَ صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ ٱلْمَسِيحِ ١٤ لِأَنَّهُ هُوَ سَلَامُنَا
ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلِاثْنَيْنِ وَاحِداً وَنَقَضَ حَائِطَ ٱلسِّيَاجِ ٱلْمُتَوَسِّطَ
١٥ أَيِ ٱلْعَدَاوَةَ . مُبْطِلاً بِجَسَدِهِ نَامُوسَ ٱلْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ
لِكَيْ يَخْلُقَ ٱلِاثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَاناً وَاحِداً جَدِيداً صَانِعاً سَلَاماً
١٦ وَيُصَالِحَ ٱلِاثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ مَعَ ٱللهِ بِالصَّلِيبِ قَاتِلاً ٱلْعَدَاوَةَ بِهِ .
١٧ فَجَاءَ وَبَشَّرَكُمْ بِسَلَامٍ أَنْتُمُ ٱلْبَعِيدِينَ وَٱلْقَرِيبِينَ . ١٨ لِأَنَّ
بِهِ لَنَا كِلَيْنَا قُدُوماً فِي رُوحٍ وَاحِدٍ إِلَى ٱلْآبِ .

١٩ فَلَسْتُمْ إِذاً بَعْدُ غُرَبَاءَ وَنُزُلاً بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ ٱلْقِدِّيسِينَ وَأَهْلِ
بَيْتِ ٱللهِ ٢٠ مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ ٱلرُّسُلِ وَٱلْأَنْبِيَاءِ وَيَسُوعُ ٱلْمَسِيحُ
نَفْسُهُ حَجَرُ ٱلزَّاوِيَةِ ٢١ ٱلَّذِي فِيهِ كُلُّ ٱلْبِنَاءِ مُرَكَّباً مَعاً يَنْمُو
هَيْكَلاً مُقَدَّساً فِي ٱلرَّبِّ . ٢٢ ٱلَّذِي فِيهِ أَنْتُمْ أَيْضاً مَبْنِيُّونَ
مَعاً مَسْكَناً لِلهِ فِي ٱلرُّوحِ .

(أف ٢ : ١١ — ٢٢)

قبل ان ياتى المسيح

(أف ٢ : ١١و١٢)

يتحدث بولس الرسول فى هذه الفقرة عن حال الأمم قبل أن يأتى المسيح • كان بولس الرسول رسولا للأمم ، الا أنه فى نفس الوقت لم ينس أبدا مكان اليهود الخاص والمتميز فى خطة الله واعلانه ذاته • وهنا يظهر التباين بين حياة الأمم وحياة اليهود •

١ ــ كان الذين يمارســون الختان ، وهو شىء جســدى يصنعه الانسان ، يطلقون اسم الغرلة على الأمم • وهنا نجد أول الانقسمات الكبيرة • فكان اليهود يحتقرون الأمم كثيرا • وكانوا يقولون ان الله قد خلق الأمم ليكونوا وقود نيران جهنم • وقالوا ان الله يحب اسرائيل فقط ، من كل الأمم الذين خلقهم • كما قالوا أيضا اسحق أرقى أنواع الحيات واقتل أفضل الأمم • ولم يوافق شرعهم على أن يقدم أحــد يد المساعدة للسيدة الأممية فى أشد ساعات محنتها ، لأن هذا ببساطة انما يأتى بأممى آخر الى العالم • فحتى مجىء المسيح كان الأمم موضوع احتقار اليهود وكان الفاصل بينهما قاطعا تماما •ولو تزوج شاب يهودى من فتاة أممية أو لو تزوجت فتاة يهودية من شاب أممى كانوا يقيمــون جنازة ذلك الشاب أو تلك الفتاة • فمثل هذا الاتصال بالأمم كان مساويا للموت • وحتى الدخول الى بيت انسان أممى كان يجعل اليهودى نجسا • فقبل مجىء المسيح كانت الحواجز قائمة وبعد أن جاء المسيــح زالت الحواجز • فقبل المسيح لم يكن هنالك أمل فى الاتحاد ، وفى المسيح تمت الوحدة الجديدة •

٢ ــ ولم يكن للأممى رجاء فى مجىء المسيح،يقول انهم كانوابدون

مسيح • وهذه ترجمة ممكنة ولربما كانت هى الترجمة الصحيحة ، الا أن الكلمة اليونانية chrostos التى نترجمها بكلمة مسيح ليست أساسا اسم علم لشخص ، وان كانت قد أصبحت كذلك ، ولكنها صفـــة وتعنى الشخص الممسوح • فلقد كان الملوك هم الذين يمســحون فى حفـــل تتويجهم ، ولا زال الأمر كذلك • وهكذا أصبحت الكلمة اليونانية التى هى ترجمة حرفية للكلمة العبرية مسيا ، تعنى الشخص الممســوح من الله ، الشخص المتوقع ، الشخص المنتظر ، فهو الملك الذى يصلى الناس لكى يرسله الله الى العالم ليرفع من شــأن أتبــاع الله ويأتى العصــر الذهبى • ولم يشك اليهود حتى فى أحلك أيامهم فى أن المسيا سيأتى • الا أن الأمم لم يكن لديهم مثل هذا الأمل • فلم يعرفوا شيئا عن المسيا ولم يكونوا فى انتظاره • ولنلاحظ الآن نتيجة هذا الاختلاف • فبالنسبة لليهود ، كان التاريخ يسير دائما فى اتجاه معين ، فمهما كانت أوضــاع الحاضر فان اليهودى كان يؤمن بأن المستقبل مجيد ، فكانت الحيــاة بجملتها لليهودى بمثابة تطلع من مستحيلات الحاضر الى أمجاد المستقبل الساطعة ، وبذلك فيمكننا أن نقول إن النظرة اليهــودية للتاريخ كانت أساسا وفى ذاتها وفى طبيعتها نظرة متفائلة • أما التاريخ بالنسبة للأممى فهو أحداث بلا هدف • ولقد قدم الرواقيون نظرية للتاريخ ، واعتبروا أن التاريخ يسير فى دائرة واعتقدوا بأن التاريخ يسير لمدة ثلاثة آلاف سنة ، وبعد ذلك تحدث أحداث عظيمة هائلة يحترق فيها الكون ، وبعد ذلك تبدأ السلسلة مرة أخرى من جديد ، وتتكرر نفس الحوادث بنفس الأشخاص تماما • هنا نجد الفارق الكبير بين النظرتين • فالتاريخ يتقدم بلا هدف بالنسبة للأممى ، أما لليهودى فالتاريخ يسير بخطى ثابتة نحو الله • فالحياة بالنسبة للأممى لا تستحق أن يعيشها الانســان ، ولكن الحياة بالنسبة لليهودى كانت هى الطريق الى حياة أعظم • والتاريخ

للأممى حلقة مفرغة ، أما لليهودى فالتاريخ هو الطـريق الى الله • وبمجىء المسيح دخل الأمم الى النظرة الجديدة للتاريخ والتى فيهـا يصبح الانسان دائما فى الطريق الى الله •

عاجز وبلا رجاء

(أف ٢ : ١١ و١٢ تتمة)

٣ ــ وأكثر من ذلك كان الأمم غرباء عن جماعة اسرائيل • وماذا يعنى هذا يا ترى ؟ كان اسم شعب اسرائيل ho hagios laos الشعب المقدس • لقد رأينا أن المعنى الأساسى لهذه الكلمة هو التباين ، الانفصال من ، والاختلاف عن • فكيف اختلف اليهود ياترى عن سـائر البشر ؟ لقد اختلفوا فى كون أن ملكهم الوحيد بكل ما تعنيه الكلمة كان هو الله • فقد تكون حكومات بعض الأمم حكومات ديمقراطية أو أرستقراطية ، أما اسرائيل فكانوا أمة ثيوقراطية لأن حاكمهم هو الله • فبعد الانتصارات العظيمة التى حققها جدعون حاول الشعب أن يجعلوا منه ملكا عليهم الا أنه قال : « لا أتسلط أنا عليكم ولا يتسلط ابنى عليكم الرب يتسـلط عليكم » • (قض ٨ : ٢٣) • وعندما تغنى المرنم : « أرفعك يا الهى الملك » (مز ١٤٥ : ١) فقد قصد هذا حرفيا • فقد يحكم الأمم ملوك وقضاة وحكام وشيوخ ومجالس مختلفة أما اسرائيل فكان ملكه هو الله • فالاسرائيلى عضو فى جماعة الله ، وهويته هوية الهية • وأن أمة ترى مصيرها بهذه الصورة لابد أن تكون حياتها حياة مختلفة • يقولون ان بريكلس ، أعظم الاثينيين ، عندما كان سائرا ليلقى خطابه فى مجمع الاثينيين كان يقول فى نفسه : « يا بريكلس ، تذكر أنك أثينى وأنـك تتحـدث الى أثينيين • « أما اليهودى فلعله كان يستطيع أن يقول : « تذكر أنك مواطن الهى ،

وأنك تتحدث الى شعب الله » • ولا يوجد فى كل العالم إحساس بالعظمة مثل هذا •

٤ ــ كان الأمم أجانب بالنسبة للعهود التى كانت تتأسس عليها المواعيد • فماذا يعنى هذا ؟ كان اسرائيل بصفة متميزة شعب العهد فماذا يعنى هذا ؟ كانت فكرة العهد اليهودية هى هكذا : اعتقدوا أن الله تقدم الى امتهم بعرض خاص قائلا : « واتخذكم لى شعبا وأكون لكم الها » • (خر ٦ : ٧) وهذه العلاقة لم تعن امتيازا فقط ولكنها تحمل بين طياتها التزاما فعلاقة العهد كانت تعنى حفظ الناموس • فالعلاقة تعتمد على أن يحفظ الشعب الناموس الذى أعطاهم الله اياه وأن يلاحظوا فرائضه وأن يطيعوه • ويقدم لنا سفر الخروج ٢٤ : ١ ــ ٨ صورة واضحة للكيفية التى قبل بها شعب اليهود العهد وشروطه : « وقالوا كل الأقوال التى تكلم بها الرب نفعل » • (خروج ٢٤ : ٣ ، ٧) فان كانت خطة الله يجب أن تنفذ فانها ينبغى أن تنفذ من خلال أمة • واختيار الله لاسرائيل لم يكن محاباة ، فانه لم يكن اختيارا لشرف خاص ،ولكنه كان اختيارا لمسئولية خاصة • الا أن الاختيار أعطى اليهود احساسا خاصا متميزا بأنهم شعب الله • فاليهودى ببساطة كان يحس فى نفسه بالوقار والاحترام • ولم يستطع بولس أن ينسى تلك الحقيقة التاريخية أن اليهود كانوا بصفة خاصة شعب الله ، والأداة فى يد الله •

٥ ــ كان الأمم بلا رجاء وبدون اله فى العالم • يتحدث الناس عادة عن اليونانيين كشعب مرح على مر عصور التاريخ ، الا أن هنالك أيضا ما يطلق عليه مرض الكآبة اليونانى • فقد كان هنالك يأس جوهرى من وراء الأشياء • كان ذلك حتى فى أيام هوميروس • ففى الالياذة (٦ : ١٤٦ ــ ١٤٩) يتقابل جلوكوس مع دايوميد فى مبارزة منفردة • وقبل

أن يبتدئا يطلب دايوميد أن يتعرف الى الأسرة التى ينحدر منها جلوكوس ويجيبه جلوكوس قائلا : « لماذا تسأل عن نسبى ؟ ان أنساب البشر كأوراق الشجر • فكما أن أوراق الشجر تبعثرها الرياح فى جميع أنحاء الأرض ثم تنبت أوراق جديدة فى أشجار الغابات مرة ثانية عندما يأتى الربيع ، كذلك أنساب البشر ينبت الواحد ويضيع الآخر • لقد استطاع اليونانيون أن يقولوا عن الانسان : « بالغداة يزهر فيزول » • الا أنه ما كان يمكن لهم أن يقولوا ظافرين منتصرين : « منذ الأزل الى الأبد أنت الله » •

وكتب ثيوجنس قائلا : « اننى أفرح وأبتهج فى شبابى ، فسوف أرقد طويلا فى التراب محروما من الحياة ، وكأنى حجر أصم ، سأحرم من ضوء الشمس الذى أحبه ، ومع أننى انسان صالح الا أننى سوف لا أرى شيئا بعد • ولكن افرحى يانفسى فى شبابك، فسوف يأتى آخرون الى الحياة وسأكون أنا ترابا فى تراب • ولا يوجد سعيد تحت الشمس • « وفى ترانيم هوميروس يستمتع المجمع الأولمبى بآلهة الفنون الجميلة وهى تغنى » عن عطايا الالهـة التى لاتفنى ، وعن مآسى البشر ، حتى تلك التى يتحملونها فى خضوع للخالدين ، فيعيشون وهم لايدركون ، يعيشون وهم فى حال العجز ، فلا يجدون علاجـا للموت ، ولا يملكون دفاعا ضد الشيخوخة • « ونجد فى سوفوكلس سطورا تعتبر من أجمل ماعرفه التاريخ ، ولكنها أيضا تفيض بالحزن واليأس • « الشباب ينزوى ومجد الرجولة يذبل • ويموت الايمان ويبقى عدم الايمان مزدهرا ولن تهب نسمات صادقة الى الأبد ، لا فى شوارع الحياة ، ولا فى داخـل القلوب » • لقد كان الأممى حقا بلا رجاء لأنه كان بلا اله • الا أن شعب الله كان لهم ذلك الرجـاء المشرق السـاطع دائمـا والذى كان يتوقد

باستمرار حتى فى أحلك الأيام وأصعبها ، أما الأمم فقد سكن القنوط قلوبهم قبل أن يأتى المسيح يسوع ليعطيهم رجاء عوض اليأس •

نهاية الحواجز

(أف ٢ : ١٣ — ١٨)

رأينا من قبل كيف كره اليهـود الأمم واحتقروهم • ويستخدم بولس الرسول الآن صورتين يوضح بهما بصفة خاصـة لليهـود كيف انتهت العداوة وكيف جاءت الوحدة الجديدة •

فيقول إن أولئك الذين كانوا بعيدين صاروا قريبين • لقد استمع اشعياء لصوت الله قائلا : « سلام ، سلام للبعيـد وللقريب » (إش ٥٧ : ١٧) • وعندما كان الربيون يتحدثون عن قبول شخص يتحول الى اليهودية ، كانوا يقولون ان هذا الانسان ، قد صار قريبـا • ويحدثنا الربيون اليهود مثلا عن امرأة أتت الى أحد الربيين واسمه اليعـازر واعترفت له بأنها كانت خاطئة ، وطلبت منه أن تقبل فى الايمان اليهودى فقالت له : «يا معلم، قربنى» • الا أن الربى رفض فلقد كان الباب موصدا فى وجهها • الا أن الباب قد انفتح الآن وأولئك الذين كانوا بعيدين قد قربهم الله ، ولم يغلق الباب فى وجه أحد •

الا أن بولس الرسول يستخدم صورة أوضح • فيقول ان الحائط المتوسط الذى كان يفصل بين اليهود والأمم قد هدم • وهذه صورة من الهيكل • كان الهيكل يتكون من عدة أروقة ، كل رواق منها يرتفـع عن الآخر والهيكل نفسه فى المكان المتوسط • فكان هنالك أولا رواق الأمم ، وبعد ذلك رواق النساء ، ثم رواق الاسرائيليين ، ثم رواق الكهنة ، ثم

المكان المقدس نفسه • ولم يكن مسموحا للأممى بالدخول الا الى الرواق الأول • وبين هذا الرواق ورواق النساء كان هنالك حائط ، أو حاجز من الرخام الجميل الذى حفـر عليـه بين مكان ومكان اعلان بأن أى أممى يتخطى هذا الحاجز يتعرض للموت الفورى • ويقـول يوسيفوس فى وصفه للهيكل : « عندما تمر من هذا المكان الأول الى الفناء الثـانى فى الهيكل كان هنالك حاجز مصنوع من الحجارة حول ذلك الفناء ارتفاعه ثلاث قامات • وكان بناؤه رشيقا وعليه كانت أعمـدة على مسـافات متساوية توضح شريعة التطهير ، بعضها باليونانية وبعضها باللاتينية تقول إنه من غير المسموح للأجانب بالدخول الى المكان المقـدس » • (حروب اليهود ٥ ، ٥ ، ٢) ويقول فى وصف آخر للفناء الثانى للهيكل : « وكان هذا محاطا بحائط حجرى ليكون فاصلا ، وكانت عليه كتابة تمنع أى أجنبى من أن يتخطاه والا تعرض للموت » (آثار اليهود ١٥ ، ١١ ، ٥) • وفى عام ١٨٧١ اكتشف أحد الحجارة التى كان منقوشا عليها هذا التحذير : « فليحذر أى واحد من أى أمة من أن يتخطى هـذا الحاجز والفاصل الذى يحيط بالمكان المقدس • وكل من يفعل هذا يكون مسئولا عن كونه سيقتل • « وكان بولس يعرف جيدا هذا الحاجز ، فقد ألقى القبض عليه فى أورشليم ، ذلك الحدث الذى أدى ببولس الى سجنه النهائى والى موته ، لأنه هو نفسه أتهم خطأ بأنه أخـذ تروفيموس الأفسسى الأممى ، الى داخل الهيكل وتخطى هذا الحاجز (أ ع ٢١ : ٢٨، ٢٩) • وبذلك فهذا الحائط الذى لم يكن تخطيه ممكنا حال دون دخول الأمم الى حضرة الله •

الطبيعة البشرية : نفورها وانانيتها

(أف ۲ : ۱۳ ـ ۱۸ تتمة)

لم يكن اليهود الشعب الوحيد الذى وضع حواجز تفصل بينهم وبين سواهم من البشر • لقد كان العالم القديم مليئا بالحواجز • فقبل ذلك الوقت بما يقرب من أربعمئة عام ،عندما كان الغزو الفارسى يهدد بلاد اليونان ، كان ذلك العصر هو العصر الذهبى لحكومات المدن •وكانت بلاد اليونان تتكون من مدن شهيرة كأثينا وطيبة وكورنثوس وغيرها • وكادت بلاد اليونان أن تواجه الدمار بل لعلها قد قادت نفسها اليه ، لأن تلك المدن رفضت أن تتعاون معا وتتحد لمقابلة الخطر المشترك • وكتب ت • ر • جلوفر يقول : «كان الخطر يكمن فى أن كل جيل من الأجيال ، فى كل مدينة على حدتها ،كان يحرص على الاستقلال مهما كان الثمن » • وكتب شيشرون بعد ذلك بمدة طويلة : « كما يقول اليونانيون ، كل البشر ينقسمون الى طبقتين اليونانيين والبرابرة » • فكان اليونانيون يسمون أى انسان لا يستطيع أن يتكلم اليونانية بربريا ، وكانوا يحتقرون البرابرة ويضعون الحواجز فى طريقهم • وعندما تحدث أرسطو عن التوحش والبهيمية قال : «انها موجودة بكثرة بين البرابرة» •«وقد عنى بالبرابرة ببساطة من ليسوا يونانيين • ويتحدث عن « القبائل المتطرفة من البرابرة التى تنتمى الى جماعة الوحوش » • وكانت أكثر أشكال الديانة اليونانية حيوية «ديانات الأسرار » وكان البرابرة ، غير اليونانيين لا يقبلون فى أغلب هذه الديانات • ويقول كاتب يونانى إسمه ليفى : « يخوض اليونانيون حربا لا هوادة فيها ضد الأجناس الأخرى ، أى ضد البرابرة • «ويقول أفلاطون إن البرابرة ، أى الذين ليسوا يونانيين هم « أعداؤنا بالطبيعة » •

وهنالك مثل هولندي يقول : « المجهول غير محبوب » • وكان اليونانيون يعتبرون الانسان من الأجناس الأخرى فى العالم القديم شخصا يمكن أن يكون عدوهم ، بل انه فى أغلب الأحيان كان عدوا حقيقيا • ومشكلة الحواجز ليست بحال من الأحوال مشكلة العالم القديم فقط • فنقتبس ريتا سنودن مثلين شعبيين مناسبين فى هذا المقال • فقد اعتاد الآب تيلور من مدينة بوسطن أن يقول : « هنالك متسع فى العالم بالكاد يكفى لجميع البشر ، الا أنه لايوجد مكان للحواجز التى تفصل بينهم » • ويقول السير فيليب جيبس فى كتابه « صليب السلام » عن الحالة الحاضرة : « ان مشكلة الحواجز قدأصبحت من أهم مشاكل العالم التى يجب أن نواجهها • فهنالك اليوم مختلف أنواع الحواجز التى تفصل الأجناس والشعوب فى العالم • ان التقدم الحديث جعل العالم بأسره وكأنه أحد الأحياء التى نسكن فيها •• ولقد كلفنا الله بأن نجعله مكان أخوة • ففى وجه الانقسامات العنصرية والطبقية والعقائدية اليوم يجب أن نهز الأرض من جديد برسالة المسيح الذى يشمل الجميع والذى لايوجد فيه عبد وحر ، يهودى ويونانى ، سكيثى وبربرى ولكن الكل واحد •

وكانت للعالم القديم حواجزه وأسواره • فكان اليهودى يكره كل البشر ، وكان يعتبر أن الله يكره جميع البشر فيما عدا أمته • وكان اليونانى يرى البرابرة فى مرتبة الوحوش ، وكان يعتبر أن الحرب بلا هوادة ضدهم انما هى من طبيعة الأشياء • واليوم هنالك الستار الحديدى والحواجز التى تفصل بين أمة وأمة وطبقة وطبقة ، ولون ولون وكنيسة وكنيسة • وفى كل مجتمع بدون المسيح لايمكن أن نجد سوى الحواجز والحوائط التى تفصل بين جماعة وجماعة •

الوحـــدة فى المسيح

(أف ٢ : ١٣ ــ ١٨)

ويقول بولس الرسول انه فى المسيح زالت كل هــذه الحواجز • وكيف نقض يسوع هذه الحواجز ؟ •

١ ــ يقول بولس الرسول عن المسيح ، « انه هو سلامنا » • ماذا عنى بذلك يا ترى ؟ •

فلنستخدم تشبيها بشريا • لنفرض أن شخصين اختلفا وتشاجرا • ولنفترض أنهما ذهبا الى القضـــاء ، ولنفترض أن بعض المتخصصين فى القانون أعدوا مستندا بشأن الموضوع أوضحوا فيه كل جوانب القضية ، ولنفترض أنهم طلبوا من المتخاصمين أن يصلا الى الوفاق على أساس هذا المستند القانونى • أغلب الظن أن الخصومة ستستمر والخصام سيبقى ، لأن السلام قلما يتم على أساس مستندات قانونية • ولكن لنفترض أن صديقا للطرفين جاء اليهما وتحدث معهما ووضع يد الواحد منهما فى يد أخيه بل أكثر من ذلك قارب بين قلبيهما ، هنا تكون الفرصة سانحة لأن يسود السلام • عندما يختلف فريقان ، فان الوسيلة المضمونة للتقريب بينهما انما هى عن طريق شخص يحبانه • وهذا مافعله المســيح • انه سلامنا • لأنه فى اطار الحب المشترك لهم ، يتعلم البشر أن يحب بعضهم بعضا • وقد دفع دماءه ثمنا لهذا السلام ، فالصليب هو أعظم ما يوقظ الحب • فانه على الصليب يجذب المسيح الجميع لنفسه (يو ١٢ : ٣٢) • فمنظر هذا الصليب يوقظ فى جميع قلوب البشر ، من كل الشعوب ، حبا للمسيح ، ولا يحبون بعضهم بعضا الا بعد أن يحبوا المسيح • فالسلام لا يأتى عن طريق المعاهدات والمناقشات والاتفاقيات والجمعيات ، ولكنما يأتى فقط فى المسيح يسوع •

٢ — ويقول بولس الرسول إن المسيح قد محا ناموس الوصايا بكل متطلباته • وماذا يعنى هذا ؟ •

لقد اعتقد اليهود ان الانسان لايمكن أن يكون صالحا الا بحفظ الناموس اليهودى وكان هذا فى نظرهم هو السبيل الوحيد لبلوغ الشركة مع الله والعلاقة الطيبة معه • وقد فسروا هذا الناموس فى آلاف كثيرة من القواعد والوصايا والتعليمات • فالأيدى يجب أن تغسل بطريقة معينة ، والاطباق يجب أن تغسل أيضا بطريقة معينة ، ويقرأ المرء صفحات كثيرة عما يمكن فعله وما لايمكن عمله يوم السبت ، وهذه الذبيحة وتلك وغيرها كان يجب أن تقدم بهذه المناسبة أو تلك أو غيرها من مناسبات الحياة • ومن الواضح أنك لاتستطيع أن تجعل من مثل هذه الديانة ديانة تشمل جميع البشر • والجماعة الوحيدة التى حافظت على الناموس اليهودى حقا وتماما هى جماعة الفريسيين • الا أن عددهم لم يتجاوز ستة آلاف شخص • وأن ديانة تؤسس على كافة أنواع القواعد والقوانين المتعلقة ببعض الممارسات وبعض العادات والفرائض والذبائح والأيام ، لايمكن أن تصبح ديانة عامة للجميع • كما قال بولس الرسول ، « لأن غاية الناموس هى المسيح » (رو ١٠ : ٤) وكما يقول هنا : « أبطل المسيح ناموس الوصايابكل فرائضه » • لقد أنهى المسيح الفكرة الناموسية كمبدأ دينى •

ولكن ماذا وضع فى مكانها يا ترى ؟ لقد أحل الحب لله والحب للبشر محل الأفكار الناموسية • لقد جاء المسيح ليقول للبشر انهم لايستطيعون أن يحصلوا على رضى الله عن طريق حفظ فرائض الناموس ، ولكنما يجب عليهم أن يقبلوا حب الله وغفرانه وشركته التى يقدمها لهم مجانا فى

رحمته • وأن ديانة تتأسس على المحبة لتصلح في الحال لأن تكون ديانة للجميع • وتروى ريتا سنودن قصة من أيام الحرب ، فتقول إنه حدث في فرنسا أن أتى بعض الجنود مع قائدهم بجثة زميل لهم الى مدفن فرنسى ليدفنوه هناك • فقال لهم الكاهن ان ذلك المدفن يتبع الكنيسة الكاثوليكية وعليه أن يسألهم ان كان زميلهم الميت قد تعمد في الكنيسة الكاثوليكية • فقالوا له انهم ليسوا على يقين فاعتذر لهم قائلا انه لايستطيع ، والحال كذلك ، أن يسمح بدفن زميلهم في المدفن الذى هو فناء الكنيسة • فأخذ الجنود في حزن وأسى جثة زميلهم ودفنوها خارج سور الكنيسة مباشرة • وجاءوا في اليوم الثانى ليطمئنوا الى أن أحدا لم يعبث بقبر زميلهم • ولشدة دهشتهم انهم لم يستطيعوا العثور عليه • لقد كانوا يعلمون انه على مسافة ستة أقدام فقط من سور مدافن الكنيسة وعبثا حاولوا أن يعثروا على مكان التربة التى نبشوها حديثا • وبينما كانوا على أهبة الانصراف ، وهم في حيرة وارتباك ، جاءهم الكاهن ، وقال لهم إن فكره كان مضطربا لأنه رفض أن يسمح لهم أن يدفنوا زميلا في فناء الكنيسة ، ولذلك فانه قام من فراشه في الصباح الباكر ونقل بيده سور المدافن ليصبح جسد الجندى الذى مات لأجل فرنسا من الداخل وليس من الخارج • هذا مايفعله الرب • ان القواعد والفرائض تضع الحواجز ، الا أن المحبة تزيلها • لقد أزال المسيح الحواجز بين الانسان وأخيه الانسان لأنه أبطل كل ديانة تبنى على الفرائض والقواعد البشرية بديانة تتأسس على المحبة •

عطايا الوحدة في المسيح

(أف ٢ : ١٣ — ١٨ تتمة)

ثم يتحدث بولس عن العطايا التى لاتقدر والتى جاء بها المسيح

للبشرية ، تلك العطايا التى تتبع الاتحاد الجديد فى المسيح •

١ ــ لقد جعل من اليهودى والأممى انسانا واحدا جديدا • وكلمة جديد يعبر عنها فى اليونانية بكلمتين • هنالك neos وهى التى تعبر عن شىء جديد من الناحية الزمنية ، فالشىء الذى يطلق عليه neos هو ببساطة ذلك الشىء الذى ظهر فى الوجود حديثا ، الا أنه من الممكن أن يكون هنالك مئات بل آلاف الأشياء المماثلة بالضبط والتى كانت موجودة من قبل • فالقلم الرصاص الذى أنتجه المصنع هذا الأسبوع يعتبرقلما جديــدا بالمعنى الذى تقدمه كلمة neos الا أن هنـــالك آلاف أقلام الرصاص المماثلة والتى كانت موجودة من قبل ؛ وهنالك كلمة kainos والتى تعنى الجدة لا من ناحية الزمن ولكن من ناحية النوع • والشىء الذى يطلق عليه kainos هو الشىء الجديــد بمعنى أن يأتى الى عالمنا بشىء من نوع جديد ، بشىء لم يــكن موجودا من قبــل • والكلمة التى يستخدمها بولس الرسول هنا هى كلمة kainos فهو يقول ان المســيح يجمع بين اليهودى والأممى ويصنع منهما معا شخصا من نوع جديد • وهذه صورة طريفة وذات معنى عميق ، فان المسيح لايجعل من كل اليهود أمميين ، ولا من كل الأمميين يهودا ، ولكنه ينتج منهما معا شخصا من نوع جديد ، مع أنهم يستمرون فىكونهم أمما ويهودا •ويقول يوحنا فم الذهب واعظ كنيسة العصور الأولى العظيم ، ان مافعله المسيح يشــبه كوننا نأخذ تمثالا من فضة وتمثالا من رصاص ونذيعهما معا واذا بهما ينتجان ذهبا • ان الوحــدة التى يحققهــا المســيح لا تتأتى بأن يمحو الخصائص العنصرية والقومية ، ولكنها تتحقق بأن تجعل كل البشر من كل الأمم مسيحيين • ولعلنا نجد هنا شيئا نحتاج أن نتعلمه • لقد كان الميل السائد كلما أرسل الانجليز مرسلين الى الخارج ، هو أن يخلقوا جماعة من الناس يلبسون الملابس الانجليزية ويتكلمون اللغة الانجليزية

ويتثقفون بالثقافة البريطانية • بل أن هنالـــك بعض الإرساليات التى تفـــرض على الكنائس المحليـــة التى تنشئوها أن تتعبد بنفس اجزاء العبادة التى يتعبدون هم بها فى بلادهم•الا أن المسيح لن يرغب فى أن يجعل كل البشر أمة واحدة ، ولكنه يرغب فى أن يكون هنالك مسيحيون هنود ، ومسيحيون أفريقيون ممن تكمن وحـــدتهم فى مسيحيتهم • ان الوحدة فى المسيح هى فعلا فى المسيح وليست فى أى تغيير خارجى •

٢ ــ لقد صالح الاثنين مع الله • والكلمة التى يستخدمها بولس الرسول هى كلمة apokatallassein وهى الكلمة التى تدل على مصالحة صديقين افترقا وتباعدا • ان عمل المســـيح هو أن يعلن للبشر أن الله صديقهم ، ولكونه صديقهم فانه يجب عليهم أن يكونـــوا أصدقـــاءه • والمصالحة مع الله تحمل بين ثناياها المصالحة مع البشر •

٣ ــ وعن طريق المسيح يصبح لليهودى وللأممى الحق فى التقدم الى الله • والكلمة التى يستخدمها بولس الرسول للتعبير عن «القدوم» الى الله هى كلمة prosagoge وهى كلمة لها معان كثيرة • فهى الكلمة التى تعبر عن التقدم بذبيحة الى الله ، وهى الكلمة التى تعبر عن التقدم بالناس الى حضرة الله لكى يكرسوا لخدمته ، وهى الكلمة التى تستخدم عن تقديم متكلم أو سفير الى مجلس الشعب،وأهم من كل هذا هى الكلمة التى تستخدم عن تقديم انسان الى حضرة الملك • ولقد كان فى البلاط الملكى الفارسى أحد الموظفين الذى كانوا يسمونه prosagoge والذى كان يقوم بتقديم الراغبين فى مقابلة الملك• انه امتياز كبير أن يكون للمرء الحق فى أن يحظى فى أى وقت بلقاء شخص محبوب حكيم تقى ، وأن يكون له الحق فى أن يذهب اليه ويدخل الى حضرته ، أن يزعجه وأن يحمل اليه متاعبه ومشاكله ووحدته وآلامه • وهـــذا بالضبط هو الحق الذى

يخوله لنا المسيح فى علاقتنا بالله ، فالمسيح أنمـا بمثابة الباب المفتوح دائما ليأتى بنا الى حضرة الله ، ويستوى فى ذلك اليهود والأمم •

فالوحدة فى المسيح تنتــج مسيحيين تســمو مسيحيتهم فوق كل الاختلافات المحلية والعنصرية ، وتنتج اناسا يصادقون بعضهم بعضـا لأنهم أصدقاء الله ، كما تنتج اناســا متحدين لأنهم يتقابلون فى حضرة الله الذى لجميعهم الحق فى الاقتراب اليه •

الأسرة الالهية وسكن الله

(أف ٢ : ١٩ ــ ٢٢)

يستخدم بولس الرسول فى هذه الفقرة الأخيرة من هذا الأصحاح صورتين ساطعتين • فيقول ان الأمم ليسوا بعــد غرباء ونزلا ولكنهم مواطنون فى وسط شعب الله ولهم العضوية الكاملة فى الأسرة الالهية •

ويستخدم بولس الرسول كلمة kenos للتعبير عن كلمة غرباء • ففى كل مدينة يونانية كان هنالك الغرباء ، ولم تكن حياتهم حياة سهلة • فقد كتب أحدهم وقد كان غريبا فى مدينة غريبة الى أسرته يقول : « خير لك أن تكون فى بيتك مهما كان ذلك البيت ، من أن تكون فى بلاد غريبة » • فالأجنبى كان ينظر اليه دائما بشىء من الريبة وعدم المحبة • ويستخدم بولس الرسول كلمة paroiks للتعبير عن كلمة « نزلا » والنزيل كان شخصاً حاله أسوأ من الغريب • فلقد كان أجنبيا مقيما ، فهو انسان قد جاء ليقيم فى مكان ، ولكنه لم يمنح جنسية ذلك المكان • لقد كان يدفع الضرائب ليتمتع بالوجود فى تلك البلاد التى لم تكن بلاده • كان يقيم ويعمل هنالك ، ولكنه غريب وأجنبى وبيتــه فى مكان آخــر • فالغريب والنزيل كانا يعانيان وكانا يعيشان على هامش الحياة بعيدا عن وطنهما •

ولذلك يقول بولس الرسول للأمم : « لستم فيما بعد فى الكنيسة وبين شعب الله ، جماعة يحتملها المجتمع مضطرا ، ولكنكم مواطنون حقيقيون فى المجتمع الالهى ، وأعضاء فى الأسرة الالهية بكل ماتعنيه العضوية » • أى أننا نستطيع أن نقول ببساطة أننا نصبح فى ألفة مع الله عن طريق يسوع المسيح •

ويحدثنا أ • ب • ديفدسون عن اختياره عندما عاش فى مدينة غريبة • لقد كان يحس بالوحدة واعتاد أن يتمشى فى الشوارع عند الغروب ، وكان يرى أحيانا من خلال بعض النوافذ التى لم تكن ستائرها مسدلة ، بعض العائلات التى تجلس حول المائدة أو بقرب المدفأة فى شركة سعيدة ، الا أنه عندما كانت الستارة تسدل كان يحس وكأنه قد ترك وحيدا فى ظلام الشارع • ان هذا ما لايمكن أن يحدث فى الأسرة الالهية • وهذا ما لايجب أن يحدث أبدا فى الكنيسة • ففى المسيح يسوع هنالك مقعد وهنالك مكان لكل واحد منا ، ولكل البشر فى الأسرة الالهية • فقد يضع البشر الحواجز وقد تجعل بعض الكنائس مائدة العشاء الربانى قاصرة على أعضائها فقط ، الا أن الله لايفعل هذا أبدا ، وان مأساة الكنيسة أحيانا تكمن فى أن تصرفاتها كثيرا ماتكون أضيق بكثيرمما يفعله الله •

والصورة الثانية التى يستخدمها بولس الرسول هى صورة البناء • فهو يعتبر كل كنيسة جزءا من بناء عظيم ، كما أنه يعتبر كل مسيحى حجرا مبنيا فى الكنيسة • وحجر الزاوية للكنيسة كلهاهو المسيح ، واذا تزحزح حجر الزاوية فان كل البناء ينهار ، لأن حجر الزاوية هو الذى يربط كل شىء معا •

ويعتبر بولس هذا البناء مستمرا،كل جزء من المبنى يرتبط بالمسيح. فلنفكر فى الصورة التى كثيرا ماتكون عليها الكاتدرائيات الكبيرة : فقد يكون أساسى مبنيا بطراز خاص ، بينما الأبواب تكون عليها كاتدرائية عظيمة فالأساسات تقام على طراز معين والنوافذ تكون بطراز آخر ، جزء من الكاتدرائية بطراز قديم ، وجزء آخر بطراز أحدث ، جزء منها تم بناؤه منذ سنين وجزء آخر يتم فى هذه الأيام. فهنالك أنواع كثيرة من هندسة العمارة وكثيرون قد اشتركوا فى البناء ، الا أن البناء يكون وحدة واحدة لأن هذا البناء فى كل مراحله وأجزائه قد استخدم لعبادة الله وليتقابل الانسان مع الرب يسوع المسيح .

هذا مايجب أن تكون عليه الكنيسة . فوحدتها لا تتأسس على أنظمة ولا طقوس ولا فرائض ولا عبادة . ان وحدتها تأتى من المسيح . فحيثما كان المسيح ، كانت الكنيسة . وتتحقق وحدة الكنيسة عندما تدرك الكنيسة أنها قائمة لا لكى تدعو لوجهة نظر يؤمن بها جماعة من الناس ، ولكن لتقدم مكانا بل مسكنا يستقر فيه روح المسيح ويجتمع فيه كل من يحبون المسيح بنفس هذا الروح .

اَلأَصْحَاحُ اَلثَّالِثُ

السجن والامتيازات

١ بِسَبَبِ هذَا أَنَا بُولُسُ أَسِيرُ الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَجْلِكُمْ أَيُّهَا اَلأُمَمُ
٢ إِنْ كُنْتُمْ سَمِعْتُمْ بِتَدْبِيرِ نِعْمَةِ اللهِ اَلْمُعْطَاةِ لِي لأَجْلِكُمْ.
٣ أَنَّهُ بِإِعْلاَنٍ عَرَّفَنِي بِالسِّرِّ. كَمَا سَبَقْتُ فَكَتَبْتُ بِالإِيجَازِ.
٤ الَّذِي بِحَسَبِهِ حِينَمَا تَقْرَأُونَهُ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْهَمُوا دِرَايَتِي بِسِرِّ
الْمَسِيحِ . ٥ الَّذِي فِي أَجْيَالٍ أُخَرَ لَمْ يُعَرَّفْ بِهِ بَنُو اَلْبَشَرِ
كَمَا قَدْ أُعْلِنَ اَلآنَ لِرُسُلِهِ اَلْقِدِّيسِينَ وَأَنْبِيَائِهِ بِالرُّوحِ . ٦ أَنَّ
اَلأُمَمَ شُرَكَاءُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْجَسَدِ وَنَوَالِ مَوْعِدِهِ فِي الْمَسِيحِ
بِالإِنْجِيلِ . ٧ الَّذِي صِرْتُ أَنَا خَادِمًا لَهُ حَسَبَ مَوْهِبَةِ نِعْمَةِ اللهِ
اَلْمُعْطَاةِ لِي حَسَبَ فِعْلِ قُوَّتِهِ . ٨ لِي أَنَا أَصْغَرَ جَمِيعِ اَلْقِدِّيسِينَ
أُعْطِيَتْ هذِهِ اَلنِّعْمَةُ أَنْ أُبَشِّرَ بَيْنَ اَلأُمَمِ بِغِنَى اَلْمَسِيحِ اَلَّذِي
لاَ يُسْتَقْصَى ٩ وَأُنِيرَ اَلْجَمِيعَ فِي مَا هُوَ شَرِكَةُ اَلسِّرِّ اَلْمَكْتُومِ
مُنْذُ الدُّهُورِ فِي اللهِ خَالِقِ اَلْجَمِيعِ بِيَسُوعَ اَلْمَسِيحِ . ١٠ لِكَيْ

يُعَرَّفَ ٱلْآنَ عِنْدَ ٱلرُّؤَسَاءِ وَٱلسَّلَاطِينِ فِي ٱلسَّمَاوِيَّاتِ بِوَاسِطَةِ ٱلْكَنِيسَةِ بِحِكْمَةِ ٱللهِ ٱلْمُتَنَوِّعَةِ ١١ حَسَبَ قَصْدِ ٱلدُّهُورِ ٱلَّذِي صَنَعَهُ فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا. ١٢ ٱلَّذِي بِهِ لَنَا جَرَاءَةٌ وَقُدُومٌ بِإِيمَانِهِ عَنْ ثِقَةٍ. ١٣ لِذَلِكَ أَطْلُبُ أَنْ لَا تَكِلُّوا فِي شَدَائِدِي لِأَجْلِكُمُ ٱلَّتِي هِيَ مَجْدُكُمْ.

(أف ٣ : ١ ـــ ١٣)

لكى ندرك اتصال الفكر فى هذه الفقرة يجب أن نلاحظ أن الآيات ٢ ـــ ١٣ انما هى فقرة طويلة بين قوسين . فالكلمات « لسبب هذا » فى الآية ١٤ تعود بنا الى الكلمات « لسبب هذا » فى الآية الأولى . تحدث أحدهم عن كيف أن بولس الرسول اعتاد أن يسرح فى الفكر لمجرد كلمة واحدة . فكلمة أو فكرة واحدة كانت تجعل أفكار بولس الرسول تنطلق الى آفاق بعيدة . فعندما يتحدث بولس الرسول عن نفســه « كأسـير يسوع المسيح » فان هذا يدفعه الى التفكير فى مقدار محبة الله للجميع ، والدور الذى كان يقوم به ليوصل ذلك الحب للأمم . فينطلق تفكير بولس فى هذا الاتجاه بالآيات ٢ ـــ ١٣ ثم يعود فى الآية ١٤ الى الفكرة التى طفق يتحدث عنها فى البداية .

الاكتشاف العظيم

(أف ٣ : ١ ـــ ٢)

عندما كتب بولس الرسول هذه الرسالة كان فى السجن فى رومـا ينتظر المحاكمة أمام نيرون . وكان ينتظر وصول ممثلى الاتهام من اليهود بوجوههم الشاحبة وكراهيتهم وحقدهم واتهاماتهم الخبيثة . ولقد كان

لبولس الرسول بعض الامتيازات وهو فى السجن ، فلقد سمح له بأن يقيم فى منزل استأجره لنفسه ، كما سمح لأصدقائه بأن يزوروه فيه ، الا أنه برغم هذا كان يحس صباح مساء أنه سجين، وطوال الليل وطوال النهار كان مقيدا بسلسلة تتصل بمعصم جندى رومانى يحرسه كان واجبه أن لا يتمكن بولس أبدا من الفرار • فى مثل هذه الظروف يطلق بولس الرسول على نفسه « أسير المسيح » • وهنا نجد مثالا آخر يوضح كيف أن للمسيحى هذه الحياة المزدوجة والعنوان المزدوج • فأى شخص عادى ينظر الى بولس الرسول فى السجن ، يقول ان بولس سجين الدولة الرومانية ، وقد كان بولس الرسول كذلك من زاوية معينة ، الا أن بولس لم يفكر فى نفسه أبدا كأسير الدولة الرومانية ، لقد فكر فى نفسه دائما كأسير المسيح • لم يفكر فى نفسه وقد ألقت السلطات الرومانية القبض عليه ، لكنه فكر فى نفسه وهو يعانى الآلام لأجل المسيح • ان الزاوية التى ننظر منها للأشياء تجعل الفارق كبيرا • هنالك قصة مشهورة تعود بنا الى الأيام التى كان السير كروستوفر ورن يبنى فيها كاتدرائية القديس بولس ، ويقولون انه ذهب يوما ليتفقد سير العمل فجاء الى أحد العمال وسأله « ماذا تفعل » ؟ فأجابه الرجل : « اننى أقطع الحجر بأبعاد محددة » • ثم جاء الى رجل ثان وسأله نفس السؤال فأجاب : «اننى أتقاضى مبلغ كذا من المال أجرا لعملى) • وجاء لرجل ثالث وسأله نفس السؤال وصمت الرجل لحظة ثم انتصب وقال : « اننى أساعد السير كروستوفر ورن ليبنى كاتدرائية القديس بولس » • وما أعظم الفارق بين وجهات النظر الثلاث • فمتى مضى انسان الى السجن من أجل عمل عظيم فانه اما أن ينظر الى بؤسه وشقائه فى مرارة وألم واما أن تسطع حياته بالضياء وهو يرى نفسه حامل الراية ومؤسس عمل عظيم • فيرى أحدهما السجن عقابا ، بينما يراه الآخر امتيازا • فعندما

نمر فى صعوبات أو نفقد شعبية أو مكاسب مادية لأجل المبادىء المسيحية فاننااما أن نعتبر أنفسنافريسةينهشها البشر،واما أن نرى أنفسنا أبطال المسيح • والزاوية التى ننظر منها للأشياء تجعل الفارق عظيما • وبولس الرسول هو مثالنا ، لقد اعتبر نفسه ، لا كأسير فى روما ، ولكن كأسير المسيح •

ويعود بولس الرسول فى هذا الفصل الى الفكرة الجوهرية فى هذه الرسالة • فلقد دخل الى حياته اعلان سر الله العظيم • وذلك السر هو أن محبة الله ورحمته ونعمته لم تكن قاصرة على اليهود فقط ، ولكنها للعالم أجمع • فعندما تقابل بولس الرسول مع يسوع فى الطريق الى دمشق أشرق عليه ذلك الاعلان المفاجىء • لقد أرسله الله للأمم « لتفتح عيونهم كى يرجعوا من ظلمات الى نور ومن سلطان الشيطان الى الله حتى ينالوا بالايمان بى غفران الخطايا ونصيبا مع المقدسين » • (أع ٢٦ : ١٨) كان هذا اكتشافا جديدا تماما • ان خطية العالم القديمة الأساسية كانت خطية الاحتقار • فاليهود احتقروا الأمم واعتبروهم بلا نفع وبلا قيمة فى نظر الله • وعلى أسوأ الفروض فان الأمم وجدوا لكى يفنوا • « لأن الأمة والمملكة التى لا تخدمك تبيد وخرابا تخرب الأمم » • (إش ٦٠ : ١٢) وعلى أحسن الفروض فان الأمم وجدوا لكى يكونوا عبيدا لاسرائيل • « تعب مصر وتجارة كوش والسبئيون ذو القامة اليك يعبرون ولك يكونون خلفك يمشون ، بالقيود يمرون ولك يسجدون » • (إش ٤٥ : ١٤) ان عقليات هذا تفكيرها لايمكنها أن تصدق أن نعمة ومجد الله كانت للأمم • واليونانيون احتقروا البرابرة من الأمم الأخرى • فاعتبر اليونانيون غيرهم من الأمم برابرة جميعا • فقد قال سيلسوس فى هجومه ضد المسيحيين ، « ربما كانت للبرابرة موهبة

اكتشاف الحق الا أن اليونانيين فقط هم الذين يفهمون » • هذا الاحتقار العنصرى والقومى لم ينته بانتهاء العالم القديم • ففى القرن السادس عشر كتب أحد الاسكتلنديين لشعبه يقول : « ان أمتكم تعتبر غيرها من الشعوب برابرة » •• وحتى يومنا هـذا يشير الصينيون الى الأجانب باحتقار كبرابرة • وفى احدى المجلات الانجليزية الصادرة فى عام ١٨٥٨ اقتراح بأن لايستخدم الصينيون فى مستنداتهم الرسمية كلمة برابرة عنـد الاشـارة الى البريطانيين • (نجـد هذين الايضاحين فى كتاب « الغريب عند الباب » لمؤلفه ت • ج • هارهوف) الا أن الحواجز كانت تامة وكانت فى العالم القديم • فلم يحلم أحد بأن نعمة الله وامتيازاتـه كانت لجميع البشر • ولقد اكتشف بولس الرسول هذه الحقيقة وهذا هو سر أهميته الكبيرة • فاننا نستطيع أن نقول إنه لولا بولس الرسول لما كانت هنالك مسيحية تشمل العالم بأسره ، وما كنا نحن اليوم مسيحيين •

بولس الرسول وادراكه لدوره

(أف ٣ : ١ ـ ٧ تتمة)

عندما تأمل بولس الرسول سر الله الذى أعلنه له • رأى نفسـه يقوم بالأدوار الآتية :

١ ـ اعتبر نفسه الشخص الذى وصل اليه اعلان جديد • ويجب أن نلاحظ أن بولس لم ينظر أبدا الى نفسه وكأنه اكتشف عمومية محبة الله ، ولكنه اعتبر أن الله قد أعلن هذه الحقيقة له • فمن زاوية خاصـة يمكننا أن نقول الحق والجمال هما دائما عطية من الله • فالحق والجمال ليسا من اكتشافات بشرية بقدر كونهما من العطايا الالهية • يقولون ان سير آرثر سوليفن عندما استمع الى جزء رائع من أوبرا ألفها هو بنفسه

التفت الى صديقه الذى كان يجلس الى جواره وقال : « أحقا الفت أنا هذا ؟ » ومن أروع أمثلة « موسيقى » الشعر ما كتبه كوليردج بعنوان كوبلافان • فقد استسلمت أجفان كوليردج للنوم وهو يقرأ كتابا فيه هذه الكلمات : « هنا أمر كوبلافان بأن يبنى بيت تلحق به حديقة فاخرة » • وفى نومه حلم بالقصيدة وعندما استقيظ لم يفعل شيئا سوى أن دونها• وعندما يكتشف عالم اكتشافا عظيما فان ما يحدث مرارا وتكرارا هو أن ذلك العالم يفكر ويفكر ويجرى كثيرا من التجارب ، ويصـــل الى طريق مسدود لأن الذهن البشرى والعبقرية البشربه لاتقـــوده الى أكثر من ذلك • واذا بحل المشكلة يسطع أمامه فجأة•انه ليس نتيجة ذهنية ولكنه عطية يتلقاها من الله • وما كان بولس الرسول يدعى أبدا أنه أول انسان يكتشف عمومية محبة الله ، ولكنه انما يقـــول ان الله قد اخبره بالسر الذى لم يكن قد أعلن من قبل لأى انسان •

٢ ـــ لقد اعتبر نفسه وسيلة توصيل نعمة الله • عندما تقابل بولس الرسول مع قادة الكنيسة كان يتحدث اليهم عن ارساليته للأمم ، يقول إنه أؤتمن على انجيل الغرلة ، ويتحدث عن « النعمة المعطاة لى » (غلا ٢ : ٧ ، ٩) « وعندما كتب بولس الرسول للمؤمنين فى روما حدثهم عن « النعمة التى وهبت لى من الله » (رومية ١٥ : ١٥) لقد رأى بولس الرسول دوره فى هذه الحياة كقناة تنساب منها نعمة الله للبشر • فهو « الأنبوبة » التى تتدفق منها هذه النعمة للشعوب • ان من أعظم حقائق الحياة المسيحية اننا انما وهبنـــا ميزات المسيحية الثمينـــة لكى نشرك الآخرين فيها • ومن التحذيرات العظيمة فى الحياة المسيحية اننا متى إحتفظنا بهذه الميزات لأنفسنا فاننا نفقدها•فاننا نحتفظ ببركات المسيحية بمقدار ما نوصلها للآخرين •

٣ ــ اعتبر نفسه أنه يتمتع بكرامة الخدمة • فهو يقول ان عطية نعمة الله المجانية هى التى جعلت منه خادما • وأعظم ما يفتخر به بولس الرسول هو الواجب الذى وضعه الله عليه•فلم يفخر فى خدمته كواجب متعب ممل ، ولكنه اعتبره امتيازا عظيما • كثيرا ما يصعب علينا أن نستحث الناس على خدمة الكنيسة • فأن نعلم لأجل الله وأن نشترك فى تدبير شئون شعب الله ، وأن نتحدث بالنيابة عن الله ، وأن نزور الفقراء والبؤساء لأجل الله وأن نعطى من وقتنا وقوانا وأموالنا لله ، كل هذه يجب أن ننظر اليها لا كواجب يفرض علينا ولكنما كامتياز نعتبره عطية نعمة الله •

٤ ــ اعتبر بولس الرسول نفسه انسانا يتحمل الآلام لأجل المسيح • فلم يتوقع أن يكون طريق الخدمة طريقا سهلا ، ولم يتوقع أن يكون طريق الولاء طريقا خاليا من المصاعب•اعتاد أونامونو المتصوف الأسبانى الكبير ، أن يقول : « ليحرمك الله من السلام ولكن ليعط لك المجد • واعتاد ف • ز مالتبى أن يقول ! « وعد المسيح تلاميذه بثلاثة أشياء ، أن يكونوا فرحين لدرجة غير معقولة ، شجعانا الى أقصى حدود الشجاعة ، وفى متاعب مستمرة » • عندما كان الفرسان يأتون فى أيام الفروسية العظيمة الى قصر الملك آرثر والى جماعة المائدة المستديرة كانوا يأتون ليسألوا عن المخاطر أو عن التنانين التى كانت تحتاج الى مواجهة • والألم لأجل المسيح ليس عقابا لنا ولكنه مجدنا ، لأننا بذلك نشارك فى آلام المسيح نفسه ، وتواتينا الفرصة لنظهر حقيقة ولائنا له•

الامتيازات التى تجعل الانسان متواضعا

(أف ٣ : ٨ ــ ١٣)

رأى بولس الرسول نفسه انسانا قد منحه الله امتيازا مضاعفا ،

لقد نال امتياز اكتشاف السر بأن ارادة الله قد قصـــدت أن تجمع كل البشر فى سر نعمة الله ومحبته•وقد كان له امتياز اعلان هذا السر للكنيسة وأن يكون الأداة التى بها وصلت نعمة الله للأمم • الا أن هذا الاحساس بالامتياز لم يجعل بولس متكبرا ، بل على العكس متواضعا جدا • لقد أدهشه أن هذا الامتياز العظيم أعطى له ، بينما رأى نفسه أنه أقل من أقل فرد من شعب الله • فان كان لنا امتياز الوعظ أو التعليم برســالة محبة الله، أو ان كنا نقوم بشىء آخر لأجل المسيح فى كنيسته ، فيجب أن نتذكر دائما أن عظمتنا ليست فى أنفسنا بل فى المسئولية الملقاة علينــا والرســالة التى نحملها • كان توسكانينى من أعظم قــادة الأوركسترا وتوضيح الموسيقى فى العالم ، وبينما كان يتحدث مرة لفريق الأوركسترا وهم يستعدون لعزف احدى سيموفونيات بيتهوفن قال : « أيها السادة ، اننى لا شىء ، وأنتم لا شىء ، بيتهوفن هو كل شىء » • لقد عرف جيدا واجبه يقتضى أن لايسلط الأضواء على نفسه أو على الأوركسترا،فواجبه أن يختفى هو والأوركسترا تماما لـكى يفيض بيتهوفن من خلالهم • ويحدثنا ليزلى ويذرهيد فى أحد كتاباته عن حديث جرى بينه وبين طالب رغب فى أن يدخل خدمة الكنيسة • وسأله ويذرهيد متى وصل الى هذا القرار ، وقال الطالب انه قرر ذلك بعد الاستماع الى خدمةفى كنيســة المدرسة • وسأله ويذرهيد بالطبع عن اسم الواعظ وأجابه الشاب انه لايوجد لديه أية فكرة عنه،الا أنه عرف فقط أن يسوع المسيح قد تحدث اليه فى ذلك الصباح • هذا هو الوعظ الصحيح ، فان من يخدم المسيح لايمكن أن يفكر فى أن يوجه نظر الآخرين الى نفسه والى مدح نفسه ، انه يجب أن يوجه أفكارهم الى يسوع • ان الحقيقة المفجعة فىالكنائس هى أن هنالك عددا كبيرا ممن يهتمون بمجدهم وبمركزهم أكثر من مجد

ومركز يسوع المسيح ، ويهمهم أن يلحظهم الناس أكثر من أن يروا يسوع .

خطة وحكمة الله

(أف ٣ : ٨ ـــ ١٣ تتمة)

هنالك أشياء أخرى فى هذه الفقرة ينبغى أن نلاحظها :

١ ـــ يذكرنا بولس الرسول هنا بأن تجميع جميع البشر من كل الأمم انما كان جزءا من قصد الله وخطته الأزلية . ويجدر بنا أن نتذكر هذا . فيقدم البعض تاريخ المسيحية وكأن الانجيل قد وصل الى الأمم لأن اليهود رفضوه . الا أن بولس الرســـول يذكرنا بأن خلاص الأمم ، خلاصنا نحن ، لم يكن فكرة جاءت متأخرة . ان الله لم يقبل أمر خلاص الأمم كأفضلية ثانية ، لأن اليهود رفضوا رسالته ودعوته : بل ان الاتيان بكل البشر الى محبته كان جزءا من خطته الأزلية .

٢ ـــ يستخدم بولس الرسول هنا كلمة عظيمة يصف بها نعمة الله . فهو يدعوها polupoikilos التى تعنى ذات ألوان كثيرة . والفكرة فى هذه الكلمة هى أن نعمة الله تتناسب مع كل موقف تأتى الحياة به الينا . فلا نور ولا ظلام ، لا ضياء شمس ولا ظلال ، لا تتناسب معـه هـذه النعمة الظافرة .

٣ ـــ ويعود بولس الرسول مرة أخرى الى أحد الأفكار المحببة الى نفسه . فعن طريق المسيح نجد حرية الاقتراب الى الله . فقد يحدث أحيانا أن أجد أصدقائنا يعرف احدى الشخصيات البارزة ، ونحن أنفسنا لا حق لنا أن نمثل فى حضرة ذلك الانسان ، الا أن ذلك الصديق يأخذنا ، وعن

طريق صديقنا يحق لنا الدخول • هذا ما يفعله المسيح بالنسبة لنا مع الله • ففى حضرته وفى شخصه هناك باب مفتوح الى حضرة الله لايستطيع انسان أن يغلقه •

٤ — ويختتم بولس الرسول بصلاة لأجل أصدقائه حتى لا يؤدى سجنه لتثبيط همتهم • فلعلهم اعتقـوا أن الكرازة بالانجيل للأمم ستتعطل كثيرا لأن بطل الأمم قد وضع فى السجن • ولعلهم أيضا خافوا أن يصيبهم نفس ما أصابه ، فيذكرهم بولس الرسول بأن الصعاب التى يجتازها انما هى لمجدهم ولنفعهم • فيجب أن لايخافوا أبـدا من أن يتعطل عمل الله لأن بولس الرسول وضع فى السجن • ان عمل الله أعظم من أى انسان •

صلاه بولس الحارة

١٤ بِسَبَبِ هٰذَا أَحْنِي رُكْبَتَيَّ لَدَى أَبِي رَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ
١٥ ٱلَّذِي مِنْهُ تُسَمَّى كُلُّ عَشِيرَةٍ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَعَلَى ٱلْأَرْضِ .
١٦ لِكَيْ يُعْطِيَكُمْ بِحَسَبِ غِنَى مَجْدِهِ أَنْ تَتَأَيَّدُوا بِٱلْقُوَّةِ
بِرُوحِهِ فِي ٱلْإِنْسَانِ ٱلْبَاطِنِ ١٧ لِيَحُلَّ ٱلْمَسِيحُ بِٱلْإِيمَانِ فِي
قُلُوبِكُمْ ١٨ وَأَنْتُمْ مُتَأَصِّلُونَ وَمُتَأَسِّسُونَ فِي ٱلْمَحَبَّةِ حَتَّى
تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُدْرِكُوا مَعَ جَمِيعِ ٱلْقِدِّيسِينَ مَا هُوَ ٱلْعَرْضُ
وَٱلطُّولُ وَٱلْعُمْقُ وَٱلْعُلْوُ ١٩ وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ ٱلْمَسِيحِ ٱلْفَائِقَةَ
ٱلْمَعْرِفَةِ لِكَيْ تَمْتَلِئُوا إِلَى كُلِّ مِلْءِ ٱللهِ . ٢٠ وَٱلْقَادِرُ

أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ أَكْثَرَ جِدًّا مِمَّا نَطْلُبُ أَوْ نَفْتَكِرُ بِحَسَبِ ٱلْقُوَّةِ ٱلَّتِي تَعْمَلُ فِينَا. ٢١ لَهُ ٱلْمَجْدُ فِي ٱلْكَنِيسَةِ فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ إِلَى جَمِيعِ أَجْيَالِ دَهْرِ ٱلدُّهُورِ. آمِين.

(أف ٣ : ١٤ — ٢١)

الله الذى هو الآب

(أف ٣ . ١٤ — ١٧)

هنا يستأنف الرسول بولس تلك الجملة التى بدأها فى الآية الأولى والتى شرد فكره بعيدا عنها فلم يكملها • ويبدأ بولس الرسول قائلا بسبب هذا • ما هو السبب الذى يشير اليه ، وماذا يدفعه للصلاة ؟ هنا نعود مرة ثانية للفكرة الرئيسية فى كل الرسالة • لقد رسم بولس الرسول صورته العظيمة للكنيسة • فالعالم كله فى انقسام وخراب ، فهناك انقسام وتباعد فى كل مكان بين أمة وأمة ، وبين انسان وانسان ، وفى داخل الانسان نفسه • وخطة الله هى أن كل هذه الأجزاء المتناحرة والمتنافرة تجد وحدتها الكاملة فى المسيح يسوع • ويسوع هو الأداة التى يستخدمها الله لتحقيق هذه الوحدة • الا أن هذا لايمكن أن يتحقق ان لم تحمل الكنيسة رسالة المسيح ورسالة محبة الله لكل انسان • فالكنيسة هى امتداد للمسيح ، هى الجسد الذى يعمل من خلاله روح المسيح • ولأجل هذا السبب يصلى بولس الرسول • ولكى تصبح الكنيسة على هذه الصورة ، يجب أن يكون شعبها من نوع معين • ولهذا يصلى بولس الرسول ، انه يصلى لأن يكون شعب الكنيسة من ذلك النوع الذى يجعل الكنيسة بجملتها حقا وفعلا جسد المسيح وامتدادا له •

ويجب أن نلاحظ الكلمة المعبرة عن موقف الرسول فى هذه الصلاة • « أحنى ركبتى لدى ربنا يسوع المسيح » • وهذا يعنى أكثر من أن يركع بولس الرسول فى الصلاة ، ان الكلمة أحنى تعنى أن ينبطح تماما أمام الله فى الصلاة • كان اليهود عادة يصلون واقفين ، وأيديهم مبسوطة وأكفهم الى أعلى • الا أن صلاة بولس الرسول لأجل الكنيسة كانت فى حرارة شديدة دفعته لأن ينبطح أمام الله فى صراع ومعاناة •

وصلاة بولس الرسول الى الله الآب • ومن اللطيف أن نلاحظ الأشياء المختلفة التى يتحدث بها بولس الرسول فى هذه الرسالة عن الله باعتباره الآب ، فمنها يتضح لنا ماكان فى فكر بولس عندما تحدث عن أبوة الله •

١ — الله هو أبو يسوع (١ : ٢ ، ٣ ، ١٦ : ١٧ ، ٦ : ٢٣) • ليس صحيحا أن نقول ان يسوع هو أول من دعى الله أبا • فقد قال اليونانيون ان زيوس هو أبو الآلهة والبشر ودعا الرومانيون رئيس آلهتهم جوبيتر التى هى اختصار الكلمات اللاتينية التى معناها الله الآب • الا أن هنالك كلمتين متصلتين ومتشابهتين كثيرا ، ولكن دلالتها مختلفة تماما • فهنالك كلمة الوالد ، والتى يتجه فيها تفكيرنا الى الأبوة بمعنى مادى بحت وفى هذا الاطار قد يمكننا أن نتحدث عن والد لم ير ابنه قط اذ قد يولد طفل — ربما ولادة غير شرعية — ثم يتبناه شخص آخر وقد لا يرى الوالد هذا الطفل أبدا ، الا أنه مسئول عنه لأنه مسئول عن وجوده المادى • غير أن هنالك من الناحية الأخرى فكرة الأبوة • وكلمة الأبوة تصور أوثق علاقات المحبة والشركة والرعاية • وعندما استخدم البشر كلمة آب عن الله ، قبل أن يأتى المسيح ، كانوا يستخدمونها بالأكثر بمعنى والد • فكانوا يقصدون أن الآلهة مسئولة عن خلق البشر • وكانوا يعنون

ما نقصده نحن عندما نتكلم عن السبب الأول ، أو عن سر الحياة . فلم تحمل هذه الكلمة بين طياتها شيئا من المحبة والالفة التى ملأ بها يسوع هذه الكلمة . ومركز الفكرة المسيحية عن الله هو أن الله مماثل ليسوع ، فهو فى مثل لطفه وحبه ، ورحمته . فالله بالنسبة لبولس الرسول لم يكن مجرد أنه الله ، فقد يعنى هذا كل شىء ، أو لا شىء على الاطلاق ، فالله بالنسبة له هو أبو يسوع المسيح ، فعن طريق المسيح كان بولس يفكر فى الله .

٢ ـ الله هو الآب الذى يمكننا أن نقترب منه (٢ : ١٨ ، ٣ : ١٢) . ان جوهر العهد القديم هو أن الله هو ذلك الشخص الذى لا يسمح للمرء بأن يقترب منه . فعندما أدرك منوح ، والد شمشون ، من الذى زاره قال : « نموت موتا لأننا قد رأينا الله » . (قض ١٣ : ٢٢) . وفى العبادة اليهودية فى الهيكل كانوا يعتبرون قدس الأقداس مسكن الله ، ولا يدخل اليه الا رئيس الكهنة ، ولا يدخل الا فى يوم واحد هو يوم الكفارة . فكان الطريق الى الله مغلقا . والفكرة المركزية فى الايمان المسيحى هى امكانية الاقتراب من الله . يحدثنا هـ . ل . جى عن طفل صغير سمع أن والده قد رقى الى رتبة فريق فى الجيش واذا به بعد صمت قصير يتساءل قائلا : « هل يغضب والدى اذا ناديته يا بابا ؟ » ان جوهر الايمان المسيحى هو الاقتراب الى حضرة الله دون أية موانع .

٣ ـ الله هو أبو المجد ، انه الآب المجيد (٣ : ١٤) . هنا نجد الجانب الآخر اللازم للموضوع . فلو تحدثنا ببساطة عن امكانية الاقتراب من الله ، وان أكدنا ببساطة أن الله يشبه يسوع المسيح فى حبه ولطفه ورحمته ، يصبح من السهل أن نتحدث عن محبة الله حديثا عاطفيا مجردا ، وهذا بالضبط مايفعله البعض . ان موقفهم ، سواء عن

وعى أو عن غير وعى هو كما يلى : « ان الله هو الآب » ولذلك فلا داع للانزعاج ، فكل شىء سيسير حسنا • الا أن الايمان المسيحى وان كان يفرح بذلك الأمر العجيب وهـــو امكانية الاقتراب من الله ، الا أنه لن ينسى أبدا قداسة الله ومجده • فليس لنــا حق الاقتراب الى اله لين رقيق عاطفى ، ولكننا نقترب الى اله المجــد نفســه • ان الله يرحب بالخاطىء ، ولكنه لا يرحب بالخاطىء الذى يتاجر بمحبة الله ليبقى فى خطيته • ان الله قدوس وينبغى على كل من يرغب فى العلاقة به أن يحيا فى القداسة • ان حقنا فى الاقتراب من الله لايعطى لنا الحق لأن نفعل مانريد ، ولكنما يضع علينا الالتزام لأن نســعى لأن نستحق هـــذا الامتياز •

٤ ــ ان الله أبو الجميع (٦ : ٤) ان الله ليس حكرا لانسان أو كنيسة أو أمة وهذا بالضبط هو الخطأ الذى وقع فيه اليهود • ان أبوة الله تمتد الى كل البشر ، ولذلك فاحتقار البشر لاخوتهم والكبرياءالبشرية والتفكير الدينى الضيق المحدود كلها خطأ بالضرورة • لأن مجد حقيقة أبوة الله تعنى أننا يجب أن يحب ويحترم أحدنا الآخر •

٥ ــ الله هو الآب الذى ينبغى أن يقدم له الشكر (٦ : ٣٠) • ان أبوة الله تعنى مديونية الانسان • من الخطأ الكبير أن نتصــور أن الله لا يعيننا سوى فى اللحظات الكبيرة والفاصـــلة فى حياتنا • انه من دواعى الخجل أننا كثيرا ما ننسى عطايا الله لمجرد أن هذه العطايا تأتى الينا بانتظام ودون توقف • والمسيحى انسان لا ينسى أبدا أنه مدين لله • فهو لاينسى أبدا أنه مدين ، لابخلاص نفسه فقط ، ولكنما بحياته ونسماته وكل شىء لله •

٦ ــ الله هونموذج كل أبوةحقيقية .فيقول بولس ان الله هو الآب وأن كل أبوة فى السماء وعلى الأرض انما هى على نمط تلك الأبوة . وهذا يضع مسئولية كبيرة على كل أب بشرى . لم يتذكر ج . ك . شسترتون أباه بوضوح ، الا أن كل ذكرياته كانت ذكريات غالية . فيقول لنا انه فى طفولته كانت عنده لعبة هى مسرح ، كل الشخصيات التى تقوم بالأدوار فيه ، قطع من الكارتون وكان أحدهم شخص معه مفتاح ذهبى . ولم يستطع أن يتذكر الدور الذى كان يقوم به ذلك الشخص ذو المفتاح الذهبى بين شخصيات المسرح ، الا أنه ربط فى ذهنه دائما بين تلك الشخصية وبين شخصية والده . فقد كان أبوه ، فى نظره ، ذلك الرجل الذى يحمل مفتاحا ذهبيا يفتح له به كل أنواع الأشياء العظيمة والمثيرة . ونحن لايمكننا أن ننسى أن نعلم أولادنا أن يدعوا الله أبا ، الا أن الصورة الوحيدة التى يمكن أن يكونوها عن الأبوة انما هى الصورة التى نقدمها نحن لهم . والأبوة البشرية يجب أن تتشكل على صورة أبوة الله . ان المسئولية الكبيرة التى تقع على عاتق كل أب بشرى هى أن يكون أبا فى مثل صلاح الله .

القوة التى يمنحها المسيح

(أف ٣ : ١٤ ــ ١٧ تتمة)

ان بولس الرسول يصلى لكى يتقوى شعبه فى الانسان الباطن . فماذا كان يعنى بولس الرسول بذلك ؟ ان التعبير الانسان الباطن كان تعبيرا يعرفه اليونانيون ويستخدمونه . وكان تعبير « الانسان الباطن » يعنى بالنسبة لليونانيين ثلاثة أشياء .

(أ) كان هنالك العقل البشرى • فكان بولس يصـلى لكى يقوى يسوع المسيح عقل أصدقائه • لقـد كان يريد أن يكون لديهم مزيد من المقدرة على التمييز بين الخطأ وبين الصواب • لقد أراد أن يكونوا على أقل قدر ممكن تحت رحمة عواطفهم وغرائزهم ورغباتهم • فقد أراد أن يعطيهم المسيح الحكمة التى تحـفظ حياتهم نقية سالمة •

(ب) وكان هنالك أيضا الضمير • لقد كانت صلاة بولس أن يكون ضمير شعبه فى حساسية متزايدة • انه من الممكن أن يتغافل الانسان عن ضميره تغافلا مستمرا ومتكررا حتى يفقد ضميره فى النهاية حدته وحساسيته • لقد كانت صلاة بولس ان يحفظ المسيح ضميرنا حساسا يقظا •

(ج) كانت هنالك الارادة • ان الضعف الجوهرى فى الحياة هو اننا أحيانا كثيرة نعرف الصواب ، ونرغب فى أن نفعله ، الا أن ارادتنا ليست لها القوة الكافية لتؤيد معرفتنا ولتنفذ مقاصدنا • كما قال جون درنك ووتر :

هبنا الارادة لنعمل ما نحس به
وهبنا القوة لنفعل ما نعرفه
وهبنا الهدف وكأنه فى اطار من فولاذ
لنضرب بقوة •
اننا لا نطلب المعرفة فقد أعطيتنا اياها •
ولكن حاجتنا الماسة هى الارادة
فهبنا القوة لنبنى فوق تلك المقاصد والأهداف السامية
هبنا أن نعمل ، هبنا أن نعمل •

فالانسان الباطن هو العقل ، الضمير ، الارادة •

وكيف يصلى بولس الرسول لكى يتقوى هذا الانسان الباطن ؟ ان الانسان الباطن يتقوى عندما يسكن المسيح بصفة دائمة فى الانسان • والكلمة التى يستخدمها بولس الرسول ليعبر بها عن سكنى المسيح فى قلوبنا هى الكلمة اليونانية katoikein وهى التى تستخدم عن السكن المستمر بعكس المؤقت • كتب هنرى لايت فى الترنيمة « أمكث معى » هذه الكلمات :

لست ألتمس لفتة قصيرة أو كلمة عابرة
ولكن كما أقمت مع تلاميذك ياسيدى
فى الفة وتنازل ، وصبر وحرية
تعال ، لا لتبقى لفرصة قصيرة بل أمكث معى

ان سر القوة هو حضور المسيح معنا فى داخل حياتنا • والمسيح يمكن أن يأتى الى حياة الانسان ، لكنه لايفرض نفسه على الانسان • فهو يأتى عندما نطلب منه أن يأتى والمسيح ينتظر دعوتنا ليأتى لنا بقوته •

محبة المسيح غير المحدودة

(أف ٣ : ١٨ — ٢١)

ان صلاة بولس الرسول هى أن يدرك المسيحى معنى عرض وعمق وطول وارتفاع محبة المسيح وكأن بولس الرسول يدعونا لننظر الى الكون : الى السماء غير المحدودة من فوقنا ، الى الأفق غير المحدود من حولنا من كل ناحية ، الى أعماق الأرض والبحار من تحتنا ويقول : « ان محبة المسيح بمثل هذا الارتفاع » •

ليس من المحتمل أن فكر بولس الرسـول انشغل بأى موضوع بمقدار انشغاله بالاتساع العظيم لمحبة المسيح • الا أن الكثيرين رأوا فى هذه الصورة معانى ينطوى بعضها على قدر كبير من الجمال •فيرى بعض المفسرين القدامى أن الصليب هو رمز هذه المحبة • فالجزء الأعلى من الصليب يشير الى أعلى ، والجزء الأسفل يشير الى أسـفل ، وجانبـا الصليب يشيران الى الأفق ، الى أبعـد مايمكن أن ترى العين • وقال جيروم ان محبة المسيح تمتد الى أعلى لتشمل الملائكة الأبرار ، وتمتد الى أسفل لتشمل حتى الأرواح الشريرة والشياطين فى جهنم • وفى طولها تمتد لتشمل البشر الذين يصارعون فى طريقهم الى أعلى ، وفى عرضها تمتد لتشمل البشر الذين يجرفهم التيار فيبتعدون عن المسيح ، بعيدا عن جادة الصواب • وان كنا نريد أن نعبر عن هـذه الفكرة فيكمننا أن نقول ان العرض فى محبة المسيح يشمل كل انسان من كل عصر وفى كل مكان ، والطول ، يعبر عن المدى الذى وصلت فيه الى الموت وقبلت حتى الصليب ، وفى عمقها نزلت حتى تختبر الموت ، وفى ارتفاعها ، أنه لازال يحبنا فى السماء ، حيث يحيا ليشفع فينا (عب ٧ : ٢٥) • فلا يوجـد انسان خارج دائرة محبة المسيح ، وليس من مكان لا يصـل اليه عمل المسيح ، وحب المسيح لن يرفض أن يفعل أى شىء فى سبيل أن يربح انسانا واحدا • انه حب يفوق المعرفة ، ومتى قبله الانسان ، فانه يمتلىء بحياة الله نفسه ولا أقل من ذلك •

ثم يعود بولس الرسول الى الفكرة السائدة فى هذه الرسالة والتى تتكرر فيها كلها : أين يمكن أن نختبر هذه المحبة ؟ كيف يمكن لنـا أن ندرسها وأن نجدها وأن نختبرها ؟ اننا نجدها ونختبرها مع جميع شعب الله القديسين • وهذا يعنى أننا نجد محبة الله فى شركة الكنيسة • لقد

أصاب جون وسلى عندما قال ، « ان الله لا يعرف الديانة الانفرادية » ٠ كما قال أيضا « لم يذهب انسان قط للى السماء منفرداً » ٠ قد تكون للكنيسة أخطاؤها وقد يكون أعضاء الكنيسة أبعد ما يمكن من أن يكونوا الأشخاص الذين يجب أن يكونوا الا أننا نجد فى شركة الكنيسة محبة الله ٠

ولذلك يختتم بولس الرسول حديثه بتسبحة تمجيد مقدما شكره لله٠ ان الله يستطيع أن يفعل لنا أكثر مما نحلم به ، هو يفعل ذلك فى الكنيسة وفى المسيح ٠

فلنفكر اذا قبل أن ننتهى من هذا الفصل الكتابى فى الصورة المجيدة للكنيسة التى يقدمها بولس الرسول ٠ ان العالم ليس على الحال التى قصدها الله له ، انه عالم تمزقه القوات المتصارعة والكراهية والمرارة والمشاحنات ٠ أمة ضد أمة ، وانسان ضد انسان ، وطبقة ضد طبقة بل ان الشر والخير يتصارعان داخل الانسان نفسه ٠وخطة الله هى أن كل البشر وكل الأمم يصبحون وحدة واحدة فى المسيح ٠ ولكى يتحقق هذا الأمل فان المسيح فى حاجة لأن تخرج الكنيسة لتحدث الناس عن حبه وعن رحمته ٠ فالكنيسة امتداد للمسيح ، انها جسد المسيح ، انها اليد والرجل والصوت الذى يقوم بعمل المسيح ٠ ولا يمكن للكنيسة أن تقوم بذلك ان لم يعرف ويختبر أعضاؤها وهم فى شركة واتحاد ، محبـــة المسيح التى تتخطى حدود الزمن ٠ فلا يمكن لانســان أن يعلم آخر شيئا لم يتعلمه هو أو أن يعطى لآخر شيئا لا يمتلكه هو ٠ وقبل أن نوصل حب المسيح للأخرين يجب أن نكتشف حب المسيح داخل كنيسة المسيح ٠

الأصحاح الرابع

بهذا الفصل يبدأ الجزء الثانى من هذه الرسالة • وقد عالج بولس الرسول فى الفصول الثلاثة الأولى حقائق الأيمان المسيحى الأزليــة وتحدث عن وظيفة الكنيسة فى خطة الله وقصده • ثم يبدأ الآن فى أن يقدم صورة مصغرة لما يجب أن يكون عليه كل عضو من أعضاء الكنيسة ، ان كان للكنيسة أن تقوم بدورها فى خطة وقصــد الله • وقبل أن نبدأ بقراءة هذا الفصل لنذكر أنفسنا مــرة أخرى بالفكر الرئيسى فى هــذه الرسالة كلها • ففى هذا العالم لايوجد سوى الانقسام وعدم التوافق والخصام • فالأمة منقسمة ضد الأمة ، والانسان ضد الانسان ، والطبقة ضد الطبقة بل ان فى داخل الانسان نفسه معركة دائمــة بــين الجزء الأسمى والجزء الأدنى من طبيعتة البشرية • وان خطة الله وقصده أن كل هذا التنافر وعدم التوافق يجب أن يجد حله فى المسيح ، فيصبح كل البشر ويصبح كل الأمم وحدة واحدة فى المسيح ، فكل الاختلافات يجب أن تنتهى فى المسيح وبذلك تسقط كل الحواجز • فخطة الله هى أن يدخل الى العالم فى المسيح ما يسميه هـ • س • ج • موول « وحدة مقدسة » • أو مايمكن أن نسميه « اتحاد جديد » • فيسوع المسيح يقــدم المركز الوحيد الذى من حوله وبواسطته يمكن أن يتجمع جميع البشر فى وحدة وتوافق • الا أنه ان كان لهذه الوحدة أن تتحقق وأن تتم ، فان رسالة المسيح ، حقيقة المسيح ، محبة ورحمة الله الذى يبحث عن الانسان فى

المسيح ، يجب أن تصل الى كل العالم • وان وظيفة الكنيسة هي أن تأخذ هذه الرسالة وذلك الحب لتوصله الى البشر • فالكنيسة يجب أن تكون ذلك الجسد الذى يعمل المسيح من خلاله ، والصوت الذى يتحدث به •

فيجب أن تكون الكنيسة أداة المسيح التى تحقق هذه الوحدةالالهية فى العالم • الا أنه لو كان للكنيسة أن تنجح فى هذا العمل العظيم ، فيجب أن يكون شعب الكنيسة من نوع معين • وهنا يتحول بولس الى الحديث عن شخصية المسيحى اللازمة ، ان كان للكنيسة أن تتم عملها العظيم لأن تكون أداة المسيح لتحقق المصالحة فى هذا الكون بين الانسان والانسان وبين الانسان والله فى هذا العالم •

جديرون بالدعوة

١ فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَنَا ٱلأَسِيرَ فِي ٱلرَّبِّ أَنْ تَسْلُكُوا كَمَا
يَحِقُّ لِلدَّعْوَةِ ٱلَّتِي دُعِيتُمْ بِهَا . ٢ بِكُلِّ تَوَاضُعٍ وَوَدَاعَةٍ وَبِطُولِ
أَنَاةٍ مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فِي ٱلْمَحَبَّةِ . ٣ مُجْتَهِدِينَ أَنْ تَحْفَظُوا
وَحْدَانِيَّةَ ٱلرُّوحِ بِرِبَاطِ ٱلسَّلامِ .

٤ جَسَدٌ وَاحِدٌ وَرُوحٌ وَاحِدٌ كَمَا دُعِيتُمْ أَيْضاً فِي رَجَاءِ دَعْوَتِكُمُ
ٱلْوَاحِدِ . ٥ رَبٌّ وَاحِدٌ إِيمَانٌ وَاحِدٌ مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ . ٦ إِلٰهٌ وَآبٌ
وَاحِدٌ لِلْكُلِّ ٱلَّذِي عَلَى ٱلْكُلِّ وَبِٱلْكُلِّ وَفِي كُلِّكُمْ .
٧ وَلٰكِنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أُعْطِيَتِ ٱلنِّعْمَةُ حَسَبَ قِيَاسِ

هِبَةِ ٱلْمَسِيحِ . ٨ لِذٰلِكَ يَقُولُ . إِذْ صَعِدَ إِلَى ٱلْعَلَاءِ سَبَى سَبْياً
وَأَعْطَى ٱلنَّاسَ عَطَايَا . ٩ وَأَمَّا أَنَّهُ صَعِدَ فَمَا هُوَ إِلَّا إِنَّهُ نَزَلَ
أَيْضاً أَوَّلاً إِلَى أَقْسَامِ ٱلْأَرْضِ ٱلسُّفْلَى . ١٠ اَلَّذِي نَزَلَ هُوَ ٱلَّذِي
صَعِدَ أَيْضاً فَوْقَ جَمِيعِ ٱلسَّمٰوَاتِ لِكَيْ يَمْلَأَ ٱلْكُلَّ .

(أف ٤ : ١ — ١٠)

الفضائل المسيحية

(أف ٤ : ١ — ٣)

عندما ينضم انســــان الى أية جماعة أو يرتبط بأى مجموعة من البشر ، فأنه يلتزم بلون معين من الحياة، واذا لم يستطيع أن يلتزم بتلك الحياة، فانه يعوق أهداف جماعته، ويسىء الى اسمها. فهنا يرسم بولس الرسول صورة الحياة التى يلتزم بها المرء عندما يرتبط بشركة الكنيسة المسيحية .

والآيات الثلاث الأولى من هذه الفقرة تسطع بكلمات كالجواهر . فاننا نجد هنا خمسا من الكلمات العظيمة والأساسية فى الايمان المسيحى فلننظر الى هذه الكلمات .

١ — هنالك أولا الكلمة « التواضع » والكلمة اليونانية المترجمة « تواضع » هى Tapeinophrosune وهــذه الكلمة هى فعــلا كلمة صاغها الايمان المسيحى . فاننا نستطيــع بحق ان نقــول ان اللغــة اليونانية لاتوجد فيها كلمة تعبر عن التواضــع ، الا وكانت تلك الكلمة تحمل بين ثناياها شيئا وضعيا . ولقد وصف بأسلينوس التواضع بأنه « ذلك الصندوق الذهبى الذى يحــوى كل الفضــــائل » . ولم يعتبر التواضع على الاطلاق فضيلة فى العالم القديم قبل المسيحية . فالفضيلة

الوثنية هى megalopsuchia التى تعنى القلب الكبير • فالعالم القديم كان ينظر الى التواضع باحتقار ولم يعتبر التواضع شيئا مرغوبا فيه • وفى اليونانية هنالك كلمة تصف التواضع ، وهى كلمة تتصل بالكلمة التى يستخدمها بولس الرسول هنا • والصفة هى Tapeinos. ومعنى هذه الكلمة يظهر من الكلمات التى ترافقها ، وكلهـا كلمات حقيرة • فهـذه الصفة فى اللغة اليونانية كانت تستخدم مع الكلمات المعبرة عن العبودية Andrapododes oulikos, douloprepés حقير (agennes) وضيع (adoxs) خانع (chamaizelos) (وهى كلمة تصف النبات الذى ينـمو زاحفا على الأرض) • فقبل المسيح كان التواضع دائما جبنا وخنـوعا وحقارة • الا أن المسيحية جاءت ووضعت التواضع فى مقدمة الفضائل المسيحية ، فهى الفضيلة التى تعتمد عليها سائر الفضائل ومنها تنـبع • فمن أين يأتى هذا التواضع المسيحى وماذا ينطوى عليه ؟ •

(أ) ان التواضع المسيحى يأتى من معرفة النفس • قال برنارد عن التواضع ، « انه الفضيلة التى يدرك بها الانسان عدم استحقاقه كنتيجة لمعرفة نفسه معرفة صادقة • أن يواجه الانسان نفسه هو أعظم مايدفع الى التواضع فى هذا العالم • ان أغلبنا يقدم صورة مكبرة عن نفسه ، وان أغلبنا يرى نفسه مركز الأحداث فى الحياة • هنالك قصة عن انسان كان يسبح فى أحلام اليقظة قبل أن ينام بالليل ، فكان يرى نفسه بطلا يقوم بعمل انقاذ عظيم من البحر أو من اللهب ، وكان يرى نفسه خطيبا قد سحر المستمعين ، كما أنه كان يرى نفسه لاعبـا ممتازا متفوقا ، يبهر المشاهدين فى مباراة كرة القدم الدورية • لقد كان هو دائمـا فى مركز الدائرة ، وأغلبنا يشبه هذا الانسان • والتواضع الحقيقى يأتى عندما

نواجه أنفسنا ، عندما نرى ضعفاتنا ، وأنانيتنا ، وفشلنا فى العمل وفى العلاقات الشخصية وفى تحقيق أهدافنا والتواضع يعتمد على الأمانة ، انه يتوقف على الشجاعة التى بها ننظر لأنفسنا ، دون نظارات وردية نرى بها نفوسنا فى غير حجمها الطبيعى فنعجب بنفوسنا ، ونحب ذواتنا •

(ب) والتواضع المسيحى يأتى عندما نضع حياتنا الى جوار حياة المسيح وفى ضوء ما يطلبه الله منا • ان الله هو الكمال ، وارضاء الكمال ليس أمرا صعبا فحسب ، ولكنه عين المستحيل • وحقيقة كوننا بشرا تعنى اننا مشغولون دائما بواجب لا أمل فى تحقيقه • وان كنا نقارن أنفسنا بأقل من المستويات الأعلى فاننا قد نرضى عن أنفسنا ، ولكننا عندما نقارن أنفسنا بالكمال ، فعندئذ نرى ضعفاتنا • فقد تظن فتاة انها عازفة ممتازة للبيانو الى أن تستمع الى أحد المتفوقين فى عزف البيانو • وقد يظن شاب انه عالم كبير الى أن يقرأ عن أولئك العلماء الكبار الذين شملت معرفتهم دائرة كبيرة من العلوم • وقد يظن انسان أنه واعظ ممتاز الى أن يستمع الى أحد أمراء المنبر • وان الرضى عن النفس يعتمد على المستوى الذى نقارن به أنفسنا فان كنا نقارن ذواتنا بجارنا أو بالرجل أو بالسيدة أو غيرها ممن نراهم من حولنا ، فقد ننتهى الى درجة كبيرة من الرضى عن أنفسنا • الا أن المستوى المسيحى هو يسوع المسيح ، ومتطلبات كمال الله • وعندما نقارن ذواتنا بهذا المستوى فلا يكون هنالك مجال للكبرياء •

(ج) هنالك وسيلة أخرى للتعبير عن ذلك • يقول ر • س • رنش « ان التواضع يأتى من احساسنا المستمر بأننا لانعدو وكوننا خلائق • فنحن خليقة الله والله قد خلقنا » •

فنحن نعتمد عليه اعتمادا كليا . هـذا ما تعبر عنـه الترنيمـة الانجليزية :

انت الذى تحفظنى من الموت
ومن مخاطر كل ساعة
لا استطيع ان اتنفس
بدون قوتـك
فصحتى ، وأصداقائى ، ووالدى الأعزاء
جميعهم عطيتك
فما من نعمة هنا
سوى ما قد منحت
فمن أنفسنا لسنا شيئا
فلن نستطيع ان نعطى
فنحن دائما نأخذ
فنحن مخلوقون
وليس من حق الخلائق سوى التواضع فى حضرة الخالق

فالتواضع المسيحى يبنى على رؤية النفس ومعرفة المسيح ومعرفة الله .

الجنتلمان المسيحى

(أف ٤ : ١ ــ ٣ تتمة)

والفضيلة الثانية من المسيحية العظيمة هى فضيلة الوداعة . وهذه الكلمة هى ترجمة الاسم اليونانى praotes والصفة praus وهاتان

الكلمتان يصعب ترجمتهما فى كلمة واحدة • فلنحاول أن نرى ماذا تعنى هذه الفضيلة وماذا تنطوى عليه • وهنالك معنيان لهذه الكلمة فى اللغة اليونانية :

(أ) لقد تحدث أرسطو المفكر ، والمعلم اليونانى العظيم ، كثيرا عن هذه الكلمة وكان من عادته أن يعرف الفضيلة بأنها الوسط بين شيئين متطرفين • فعلى جانب من الجوانب كان هنالك فائض من احدى الصفات، وفى الناحية الأخرى كان هنالك نقص • وفيما بينهما كانت هذه الصفة موجودة فى الحياة بنسبة مضبوطة تماما • ويعرف أرسطو الوداعة بأنها الوسط بين الغضب الزائد وانعدام الغضب بكيفية زائدة ، فهى الوسط بين الغضب الشديد وبين أن لايغضب الانسان على الاطلاق • فالانسان الوديع هو ذلك الانسان الذى يغضب دائما فى الوقت المناسب بالضبط ولا يغضب أبدا فى وقت لا يناسب الغضب • وهذا يعنى أن الشخص الوديع هو الشخص الذى يستشيط غضبا أزاء الأخطاء والآلام التى تصيب الآخرين ، ولكنه لايغضب بتاتا بسبب الأخطاء والاهانات التى تلحق به هو شخصيا • وعلى ذلك فالوديع هو ذلك الانسان الذى يغضب دائما فى الوقت المناسب ولا يغضب أبدا فى الوقت الذى لايناسب الغضب •

(ب) هنالك حقيقة أخرى تلقى ضوءا على هذه الكلمة فكلمة praus اليونانية تطلق على الحيوان الذى تدرب على اطاعة من يمسك بزمامه أو بأمره ، الحيوان الذى تدرب وأستؤنس حتى أصبح خاضعا تماما • وعلى ذلك فالانسان الوديع هو الذى يمسك بزمام كل غريزة وكل عاطفة وكذلك كل تفكير عقله وقلبه وكلمات لسانه ورغباته • وليس من الصواب أن نقول إن مثل هذا الانسان قد استطاع أن يتحكم فى نفسه تماما •

فهذا التحكم الذاتى يفوق قوة البشر ولكننا نصيب عندما نقول ان الله يمسك بزمام مثل هذا الانسان . فهو انسان يسوس الله حياته . ..

هنا نجد الفضيلة الثانية من الفضائل المسيحية العظيمة ، الصفة الثانة العظيمة لكل عضو فى الكنيسة . فهو الانسان الذى يمسك بزمام حياته فيغضب فى الوقت المناسب ولكنه لايغضب أبدا فى غير الوقت المناسب ، وهو الانسان الذى قد ماتت الذات فيه والذى يوجه الله حياته بجملتها ويتحكم فيها . فهو « الجنتلمان » الذى صنعه الله .

الصبر الذى لا يهزم

(أف ٤ : ١ ــ ٣ تتمة)

٣ ــ وصفة المسيحى الثالثة هى طول الأناة وهذه الكلمة هى ترجمة الكلمة اليونانية makrothumia ومعنى هذه الكلمة يسير فى اتجاهين :

(أ) فهى تصف الروح التى لايمكن أن تنهزم ، والتى بسبب مثابرتها تحصد الوعد والجزاء . ويمكننا أن نتصور معناها عندما نلاحظ أن أحد الكتاب اليهود استخدمها ليصف بها ما أطلق عليه ، « المثابرة الرومانية التى لاتقبل السلام نتيجة للهزيمة » . ففى أيام الرومانيين العظيمة لم يستطع أحد أن ينتصر عليهم ، فقد ينهزمون فى معركة ، أو ربما قد ينهزمون فى حملة من الحملات ، ولكنهم لم يتصوروا أبدا أنهم يخسرون الحرب . ففى أعظم ساعات الخطر والكوارث لم يخطر لهم ببال بأن يعترفوا بالهزيمة . والصبر المسيحى هو ذلك الروح الذى لن يعترف بالهزيمة والذى لايتخاذل أمام أية مسئولية ، ولا يضعف ازاء أية كارثة أو ألم ولا يثبط همته أى مثبط، ولكنه يثابر ويتحمل حتى النهاية .

(ب) الا أن هذه الكلمة تحمل فى اللغة اليونانية معنى أكثر تميزا . فهذه الكلمة هى الكلمة اليونانية المتميزة للتعبير عن الصبر فى التعامل مع البشر . ويعرف يوحنا فم الذهب هذه الكلمة بأنها تعبر عن الروح التى تستطيع أن تنتقم ولكنها لاتفعل ذلك. ويعرف لايتفوت هذه الكلمة بأنها تعبر عن الروح التى ترفض أن تنتقم . فهى الروح التى تتجمل كل مايفعله البشر معها . فلو استخدمنا تمثيلا قاصرا جدا نقول : اننا كثيرا مانرى كلبا صغيرا يسير جنبا الى جنب مع كلب كبير . وقد ينبح الكلب الصغير وقد يزعج الكلب الكبير ويعضه ويهجم عليه ، وأثناء كل هذا يستطيع الكلب الكبير أن يهجم على الصغير ويقضى عليه تماما ، الا أنه يحتمله فى صبر واتزان وطول أناة . فطول الأناة هى الروح التى تحتمل الاهانة والاساءة دون مرارة ودون شكوى . انها الروح التى تتحمل جهالات البشر دون أن تستفزها تلك الجهالات ، وهى الروح التى تحتمل كل ثقيل ظل فى لطف وكل غبى دون تذمر .

وأن أفضل مايقدم لنا فكرة عن معنى هذه الكلمة هو أن العهد الجديد يستخدمها مرارا وتكرارا عن الله . فيسأل بولس الرسول الخاطىء غير التائب قائلا: «أم تستهين بغنى لطفه وامهاله وطول أناته؟» . (رو ٢ : ٤) . وتحدث بولس الرسول عن طول أناة يسوع المسيح (١ تيمو ١ : ١٦) . لقد احتمل المسيح بولس الذى اضطهد الكنيسة . ويتحدث بطرس الرسول عن طول أناة الله فى أيام نوح(١ بط ٣ : ٢٠). ويقول لنا أن نحسب أناة الله خلاصا (٢ بط ٣ : ١٥) . فلو كان الله بشرا لهوى بيده منذ أمد بعيد ، وفى سخطه الشديد ، محا العالم لأجل عدم طاعته . فالله ينتظر ويحب . ويجب على الانسان أن يعامل البشر بنفس طول الأناة التى عامله الله بها .

المحبة المسيحية

(أف ٤ : ١ ـ ٣ تتمة)

٤ ـ والصفة المسيحية الرابعة العظيمة هى صفة المحبة ، كانت المحبة المسيحية شيئا جديدا لدرجة أن الكتاب المسيحيين اضطروا أن يخترعوا كلمة جديدة للتعبير عنها ، أو يمكننا أن نقول على الأقل ، انهم اضطروا لاستخدام كلمة يونانية لم تكن شائعة على الاطلاق ، وهى الكلمة agape فهنالك أربع كلمات فى اليونانية للتعبير عن المحبة : كلمة eros وهى تعبر عن المحبة بين رجل وفتاة ، وتتضمن بشكل قاطع الرغبة الجنسية ، وهنالك كلمة philia وهى تعبر عن المودة القوية التى تربط شخصين متقاربين وعزيزين أحدهما على الآخر ، وهنالك كلمة storge وهى تعبر بصفة خاصة عن المودة داخل الأسرة ، وهنالك كلمة agape وهى التى نترجمها عادة بكلمة محبة ، والمعنى الحقيقى لهذه الكلمة هو الاحسان الذى لايمكن أن يهزم ، فان عاملنا شخصا بمعاملة agape فان هذا يعنى أنه مهما فعل هذا الشخص فلن يثنينا شىء عن أن نسعى لتحقيق أسمى الخير له ، فقد يؤذينا ، وقد يسىء الينا وقديشتمنا ، الا أننا لن نشعر من نحوه الا باللطف والاحسان ، وهذا بوضوح يعنى شيئا واحدا ، وهو أن هذه المحبة المسيحية ليست شيئاً عاطفيا ، اننا نتحدث أحيانا عن شخص يقع فى حب انسان ، وحبنا للمقربين الينا وللاعزاء علينا شىء طبيعى ، الا أن هذه المحبة المسيحية ليست شيئا يتعلق بالعواطف فحسب ، ولكنها تتعلق بالارادة أيضا ، انها معركة ، فهى المقدرة على الحفاظ على الشعور الطيب من نحو شخص كريه يصعب أن نحبه ، ونحو أولئك الذين لايحبوننا ، فالمحبة المسيحية هى كما عبر عنها أحدهم فقال : انها القوة التى بها نحب حتى أولئك الناس

الذين لانرغب فيهم • فالمحبة المسيحية هى صفة العقل والقلب التى تدفع المسيحى لأن لايشعر أبدا بشىء من المراراة ولا بأن يحس برغبة فى الانتقام ، بل أن يسعى دائما نحو أفضل ما هو لخير كل انسان مهما فعل ذلك الانسان معه •

٥ ــ فالحياة المسيحية لها هذه الفضائل الأربع : التواضع ؛ الوداعة طول الأناة المحبة • وهذه تعود الى فضيلة هى السلام • ان نصيحة بولس الرسول وطلبه الملح هو أن أولئك الذين يكتب اليهم يجب أن يجتهدوا لأن يحفظوا « الوحدة المقدسة » التى يجب أن تتميز بها الكنيسة الحقيقية • ويمكننا أن نعرف السلام بأنه العلاقة الصحيحة بين الانسان والانسان • هذه الوحدة ، هذا السلام ، هذه العلاقة الصحيحة يمكن أن نحافظ عليها بطريق واحد • وكل فضيلة من الفضائل المسيحية الأربع تعتمد على شىء واحد ، وهو أن تمحى الذات • فما دامت الذات فى مركز الدائرة ، ومادامت مشاعرنا هى مركز حياتنا وهى مايهمنا ، فهذه الوحدانية لايمكن أن تتحقق • فهى تتم عندما نكف عن وضع الذات فى مركز الدائرة ، وعندما نفكر فى الآخرين أكثر مما نفكر فى نفوسنا • ان الذات تقتل السلام • وفى المجتمع الذى تسود فيه الذات لايستطيع البشر الا أن يكونوا جماعة ممزقة تتكون من وحدات تحارب بعضها بعضا • لكن عندما تموت الذات وعندما يحيا المسيح داخل قلوبنا ، عندئذ يحل السلام ، والوحدة ، والاتحاد ، التى هى جميعا الصفة المميزة للكنيسة الحقيقية •

أساس الاتحاد

(أف ٤ : ٤ ــ ٦)

يتقدم بولس الرسول هنا ليقدم لنا الأساس الذى تبنى عليـــه الوحدة المسيحية •

١ ــ هنالك جسد واحد • المسيح هو الرأس والكنيسة هى الجسد ولايمكن للعقل أن يعمل من خلال جسد ممزق لاتوافق فيه ولكنه منقسم الى أجزاء • فلو لم يكن هنالك توافق ووحدة فى الجســـــد ، فالأفكار والخطط التى يرسمها الرأس والعقل تتعطل وتتعثر • موحـــدة الكنيسة شىء أساسى لعمل المسيح • ولا يتطلب هذا بالضرورة وحدة ميكانيكية ادارية أو منظمة بشرية ، ولكنها يجب أن تكون وحدة مؤسسة على المحبة المشتركة فى المسيح ومحبة كل عضو للعضو الآخر •

٢ ــ هنالك روح واحد • ان كلمة pneuma فى اللغة اليونانية تعنى روح وتعنى أيضا نفس (بفتح الفاء) • وهـــذه الكلمة فى الواقع هى الكلمة المعروفة والمعتادة للتعبير عن أنفاس الانسان • فان لم يدخـــل النفس ويخرج من الجسد يموت ، والنفس الذى يحى جسد الكنيســـة هو روح المسيح • وان عمل الروح فى الجسد هو الذى يعطى الجســـد حياة وهو الذى يحفظ الجسد حيا • فلا يمكن أن تكون هنالك كنيســـة بدون الروح ولايمكن أن يقبل المرء الروح القدس دون انتظار لـــه فى صمت وصلاة •

٣ ـ هنالك رجاء واحد فى دعوتنا • نحن جميعا نتقدم نحو الهدف الواحد • وهنا نجد سر الوحدة العظيم • فوسائلنا قد تختلف ، وأنظمتنا قد تختلف ، بل ربما تختلف عقائدنا الا أننا نسعى جميعا نحو هدف عالم قد افتداه المسيح •

٤ ـ هنالك رب واحد • ان أقرب ماوصلت اليه الكنيسة الأولى فى التعبير عن ايمانها فى صيغة قانون ايمان هو هذه العبارة المقتضبة : « يسوع المسيح هو رب » • (فى ٢ : ١١) فقد رأى بولس الرسول ان الله كان ينتظر ذلك اليوم الذى يعترف فيه كل البشر بأن « يسوع هو رب » • والكلمة اليونانية التى نترجمها بكلمة رب هى Kurios ولهذه الكلمة معنيان فى اللغة اليونانية الدارجة ، ونستطيع أن نرى من خلال هذين المعنيين ماقصده بولس الرسول • فهى الكلمة التى تستخدم للتعبير عن السيد لنفرق بينه وبين الخادم أو العبد ، كما انها كانت اللقب المألوف للامبراطور الرومانى • والمسيحيون يرتبطون معا لأنهم جميعا يمتلكهم سيد واحد وملك واحد وهو الذى يخدمونه •

٥ ـ هنالك ايمان واحد • لم يقصد بولس الرسول أن هنالك قانون ايمان واحد • وفى الواقع انه من النادر جدا أن تعنى كلمة ايمان فى العهد الجديد قانون ايمان • فكلمة ايمان فى العهد الجديد تكاد أن تعنى دائما ثقة المسيحى الكاملة فى المسيح يسوع وتسليمه التام له • وبولس الرسول يقصد أن يقول إن جميع المسيحين يرتبطون معا فى اتحاد لأن جميعهم قد اشتركوا فى تسليم أنفسهم تماما لمحبة المسيح يسوع • وقد يصفون تسليمهم بتعبيرات مختلفة وبقوانين ايمان مختلفة ، ولكن مهما وصفوا تسليمهم هذا ، فانه لازال هو عينه ذلك الشىء الواحد

الذين يشتركون فيه جميعا •

٦ ــ وهنالك معمودية واحدة : هنالك باب واحد لدخول الكنيسة المسيحية ، وفى الكنيسة الأولى كانت المعمودية عادة معمودية كبار لأن الرجال والنساء كانوا يقبلون مباشرة من الوثنية الى الكنيسة المسيحية • وعدا ذلك فكانت المعمودية قبل كل اعتبار اعترفاعلنيا بالايمان •وقد كان هنالك طريق واحد للجندى الرومانى لينتظم فى صفوف الجيش ، فقد كان يجب عليه أن يقسم بأن يكون مخلصا الى الأبد لمبراطوره وملكه • وكان هنالك طريق واحد لدخول الكنيسة المسيحيـــة ــ طريق الاعتراف العلنى بالمسيح يسوع •

٧ ــ هنالك اله واحد • دعونا نرى الآن ماذا يقول بولس الرسول عن الاله الذى نؤمن به • انه يقول عنه انه أبو الجميع ؛ وبهذه العبارة يكون حب الله واضحا ومكرما الى الأبد •

ان أعظم شىء والشىء الذى يتميز به الله فى المسيحية ليس هو انه ملك ، ولا أنه قاض وانما كونه أب • ان فكرة المسيحية عن الله تبـــدأ بالمحبة • ثم يقول على (فوق) الكل ، وهذه الكلمة توضح ان الله يمسك بزمام الأمور • فمهما بدت الأمور فان الله لازال يمسك الزمام • فقد تكون هنالك فيضانات ، ولكن كما يقول المرنم « الرب بالطوفان جلس » (مز ٢٩ : ١٠) فلن يفلت شىء من سلطان الله • ويقول أيضا وبالكل ، وهنا نجد عناية الله • ان الله لم يخلق العالم ، ثم ترك الأمور تسير فى سبيلها كما يملأ انسان الساعة ويدعهـــا تعمل • أن الله يتخلل عالمـــه ، فيقود ويوجه ويسند ، ويعضد ، ويحب • فعناية الله تعمل بنشاط وقوة فى كل الأشياء ومن خلال كل شىء • ويقول بولس الرسول وفى كلكم •

وهذه الكلمة تقدم لنا صورة مباركة لحضور الله فى كل الحياة • ولعـل بولس الرسول أخذ بذرة هذه الفكرة من الرواقيين • لقـد أعتقد الرواقيون أن الله نار ، أنقى من كل النيران الأرضية فهو روح نارية فى أوضح وأنقى صورها • وكانوا يعتقدون أن ما يعطى الانسان حياة هو أن جذوة من هذه النار ، التى هى الله ، جاءت وحلت فى جسده • لقـد أعتقد بولس الرسول أن الله فى كل شىء • فهو فى الانسان وفى عقـل الانسان ، فى العالم وفى كل الأشياء التى تنمو ، فى التاريخ وفى الحوادث فالله موجود فى كل شىء • والمسيحيون يؤمنون اننا نعيش فى عالم خلقه الله وهو يدير شئونه ، ويحفظه ، ويملأه •

عطايا النعمـة

(أف ٤ : ٧ — ١٠)

يتحول بولس الرسول هنا الى جانب آخر من موضوعه • لقـد تحدث عن صفات أعضاء كنيسة المسيح ، ويتكلم هنـا عن وظيفتهم فى الكنيسة والعمل الذى يقومون به ، فيتحدث عن كيف يمكن لهم أن يستخدموا قدراتهم ومواهبهم وعطاياهم أفضل استخدام فى خدمة الكنيسة • ويبدأ بأن يقدم ما كان يعتبره حقيقة جوهرية — وهو أن كل موهبة عنـد أى انسان ، انما هى عطية نعمة المسيح • فهو يعتبر ان المسيح هو معطى كل المواهب التى يمتلكها المسيحى •

كل فضيلة لنا
وكل نصرنا
وكل فكر طاهر
ملكه وحده

ويقتبس بولس الرسول آية من سفر المزامير ليؤكد فكرته بأن المسيح معطى الهبات • ولكنه يقتبسها مع اختلاف جوهرى • ونجد هذه الآية فى المزمور الثامن والستين • وهذا المزمور يصف عودة الملك المنتصر • فالملك المنتصر يصعد عاليا ، أى انه يصعد طريق جبل الزيتون شديد الانحدار ليصل الى شوارع المدينة المقدسة ويحضر معه جماعة الأسرى • أى انه يسير فى انتصار فى الشوارع ، والأسرى مربوطون بالسلاسل من خلفه ، ليقدموا صورة لقوته الظافرة • وهنا يأتى الاختلاف فالآية فى المزمور هى ، « صعدت الى العلاء • سبيت سبيا • قبلت عطايا بين الناس ، وأيضا المتمردين للسكن أيها الرب الاله » • (مزمور ٦٨ : ١٨) فالظافر المنتصر قد عاد الى بيته ومعه الغنائم ، وهو يطلب الفدية التى يجب أن تدفعها له الشعوب التى انتصر عليها • ولنلاحظ التغيير الذى يجريه بولس الرسول : « صعد الى العلاء ، سبى سبيا ، وأعطى الناس عطايا » • ففى العهد القديم ، كان الملك الظافر المنتصر يطالب الناس بعطايا وهبات ويأخذها منهم ، إما فى العهد الجديد فان المسيح المنتصر يمنح ويعطى عطايا للبشر • هذا هو الاختلاف الجوهرى بين العهدين • فالله هو الاله الذى يعطى • وفى العهد القديم يطلب الاله الغيور ويصر على أن يقدم له البشر عطايا ، أما فى العهد الجديد فالاله المحب يسكب حبه للبشر ويعطى لهم كل ماعنده •

ان هذه هى رسالة الأخبار السارة • ثم اذا بفكر بولس الرسول يسبح بعيدا ، كعادته ، بسبب كلمة من الكلمات • لقد استخدام كلمة صعد وهذا يدفعه للتفكير فى يسوع • ويقوده هذا لأن يقول شيئا رائعا • لقد نزل يسوع من هذا العالم عندما تركه ليعود الى مجده • والفكرة العظيمة التى يقدمها بولس الرسول هى أن المسيح الذى صعد

هو نفسه المسيح الذى نزل • فماذا يعنى هذا ؟ انه يعنى ان المسيح المجد هو عينه يسوع الذى سارت قدماه على أرضنا • انه لازال يحب جميع البشر ، لازال يبحث عن الخاطىء لازال يشفى المتألمين ، لازال يعزى الحزانى ، لازال صديق المنبوذين من الرجال والنساء ، وفكرة بولس الرسول الرائعة هى أن المسيح فى مجده لم ينس أبدا حبه • أو كما يقولون فى اسكتلندا •

وان كان قد صعد الآن الى العلاء
فانه يحنو على الأرض بعين الأخاء
شارك الناس بشريتهم
لذلك يعرف ضعفهم
شاركنا أتعابنا
لذا يحس بآلامنا
لازال يذكر فى السماء
آلامه ، صراخه ، وكذا البكاء
فكل ما يحزن قلبا
كان له فيه نصيب
أحزاننا رثى لها
آلامنا خففها

فالمسيح الذى صعد لازال هو محب نفوس البشر •

ثم اذا بفكر آخر يخطر ببال بولس الرسول • لقد صعد المسيح الى العلاء لكنه لم يصعد ليهجر العالم • لقد صعد ليملأ العالم كله بحضوره • فعندما كان يسوع فى عالمنا بالجسد ، كان يمكن له أن يكون

فى مكان واحد فى الوقت الواحد ، لقد كان محدودا بحدود الجسد ، ولكن عندما وضع جسده جانبا وعندما عاد الى المجد تحرر من حدود الجسد، وأصبح من الممكن له أن يكون فى كل مكان فى العالم عن طريق روحه • فصعود يسوع فى نظر بولس الرسول لم يعن ان المسيح قد هجر العالم بل انه قد ملأ العالم •

موظفو الكنيسة

١١ وَهُوَ أَعْطَى ٱلْبَعْضَ أَنْ يَكُونُوا رُسُلاً وَٱلْبَعْضَ أَنْبِيَاءَ
وَٱلْبَعْضَ مُبَشِّرِينَ وَٱلْبَعْضَ رُعَاةً وَمُعَلِّمِينَ ١٢ لِأَجْلِ تَكْمِيلِ
ٱلْقِدِّيسِينَ لِعَمَلِ ٱلْخِدْمَةِ لِبُنْيَانِ جَسَدِ ٱلْمَسِيحِ ١٣ إِلَى أَنْ
نَنْتَهِيَ جَمِيعُنَا إِلَى وَحْدَانِيَّةِ ٱلْإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ ٱبْنِ ٱللهِ . إِلَى إِنْسَانٍ
كَامِلٍ . إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ ٱلْمَسِيحِ .

(أف ٤ : ١١ — ١٣)

تلقى هذه الفقرة اهتماما خاصا لأنها تقدم لنا صورة لنظام الكنيسة الأولى وادارتها • فهى تقدم لنا قائمة بموظفى الكنيسة فى وقت بولس الرسول • ففى الكنيسة الأولى كان هنالك ثلاثة أنواع من الموظفين • فكانت هنالك مجموعة صغيرة امتد سلطانها فى كل انحاء الكنيسة •

وكان هنالك كثيرون ممن لم تكن خدمتهم محدودة بمكان واحد ، ولكنهم قاموا بخدمة متجولة ، يذهبون حيثما يقودهم الروح وحيثما يرسلهم الله • وكان هنالك البعض ممن كانت خدمتهم خدمة محلية محدودة بجماعة واحدة وبمكان واحد •

١ — الرسل ، وكانت سلطتهم تمتد فى كل أنحاء الكنيسة • وكان الرسل يشملون أكثر من الاثنى عشر • فبرنابا كان رســولا (أع ١٤ : ٤ ، ١٧) • ويعقوب أخو الرب ، كان رسولا (١ كو ١٥ : ١٧ ، غلا ١ : ١٩) • وسلوانس كان رسولا (١ تس ٢ : ٦) واندرونكسوس ويونياس كانا بين الرسل (رو ١٦ : ٧) • وكانت هنالك صفتان مميزتان للرسول • فأولا ، يجب أن يكون الرسول قد شاهد الرب • وعنــدما كان بولس الرسول يثبت حقه فى وجه المعارضـــة التى كانت فى كورنثوس ، نراه يقول : « ألست أنا رسولا ؟ أما رأيت يسوع المسيح ربنا ؟ » (١ كو ٩ : ١) • وثانيا كان يجب أن يكون الرســـول شـــاهدا للقيامة وللرب المقيام • فعندما اجتمع الاحد عشر لينتخبوا بديلا ليهوذا ، الخائن ، كانت مؤهلات من يحل محله هى أن يكون واحدا قد اجتمع معهم طوال مدة خدمة المسيح على الأرض ، ويجب أن ينصب ليكون شاهدا للقيامة (أ ع ١ : ٢١ ، ٢٢) • ومن زاوية خاصة يمكننا أن نقول إن الرسل كانوا فى طريقهم للانقراض ، لأنه بعد مدة من الزمن ليست بطويلة نجد أن أولئك الذين رأوا يسوع فعلا والذين عاينوا قيامته فعلا يرحلون من هذا العالم • الا أنه من زاوية أخرى ، وبمعنى أعظم ، تظل المؤهلات كما هى • فإن من يعلم عن المسيح يجب أن يعرف المسيح ، والذى يوصل قوة المسيح للآخرين يجب أن يكون قد اختبر قوة المسيح المقام •

٢ — وكان هنالك الأنبيـــاء ، وكلمة نبى لاتعنى شـــخصا يتنبىء بالمستقبل بمقدار ماتعنى شخصا يتحدث برسالة خاصة • فالأنبياء لم ينبئوا بالمستقبل بمقدار ما حدثوا الناس عن ارادة الله • وفى ســـبيل الحديث عن ارادة الله ، فانهم بالضرورة قد ينبئون بشىء عن المستقبل لأنهم يحدثون البشر عن النتائج التى تترتب على عصيان ارادة الله •

وكان الأنبياء يتجولون فى جميع أنحاء الكنائس • وكان الناس يعتبرون أن رسالتهم لا تتأسس على التفكير والدراسة ، ولكنها تنبع من الروح القدس مباشرة • ولم تكن لهم بيوت ولا عائلات ولا مصـــادر ماليــة يعيشون منها ، فكانوا يذهبون من كنيسة الى كنيســـة ، يعلنون ارادة الله حسبما أمرهم أن يفعلوا • وقد اختفى الأنبياء من الكنيسة بعد مدة ليست بطويلة • وكانت هنالك ثلاثة أسباب لأجلها اختفى الأنبياء •

(أ) كان الأنبياء هم أول من عذبوا فى وقت الاضطهاد ، فوظيفتهم كانت محفوفة بالمخاطر ولم تكن لهم وســيلة للتخفى ، فكانوا أول من يموتون لأجل الايمان •

(ب) أصبح الأنبياء مشكلة ، فبنمو الكنيسة تطور نظامها المحلى • فتطورت جماعات المؤمنين المحليــة وأصبحت هيئة منظمة لهــا خدامها الدائمون وادراتها المحلية • ولم يمض وقت طويل حتى ضاق الخدام المحليون ذرعا بتدخل أولئك الأنبياء المتجولين ، والذين سببوا القلاقل فى كثير من الأحيان للكنائس المحلية • والخدام الثابتون يميلون دائمـا لرفض المبشرين المتجولين وكانت النتيجة التى لابد منها أن الأنبيـــاء اختلفوا شـــيئا فشيئا ، وأصـــبح للخدام الثابتين والمستقرين المكان الأسمى •

(ج) كانت وظيفة النبي بصفة خاصة معرضة لســوء الاستخدام فكانت للأنبياء المتجولين مكانة خاصة عظيمة • وأســـاء البعض منهم استخدام وظيفة وجعلوا منها عذرا لحياة مترفـــة عــلى حساب شعب الكنائس التي زاروها • وأقدم الكتب التى تحدثنا عن الشئون الادارية فى الكنيسة هو كتاب الـــ Dodache أى « تعليم الرسل الاثنى عشر » ،

الذى كتب بعد سنة ١٠٠ م بقليل وفى هذا الكتاب نجـد بوضوح مكانة الأنبياء ، وكذلك الشبهات التى كانت تحوم حولهم • ويقدم الكتاب نظام تأدية الفرائض ، والصلوات التى تستخدم ، وبعد ذلك يعلم الكتاب بأن النبى له الحق فى أن يمارس الفريضة بالكيفية التى يراها • فهـو غـير ملتزم بالشكل العادى إن رغب فى أن يختار صورة أخرى • الا أن هنالك بعض القواعد الأخرى فى هـذا الكتاب • فهو يقول إن النبى المتجـول يمكن أن يقضى يوما أو يومين مع شعب احدى الكنائس • أما ان رغب فى أن يبقى لمدة ثلاثة أيام فهو نبى كاذب • ويقول ايضا إنه اذا طلب نبى متجول فى لحظة تجل مزعوم مالا أو طعاما ، فهـو نبى كاذب • وكان هنالك وقت عندما كان الأنبياء هم رسل الله حقا فى الكنيسة • ولقد كان الأمر كذلك فى أيام بولس الرسول •

وجاء وقت عندما أصبح أولئك الأنبياء المتجولون ينتمون الى عصر مضى وانقضى ، كما جاء وقت أصر فيه بعضهم بسمعة هذه الوظيفة•وفى النهاية اختفت هذه الوظيفة تماما •

٣ — وكان هنالك المبشرون • وكان المبشرون أيضا متجولين • وهم يشبهون من نسميهم اليـوم بالمرسلين • ويقـول بولس الرسـول لتيموثاوس ، « اعمل عمل المبشر » (٢ تيمو ٤ و٥) • كان أولئـك هم الذين يحملون الاخبار السارة • فلم تكن لهم مكانة الرسل الذين عاينوا الرب ولا سلطانهم ، ولم يكن لهم تأثير الأنبياء الذين كانوا يعملون بوحي الروح القدس ، ولكنهم كانوا جماعة مرسلى الكنيسـة العاديين الذين حملوا قصة الاخبارة السارة لعالم لم يكن قد استمع اليهـا من قبل • ولا يقدم لنا العهد الجديد عن هؤلاء المبشرين المجهولين سـوى مجرد

اشارة بسيطة • الا أنه لابد أنهم كانوا الخدام الذين حملوا اسم المسيح لكل العالم وان كنا لانعرف عن اسمائهم شيئا •

٤ — وكان هنالك الرعاة والمعلمون • ويلوح أن هذه العبارة المزدوجة تشير الى جماعة واحدة من الناس • لقد كانوا معلمين ومن زاوية خاصة يمكننا أن نقول انهم كانوا يشغلون أهم وظيفة فى كل الكنيسة ، فلم يكونوا متجولين ، بل مستقرين ومستمرين فى خدمة شعب معين • وقد كانت وظيفتهم مثلثة :

(أ) يجب أن نتذكر أنه كانت هنالك كتب قليلة جدا فى الكنيسة الأولى • ولم تخترع الطباعة الا بعد ذلك بألف واربعمائة سنة • فكل كتاب كان يجب أن ينسخ باليد وكان الكتاب الذى فى مثل حجم العهد الجديد يكلف حوالى خمسين جنيها • وكان هذا يعنى ان قصة المسيح يجب تداولها شفاها • ولقد تداولوا قصة المسيح شفاها قبل أن تكتب بمدة طويلة وكانت المسئولية الجسيمة التى وقعت على عاتق أولائك المعلمين هى ان يحفظوا قصة الانجيل ، فكانت وظيفتهم أن يعرفوا قصة حياة المسيح وأن يبلغوها للآخرين • ونحن مدينون لهم بقصة حياة المسيح التى تتداولها الكنيسة •

(ب) كان كل من جاؤا للكنيسة قد دخلوا اليها من الوثنية مباشرة • فلم يعرفوا شيئا على الاطلاق عن المسيحية ، سوى أن المسيح قد استحوذ على قلوبهم • ولذلك فكان واجب المعلمين أن يوضحوا وأن يعلموا الايمان المسيحى لأولئك المتجددين الذين جاؤا الى الكنيسة من العالم الوثنى • فكان يجب عليهم ان يعلموا وان يوضحوا عقائد الايمان المسيحى العظيمة • وكان نقاء العقيدة على عاتقهم • ونحن مدينون لهم

بالحفاظ على نقاء الايمان المسيحى وعدم تحريفه وهو فى طريقه الينا •

(جـ) وكان المعلمون أيضا رعاة ، وفى ذلك الوقت كانت الكنيسة المسيحية مجرد جزيرة صغيرة فى وسط بحر زاخر من الوثنية • وكان الذين دخلوا الى المسيحية قريبين جدا من الحياة الوثنية ، وكانوا معرضين دائما لعدوى العالم الوثنى ، بل انهم كانوا معرضين دائما للعودة الوثنية • وكان واجب الرعاة بأن يهتموا بالقطيع وأن يحفظوه فى سلام • وكلمة راعى كلمة قديمة ولها احترامها • فمنذ أيام هوميروس نجد أن أجاممنون الملك يدعى راعى الشعب وقد أطلق يسوع على نفسه اسم الراعى الصالح (يو ١٠ : ١١ و ١٤) ويقول كاتب الرسالة الى العبرانيين عن يسوع انه راعى الخراف العظيم (عب ١٣ : ٢٠) • ويقول بطرس عن يسوع انه راعى النفوس (١ بط ٢ : ٢٥) • كما أطلق عليه رئيس الرعاة (١ بط ٥ : ٤)•وقد أمر يسوع بطرس بأن يرعى خرافه (يو ٢١ : ١٦) • وقد حذر بولس قسوس أفسس من أنه يجب عليهم أن يحترزوا للرعية التى أقامهم الروح القدس فيها (أع ٢٠ : ٢٨) • ويحث بطرس الشيوخ بأن يكرموا رعية الله (١ بط ٥ : ٢) • وصورة الراعى ثابتة تماما فى العهد الجديد • والراعى هو ذلك الرجل الذى يهتم بالقطيع ويقود الخراف الى الاماكن الأمينة ، وهو الرجل الذى يبحث عن الخراف عندما تضل فيعود بها ثانية ، وهو الذى يدافع عن الخراف ضد أعدائها ويموت لأجلها ان لزم الأمر • وراعى خراف الله هو ذلك الرجل الذى يحمل شعب الله على قلبه ، الذى يطعمهم الحق ، ويبحث عنهم عندما يضلون ويدافع عنهم ضد كل ما قد يؤذى أو يحطم أو يشوه ايمانهم • وهذه ليست وظيفة رسمية ، فان كل مسيحى عليه بأن يرعى كل إخوته •

هدف الموظفين

(أف ٤ : ١١ — ١٣ تتمة)

بعد أن ذكر بولس الرسول أنواع الوظائف فى الكنيسة ، يتحدث عن هدف الموظفين وما يجب أن يحاولوا أن يقوموا به .

ان هدفهم هو أن أعضاء الكنيسة يصبحون مؤهلين تماما . والكلمة التى يستخدمها بولس الرسول عن فكرة التأهيل هى كلمة طريفة للغاية . انها الكلمة اليونانية katartismon التى تشتق من الفعل اليونانى katartizein. والكلمة تستخدم فى الجراحة للتعبير عن جبر أحد الأطراف المكسورة ، أو اعادة مفصل الى وضعه الصحيح . وفى عالم السياسة تستخدم الكلمة عن تجميع العناصر المتنافرة لتتمكن الحكومة من ممارسة أعمالها . وفى العهد الجديد تستخدم هذه الكلمة للتعبير عن اصلاح الشباك (مرقس ١ : ١٩) ، وعن تأديب المسىء حتى يصبح صالحا لأن يأخذ مكانه مرة أخرى فى شركة الكنيسة (غلا ٦ : ١) . والفكرة الرئيسية من وراء هذه الكلمة هى فكرة وضع الشىء أو الشخص فى الحال الذى يجب أن يكون عليه . ان عمل موظفى الكنيسة هو أن يعلموا أعضاء الكنيسة ويعاونوهم ويقودوهم ويهتموا بهم ، ويبحثوا عنهم عندما يضلون ، لكى يصبحوا بالصورة التى يجب أن يكونوا عليها . وموظف الكنيسة يشغل وظيفته ، لا لمجده الشخصى ولكن لبناء زملائه الأعضاء داخل الكنيسة .

وهدف موظفى الكنيسة هو أن يستمر عمل الخدمة والكلمة اليونانية التى تعبر عن الخدمة هى diakonis والفكرة الرئيسية من وراء هذه الكلمة هى فكرة الخدمة العملية . ان عمل الكنيسة ليس هو الوعظ والتعليم فقط ، ولكن الخدمة العملية . أن عمل موظف الكنيسة ليس هو

أن يقوم بمجرد الحديث والمجادلة فى الأمور اللاهوتية ودستور الكنيسة• ولكنه يشغل وظيفته الكنيسة لكى تستمر الخدمة العملية للفقراء وللذين يحسون بالوحدة من شعب الله •

ان هدف موظفى الكنيسة هو أن يعملوا على بناء جسد المسيح • ان نشاط موظف الكنيسة دائما نشاط بناء، فلا يهدم ، وهدفه الدائم هو أن تبنى الكنيسة فلا تنقسم أبدا • ولن يكون هدفه أبدا اثارة المشاكل ، بل يسعى دائما لكى تنتفى المشاكل تماما • فهدفه دائما هو تقوية نسيج الكنيسة ولذلك فلن يعمل على اضعافها أبدا •

الا أن لموظف الكنيسة أهدافها أعظم من هذه • فالأعمال التى أشرنا اليهاهى مايمكن أن نسميه الأعمال المباشرة التى يمارسهايوما بيوم • الا أن له أيضا أهدافا أعظم من هذه • فهدفه هو أن يصل أعضاء الكنيسة الى الاتحاد الكامل • فيجب أن لايسمح بتاتا بأن تتكون الأحزاب والجماعات داخل الكنيسة • ويجب أن لا يفعل بتاتا أى شىء يؤدى إلى الاختلافات داخل الكنيسة • فهدفه هو أن يقود بتعاليمه وبمثاله أعضاء الكنيسة الى مزيد من الاتحاد فى كل يوم • وهدفه هو أن يبلغ أعضاء الكنيسة الرجولة الكاملة • وهدف الكنيسة لأعضائها ليس أقل من الكمال • فلايمكن أن تقنع الكنيسة بأن يحيا أعضاؤها مجرد حياة محترمة وقورة ، بل يجب أن تسعى الكنسية لأن تكون حياة أعضائها مثالا للكمال المسيحى •

وهكذا يصل بولس الرسول فى النهاية الى هدف لايمكن أن يكون هنالك أعظم منه • فهدف الكنيسة هو أن يصل أعضاؤها الى مستوى من القامة نقيسه بالمقارنة بملء المسيح • وقد اعتاد أ • ج • جوسيب أن يقول فى عبارة جريئة : ان هدف المسيح كان أن ينتج فى هذا العالم جنسا

من « المسحاء » (أناس على غرار المسيح) • وهدف الكنيسة لايقل عن كونها تنتج رجالا ونساء تنعكس من حياتهم صورة يسوع المسيح نفسه • يقولون انه أثناء حرب القرم كانت فلورنس نايتنجيل تمر ذات مساء فى أحد عنابر المرضى فى مستشفى • وتوقفت لتنحن على سرير كان فيه جندى ، نظر اليها وقال : « أنت هو المسيح بالنسبة لى » • وقد عرفوا القديس بأنه « شخص يعيش فيه المسيح ثانية » • وهذا مايجب أن يكون عليه أعضاء الكنيسة الحقيقيون •

النمو فى المسيح

١٤ كَيْ لاَ نَكُونَ فِي مَا بَعْدُ أَطْفَالاً مُضْطَرِبِينَ وَمَحْمُولِينَ
بِكُلِّ رِيحِ تَعْلِيمٍ بِحِيلَةِ النَّاسِ بِمَكْرٍ إِلَى مَكِيدَةِ الضَّلاَلِ .
١٥ بَلْ صَادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ نَنْمُو فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ذَاكَ الَّذِي
هُوَ الرَّأْسُ الْمَسِيحُ ١٦ الَّذِي مِنْهُ كُلُّ الْجَسَدِ مُرَكَّباً مَعاً
وَمُقْتَرِناً بِمُؤَازَرَةِ كُلِّ مَفْصِلٍ حَسَبَ عَمَلٍ عَلَى قِيَاسِ كُلِّ جُزْءٍ
يُحَصِّلُ نُمُوَّ الْجَسَدِ لِبُنْيَانِهِ فِي الْمَحَبَّةِ .

(أف ٤ : ١٤ — ١٦)

فى كل كنيسة هنالك أعضاء يحتاجون الى حماية • فهنالك من يشبهون الأطفال ، تسيطر عليهم الرغبة فى أى شئ جديد ، فهم تحت رحمة الأشياء المستحدثة فى الدين ، وهم دائما تحت تأثير آخر شخص تحدثوا اليه ، كما ان عندهم ضعفا صبيانيا يعوقهم عن التركيز فى أمور الايمان الأساسية • ويعلمنا التاريخ ان المستحدثات الشعبية فى أمور

الدين تأتى وتمضى الا أن الكنيسة تدوم الى الأبد • ويعلمنا التاريخ أن المعلمين والمبشرين المتنقلين قد تلمع أسماؤهم ثم يسقطون، إلا أن الكنيسة تدوم ، والطعام القوى الجاد هو دائما داخل الكنيسة •

وفى كل كنيسة هنالك جماعة من النـــاس يجب الاحتراس منهم • ويتحدث بولس الرسول عن « حيلة الناس » ، والكلمة اليونانية التى يستخدمها هى kubeia كانت تعنى البراعة فى التلاعب بزهر الطاولة • وهنالك دائما أشخاص يقودون الناس بعيدا عن الايمان ببراعة وذكاء محاولاتهم • ومن مميزات العصر الذى نعيش فيه أن الناس يتحدثون عن الدين أكثر مما اعتادوا أن يتحدثوا عنه منذ سنين طويلة • والمسيحى وخاصة الشاب المسيحى ، عليه أن يواجه فى أحيان كثيرة الحجج البارعة التى يقدمها أعداء الكنيسة وأعداء الله •

وهنالك سبيل واحد به نتجنب أن تحملنا رياح التعاليم الدينيـــة الجديدة وأن نتجنب أن تخدعنا مجالات البشر الأذكياء ، وذلك بالنمو المستمر فى المسيح ، وبأن نحيا حياة الاقتراب المتزايد اليه فى كل يوم •

ويستخدم بولس الرسول صورة أخرى أيضا • فيقول ان الجسد يكون فى صحة جيدة ويستطيع أن يقوم بعمله بكفاءة عندما يقوم كل جزء بعمله الخاص فى تنسيق مع بقية الأجزاء ، وعندما يقوم كل مفصل بالربط بين الأعضاء المفروض أن يربط بينها ، وعندما يقوم كل جزء فى الجسد بالدور المطلوب منه والذى من نصيبه أن يقـــوم به • ويقـــول بولس الرسول إن الكنيسة تشبه ذلك ، ولكنها لاتستطيع أن تحقق هذا الأمر مالم يكن المسيح حقا هو الرأس، وعندما يتحرك كل عضو من الأعضاء تحت

سلطان المسيح ، كما يتحرك كل عضو فى الجسم السليم بتوجيه من العقل .

والشيء الوحيد الذى يمكن أن يحفظ الشخص المسيحى قويا فى الايمان وثابتا ضد كل غواية ، والشيء الواحد الذى يمكن أن يحفظ الكنيسة بأسرها قوية وعلى مستوى من الكفاءة ، هو علاقة المودة التى لاتنفصم مع المسيح يسوع الذى هو الرأس والعقل الموجه لكل الجسد .

الأشياء التى يجب أن ننبذها

١٧ فَأَقُولُ هٰذَا وَأَشْهَدُ فِي ٱلرَّبِّ أَنْ لَا تَسْلُكُوا فِي مَا بَعْدُ
كَمَا يَسْلُكُ سَائِرُ ٱلْأُمَمِ أَيْضاً بِبُطْلِ ذِهْنِهِمْ ١٨ إِذْ هُمْ مُظْلِمُو
ٱلْفِكْرِ وَمُتَجَنِّبُونَ عَنْ حَيَاةِ ٱللهِ لِسَبَبِ ٱلْجَهْلِ ٱلَّذِي فِيهِمْ
بِسَبَبِ غِلَاظَةِ قُلُوبِهِمْ ١٩ ٱلَّذِينَ إِذْ هُمْ قَدْ فَقَدُوا ٱلْحِسَّ أَسْلَمُوا
نُفُوسَهُمْ لِلدَّعَارَةِ لِيَعْمَلُوا كُلَّ نَجَاسَةٍ فِي ٱلطَّمَعِ . ٢٠ وَأَمَّا أَنْتُمْ
فَلَمْ تَتَعَلَّمُوا ٱلْمَسِيحَ هٰكَذَا ٢١ إِنْ كُنْتُمْ قَدْ سَمِعْتُمُوهُ وَعُلِّمْتُمْ
فِيهِ كَمَا هُوَ حَقٌّ فِي يَسُوعَ ٢٢ أَنْ تَخْلَعُوا مِنْ جِهَةِ ٱلتَّصَرُّفِ
ٱلسَّابِقِ ٱلْإِنْسَانَ ٱلْعَتِيقَ ٱلْفَاسِدَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ ٱلْغُرُورِ
٢٣ وَتَتَجَدَّدُوا بِرُوحِ ذِهْنِكُمْ ٢٤ وَتَلْبَسُوا ٱلْإِنْسَانَ ٱلْجَدِيدَ
ٱلْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ ٱللهِ فِي ٱلْبِرِّ وَقَدَاسَةِ ٱلْحَقِّ .

(اف ٤ : ١٧ — ٢٤)

هنا يستحث بولس الرسول الذين تجددوا ليقلعوا عن أسلوب حياتهم القديم وأن يتحولوا الى أسلوب المسيح للحياة . وينتقى بولس الرسول فى هذه الفقرة مايعتبره الخصائص الجوهرية لحياة الأمم . فالأمم تهتم بأمور تافهة لا طائل تحتها ، فعقولهم مظلمة بسبب جهلهم . وهنا تأتى الكلمة الهامة بسبب غلاظة قلوبهم . والكلمة التى يستخدمها بولس الرسول ونترجمها بكلمة غلاظة هى كلمة يونانية كئيبة وفظيعة . انها الكلمة porosis وهذه الكلمة مشتقة من الكلمة poros والتى كانت تعنى أصلا نوعا من الأحجار أشد صلابة من الرخام . ثم أصبحت تستخدم الأوساط الطبية . فكانت تستخدم عن المواد الجيرية التى تتكون فى المفاصل فتشل حركتها تماما . وهى تستخدم عن التراكم الجيرى الذى يتكون حيث كان العظم مكسورا ثم التأم ، التراكم الذى يعتبر أشد صلابة من العظام نفسها . وتعنى الكلمة أخيرا الفقدان التام للمقدرة على الاحساس . فهى تصف شيئا قد تجمد تماما ، وقد تحجر لدرجة فقد معها كل قوة على الاحساس . ويقول بولس الرسول ان حياة الأمم تشبه ذلك . فهى حياة قد تحجرت لدرجة فقدت معها القدرة على الاحساس . فقد كتب روبرت برنز عن الخطية فى الأبيات التى عنوانها « رسالة الى صديق شاب » :

أغفلت قدر خطية صغيرة
ومخاطر الاخفاء
ولكن يا للهول
فكم يجمد الداخل
ويجمد الشعور

ان ما يدفع الى الفزع من الخطية هو التحجر الذى تقود اليه • فاننا نستطيع أن نميز سلسلة خطوات الخطية • فلا يمكن لانسان أن يصبح خاطئا كبيرا دفعة واحدة • انه فى البداية يخشى الخطية ويفزع منها • وعندما يخطىء ، يحس فى قلبه بالتأديب والأسف • ولكنه اذا استمر فى الخطية ، يأتى وقت فيه يفقد كل احساس وشعور ، فيفعل الأشياء التى يندى لها الجبين دون ذرة من الاحساس • لقد تحجر ضميره • وان أعظم اتهام وجهه بولس الرسول لأسلوب الحياة الوثنية هو أن تلك الحياة انما تحجر الضمير حتى تصبح الحياة خلوا من الاحساس •

الا أن بولس الرسول يستخدم أيضا كلمتين يونانيتين شنيعتين يصف بهما أسلوب حياة الوثنيين • فيقول انهم اسلموا أنفسهم لكل أنواع السلوك غير النظيف ليعملوا كل نجاسة فى الطمع • ويقول انهم فعلوا ذلك اذ هم قد فقدوا الحس • والكلمة التى يعبر بها عن «اذ هم فقدوا الحس» هى الكلمة اليونانية aselgeia. وعرف أفلاطون هذه الكلمة بأنها تعنى «وقاحة أو صفاقة» ، ويعرفها كاتب آخر بأنها «الاستعداد لكل لذة» • ويعرف القديس بساليوس هذه الكلمة بأنها «الحال الذى يصبح المرء فيه غير قادر على تحمل ألم التأديب والتهذيب» • الا أن أعظم صفة مميزة لهذه الكلمة هى انها توضح أن الرجل الشرير يحاول عادة أن يخفى خطيته ، الا أن المرء الذى يوصف بهذه الكلمة هوذلك الذى لا يبالى بما يقوله الرأى العام • فهو لا يبالى بالاخلاق العادية ،ويخدش الحياة فىسبيل استمتاعه برغباته الشخصية• وأغلب الناس لديهم بقية باقية من الحياء تدفعهم لأن يخفوا خطاياهم ، الا أن من يوصف بهذه الكلمة لايبالى بمن يرى أفعاله المشينة مادام

يحصل على مايريد • فيمكن للخطية أن تتسلط على الانسان لدرجة يفقد معها كل حياء وكل احساس بالكرامة • أنه يشبه من يتعاطى المخدرات ، فهو يستخدمها سرا فى البداية ، الا انه قد يصل الى درجة يرجو فيها علنا ، بل ويلح فى طلب المخدر الذى أصبح يعتمد عليه • وقد يصبح الانسان مستعبدا للمسكر لدرجة لايبالى فيها بمن يراه مخمورا • وقد يسمح انسانلرغباتهالجنسية بأن تتسلطعليهلدرجة لايبالىفيها بمن يراه يشبع تلك الرغبات • واسلوب الحياة الوثنى يمكن أن يصبح خاضعا ومستعبدا للخطية لدرجة يفقد المرء فيها الشعور الطبيعى بالخجل ، وبذلك لايستمر الانسان فى كونه انسانا ، فيصبح كالبهائم •

وغير المسيحى يفعل كل هذا عاملا كل نجاسة فى الطمع • والكلمة اليونانية التى يستخدمها هنا هى الكلمة pleonexia وهى كلمة أخرى بشعة • ويعرف اليونانيون هذه الكلمة بأنها « الطمع المتصلف » • وقد عرفوها بأنها « حب التملك الذى أصابته اللعنة » • كما أنهم عرفوها بأنها « الرغبة غير المشروعة فى تملك ما للآخرين » ،كما قالوا عنها «إنها تلك الروح التى تجعل الانسان مستعدا دئما لأن يضحى بجاره فى سبيل رغباته الشخصية » • فهذه الكلمة pleonexia تعبر عن تلك الرغبة الجامحة فى تملك مالا حق لنا فيه • أو الرغبة التى تتسود الى سرقة الأشياء المادية ، أو التى تدفع المرء لأن يدوس على الآخرين فى سبيل بلوغ هدفه ، أو تقود الى الخطايا الجنسية • انها روح ذلك الانسان الذى لايبالى بجرح شعور الآخرين أو الأساوب الذى يستخدمه المرء مادام يبلغ أهدافه •

وقد رأى بولس الرسول ثلاثة أشياء مريحة فى العالم الأممى ، العالم البعيد عن المسيح • لقد رأى قلوب الناس وقد تحجرت تماما حتى

لم يدركوا انهم يفعلون الخطية ، كما انه رأى البشر وقد تسلطت عليهم الخطية حتى فقدوا الاحساس بالخجل ونسوا مبادىء الحياة الراقية ، بل انه رأى الناس وقد سادت عليهم ميولهم ونوازعهم حتى لم يبالوا بالحياة التى قد يجرحونها أو البراءة التى يحطمونهـا ماداموا يبلغون رغباتهم • وعندما نتأمل هذه الصورة ، نجد أن هذه هى نفس خطـايا العالم بدون المسيح اليوم ، فهى الخطايا التى تهاجـم الحياة من كل جانب والتى تمتلىء بها شوارع كل مدينة كبيرة •

ويستحث بولس الرسول المؤمنين لأن يكونوا قد تخلصوا من مثل هذه الحياة • ويعبر عن ذلك بصورة حية فيقول : « اخلعـوا اسلوب حياتكم القديم كما تخلعون الملابس القديمة ، والبسوا ملابس جديدة • اخلعوا خطاياكم عنكم ، والبسوا البر والقداسة التى يمكن لله أن يعطيكم اياها • هنالك عبارات قليلة تصف الخطية بمثل هذه الصورة القبيحـة وتستحث الانسان لأن يهجر أسلوب العالم ، ويسير فى طريق الله •

أشياء يجب أن تختفى من الحياة

٢٥ لِذَٰلِكَ ٱطْرَحُوا عَنْكُمُ ٱلْكَذِبَ وَتَكَلَّمُوا بِالصِّدْقِ
كُلُّ وَاحِدٍ مَعَ قَرِيبِهِ بَعْضَنَا أَعْضَاءُ ٱلْبَعْضِ . ٢٦ اغْضَبُوا وَلاَ
تُخْطِئُوا . لاَ تَغْرُبِ الشَّمْسُ عَلَى غَيْظِكُمْ ٢٧ وَلاَ تُعْطُوا إِبْلِيسَ
مَكَانًا . ٢٨ لاَ يَسْرِقِ ٱلسَّارِقُ فِي مَا بَعْدُ بَلْ بِالحَرِيِّ يَتْعَبُ
عَامِلاً الصَّالِحَ بِيَدَيْهِ لِيَكُونَ لَهُ أَنْ يُعْطِيَ مَنْ لَهُ ٱحْتِيَاجٌ .
٢٩ لاَ تَخْرُجْ كَلِمَةٌ رَدِيَّةٌ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ بَلْ كُلُّ مَا كَانَ صَالِحًا

لِلْبُنْيَانِ حَسَبَ ٱلْحَاجَةِ كَيْ يُعْطِيَ نِعْمَةً لِلسَّامِعِينَ . ٣٠ وَلاَ
تَحْزَنُوا رُوحَ ٱللهِ ٱلْقُدُوسَ ٱلَّذِي بِهِ خُتِمْتُمْ لِيَوْمِ ٱلْفِدَاءِ .
٣١ لِيُرْفَعْ مِنْ بَيْنِكُمْ كُلُّ مَرَارَةٍ وَسَخَطٍ وَغَضَبٍ وَصِيَاحٍ
وَتَجْدِيفٍ مَعَ كُلِّ خُبْثٍ . ٣٢ وَكُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ
بَعْضٍ شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ ٱللهُ أَيْضاً فِي
ٱلْمَسِيحِ .

(أف ٤ : ٢٥ — ٣٢)

لقد قال بولس الرسول أنه عندما يصبح انسان مسيحيا ، فانه يجب أن يخلع الحياة القديمة كما يخلع رجل معطفا قد استغنى عنه . ويتحدث بولس الرسول هنا عن الأشياء التى يجب أن تختفى من الحياة المسيحية .

١ — يجب أن لايكون هنالك كذب ، أى كذب . والكذب فى هذا العالم ليس نوعا واحدا . فهنالك كذب الكلام والأقوال . وهذا الكذب يكون أحيانا متعمدا بينما يكون فى أحيان أخرى غير مقصود . ويقدم الدكتور جونسون نصيحة طريفة فيما يتعلق بتنشئة الأطفال فيقول: «عود أطفالك دائما على هذا (قول الصدق) ، فاذا حدث شىء بجوار أحدى النوافذ ، واذا بهم وهم يروون القصة يقولون انه حدث بجوار نافذة أخرى لاتدع هذا الأمر يمر ولكن صحح الخطأ فورا ، فأنت لاتعلم ماقد يقود اليه الانحراف عن الحق .. فالعالم ملىء بالكذب وذلك ليس بسبب الكذب المتعمد بقدار ما هو بسبب اهمال الحق » . ويرى د . جونسون اننا يجب أن نعود أنفسنا على أن نتعمد أن نعتزم ، وأن نحاول أن نقول

الصدق . انه من السهل أن نضيف بعض الرتوش لاحدى القصص . ومن السهل ان نختلق قصة عندما نقدم اعتذارنا عن عدم قيامنا بأمر من الأمور، أو عمل شيء من الأشياء .وانه لمن المؤكد ان العالم مليء بالكثير من الباطل غير المتعمد ،وان الحق يتطلب مجهودا خاصا يبذله الفرد .الا أن هنالك بالاضافة الى كذب الكلام ، كذب الصمت ، وقد يكون هذا أكثر انتشارا . ويتحدث أندريه موروا فى احدى عباراته المشهورة عن « خطورة الأشياء التى صمت الناس عن ذكرها » . فقد يصمت انسان فى احدى المناقشات بينما كان يجب عليه أن يتكلم ، وبصمته يوافق على تصرف يعلم هو أنه خطأ . وقد يمتنع انسان عن التحذير والتوبيخ بينما يعلم جيدا انه كان يجب عليه أن يحذر ويوبخ . وقد يصبح الحق جامدا بسبب صمت انسان ، بقدار مايمكن لانسان أن يحرق الحق بكلامه .

ثم يقدم بولس سبب قول الصدق ، وهو اننا كلنا أعضاء فى نفس الجسد . ونحن انما نحيا فى سلامة لأن حواسنا وأعصابنا ترسل رسائل صادقة الى مخنا . وفى الواقع انه لو تعودت حواسنا وأعصابنا على أن ترسل رسائل كاذبة الى مخنا ، فلو قالت مثلا للعقل ، ان شيئا كان باردا ويمكن لمسه بينما هو فى الحقيقة ساخن ويحرق ، لانتهت الحياة سريعا . ويمكن للجسد أن يعمل بدقة وبكيفية مرضية عندما يرسل كل عضو رسائل صادقة الى المخ والى الأجزاء الأخرى من الجسم . فان كنا جميعا نرتبط معا فى جسد واحد ، فلا يمكن لهذا الجسد أن يقوم بعمله الا عندما نقول الصدق . وكل خداع يعوق عمل جسد المسيح .

٢ ــ يجب أن يكون هنالك غضب فى الحياة المسيحية ، الا أنه يجب

أن يكون النوع الصحيح من الغضب . فالانسان الذى فقد القدرة على الغضب ، انسان فقد شيئا أساسيا فى حياته . فالغضب الأنانى ، الغضب بسبب الأشيــاء التى تحدث لنا ، دائما خاطىء . فالخصام والطبــع الحاد وسرعة الهياج أشياء لايمكن الدفاع عنها . الا أن هنالك غضـــبا يصبح العالم بدونه مكانا تعيسا . فالعالم لاشك كان يفقد الكثير لو لم يكن هنـــالك غضب ولبرفورس المتقد ضـــد تجـــارة الرقيق ، وغضب شافتسبرى اذاء الظروف والأحوال التى كان العمال من رجال ونســاء وأولاد يرزحون تحتها فى القرن التاسع عشر . ولقـــــد تميز الدكتور جونسون بالصراحة الحادة،فمتى اعتقد أن شيئا قد جانب الصواب قال ذلك بقوة ودون دوران . وعندما كان على وشك نشر أحد كتبه ، طلبت منه السيدة « هنا مور » ان يخفف بعض عباراته ، وروت انه قال لهــا عندئذ « انه لايستطيع أن يبتر مخالبه ، أو أن يجعل من النمر الذى فيه قطا ، لكى يرضى انسانا » . فهنالك مكان للنمر فى الحياة ، وعندما يصبح النمر قطا مستأنسا تفقد شيئا . فقد غضب المسيح فى بعض الأحيــان غضبا شديدا . لقد غضب عندما رأى الكتبة والفريسيين يراقبونه ليروا ان كان يشفى رجلا يده يابسة فى يوم السبت (مرقس ٣ : ٥) . وهو لم يغضب لأنهم انتقدوه ، ولكنه غضب لأن تمسكهم المستميت بالعقيدة السليمة دفعهم الى الرغبة فى أن يستمر أخ لهم فى الانسانية فى الألم بدون داع . وغضب يوم أن صنع سوطا وطرد الصيارفة وباعة الذبائح من فناء الهيكل (يوحنا ٢ : ٣ — ١٧) ويحدثنا ف . و . بوريهام كيف أن ث . و . روبرتسون ، الواعظ والقديس المشهور ، يحدثنا فى أحد عظاته بأنه عض شفتيه حتى سالت منهما الدماء عندما رأى رجلا يعرفه فى الطريق ، يداعب فتاة صغيرة نقية ليقودها الى التهلكة . لقد غضب روبرتسون غضبا شديدا : ولقد قال جون وسلى : « اعطنى مئة رجل

لايخافون سوى الله ،ولا يكرهون شيئا سوى الخطية ، ولا يعرفون شيئا سوى يسوع المسيح مصلوبا ، وسوف أهز العالم » • ان الغضب الأنانى ، العاطفى ، الذى لم يتهذب ، والذى لايمكن ضبطه خطية • وهو غير نافع بل يقود الى الضرر ، ويجب أن ينتفى من الحياة المسيحية • ولكن الغضب المدرب فى خدمة المسيح• وخدمة اخوتنا فى البشرية والذى يحيط به النقاء فيخلوا من الأنانية ، هو واحد من أعظم القوى فى هذا العالم •

اشياء يجب أن تختفى من الحياة

(أف ٤ : ٢٥ ــ ٣٢ تتمة)

٣ ــ ويتابع بولس الرسول حديثه فيقول ان المسيحى يجب أن لايسمح أبدا للشمس بأن تغرب على غضبه • يقول بلوتارك إن تلاميذ فيثاغورس، الفيلسوف، كانوا يطبقون قاعدة فى حياتهم اليومية بأنه ان دفعهم الغضب اثناء النهار فوجه واحد منهم اهانة لأخيه فانهم قبل أن تغرب الشمس يصافحون ويقبلون بعضهم بعضا ، ويتصالحون • وكان احد الربيين يصلى طالبا ان لا يذهب أبدا لينام وفى فكره ضغينة من نحو أى أخ فى الانسانية• ولايأمل انسان فى ختام أفضل ليومه من أن يكون فى سلام مع البشر أجمعين • والنصيحة التى يقدمها بولس الرسول نصيحة صائبة ، لأننا كلما أجلنا اصلاح مشكلة أو مشاجرة وسمحنا لمزيد من الوقت بأن يمر عليها ، كلما ازدادت صعوبة حل المشكلة • فان كانت هنالك مشكلة بيننا وبين أى شخص آخر ، أى إن كانت هنالك مشكلة فى الكنيسة أو فى وسط أى جماعة ننتمى اليها ، فان الطريق الأوحد لعلاج المشكلة هو أن نهتم بها فورا • فكلما تركناها تنمو كلما ازداد

الاحساس بالمرارة وكلما ازدادت تعقيدا • فمتى أخطانا ، فانه يجب علينا ان نصلى الى الله ليعطى لنا نعمة خاصة بها نذهب ونعترف بخطايانا وحتى لو كانت على صواب ، فانه يجب أن نصلى الى الله ليعطى لنا نعمة خاصة لنستطيع أن نأخذ الخطوة الأولى لتصحيح الأوضاع •

ويضيف بولس الرسـول أمرا ثانيـا • والتعبير اليونانى الذى يستخدمة قد يعنى شيئا من اثنين • فقـد يعنى : « لاتعطـوا ابليس فرصة » • فالانقسام الذى يبقى دون علاج ، والمشاجرة التى تدوم دون مصالحة ، انما تقدم فرصة ممتازة للشيطان ليبذر بذار الانقسـام والخصام • وكم من مرة تمزقت الكنيسـة الى أحـزاب وجماعات لأن فردين منها تشاجرا وسمحا للشمس بأن تغـرب على غضبهما • وكم يجدر أن نتذكر انه عندما تتدهور العلاقات الشخصية يجد ابليس فرصة، وهو لايتباطأ فى أغتنامها • الا أن هنالك معنى آخر لهذه العبارة يتساوى احتمال أن يكون بولس الرسول قد قصده مع المعنى الأول • فالكلمـة اليونانية التى تعنى ابليس هى كلمة diabolos الا ان كلمة diabolos هى الكلمة اليونانية المألوفة للتعبير عن المفترى فلوثر مثـلا ، اعتبر أن هذه العبارة تعنى : « لاتعطوا المفترى مكانا فى حياتكم » • « ولعل هذا هو المعنى الحقيقى الذى قصده بولس الرسول • فلا يمكن لأحد فى هذا العالم أن يحدث مزيدا من المشاكل ومزيدا من الضرر بمثـل مايحدثـه المفترى وهو ينقل مختلف الروايات • هذا ما عبر عنه كوليريدج فى أحد اشعاره عندما قال :

وأسفاه لقد كانا أصدقاء فى الصبا

الا ان الألسنة الهامسة تستطيع ان تشوه كل الحقائق

فكم من سمعة تهدر بينما الناس يحتسون أكواب الشاى كل يوم• وكم يجدر بالمرء ان يغلق البـاب فى وجـه كل من يحملون القصص والروايات من مكان الى مكان •

٤ ــ ويجب على من كان لصا ان يصبح عاملا شريفا • وقد كانت هذه نصيحة ضرورية ، فقد كانت السرقة سائدة فى العالم القديم • وقد كانت مألوفة فى مكانين بصفة خاصة •فقد كانت مألوفه عند مرسى السفن وفى الحمامات العامة • وكانت الحمامات العامة بمثابة النوادى فى ذلك العصر ، وكانت سرقة ملابس ومتعلقات من يذهبون للحمامات من الأمور المألوفة جدا فى أى مدينة يونانية •

الا أن الأمر الطريف فى ما يقوله بولس الرسول انما هو السبب الذى لأجله يريد أن يصبح المرء شريفا•فانه لايقول : « يجب أن تصبح عاملا شريفا لكى لاتكون عالة على غيرك ولكى تعول نفسـك بأمانة وشرف » • ولكنه يقول يجب أن تكون عاملا أمينا لكى يكون لك ما يمكن أن تقدمه لمن تقل مواردهم المالية عنك » • وهنـا نجـد فكرة جديدة ، نموذجا جديدا ،نموذج العمل لكى نستطيع أن نعطى للآخرين• ويحدثنا جيمس اجيت عن خطاب كتبه الروائى أرنولد بينيت لكاتب كان أقل حظاً منه • ولقد كان بينيت طموحا ودنيويا الى حد كبير ، الا أنه فى الخطاب الذى كتبه لزميله الكاتب ، والذى لم يكن يعرف عنه شيئا سوى اسمه ، يقول : «لقد كنت أطلع الآن على حسابى بالبنك ، ووجدت أن هنـالك مائة جنيه لست فى حاجة اليها ، وها أنا أرسل اليك شيكا بهذه القيمة » •

وهنالك متطلبات تفرض نفسها علينا ، وفى المجتمع الحديث لايحس انسان بأن لديه فائضا يمكن أن يعطيه للآخرين ، الا أنه يجدر بنا أن نذكر

.النموذج المسيحى فى العمل ، وهذا النموذج هو اننا نعمل ، لا لنكدس الأشياء ، ولكن لنستطيع ، متى لزم الأمر ، أن نعطى الآخرين .

٥ — ويتقدم بولس الرسول ليمنع كل الكلام القبيح ، ويقدم ذلك بصيغة ايجابية . فيقول للمسيحى ان تكون كل كلمة من كلماته نافعة للآخرين . فيجب أن يتميز المسيحى بالكلمات التى تساعد الآخرين . ولقد أمتدح أليفاز التيمانى أيوب كثيرا عندما قال : « قد أقام كلامك العاثر (أى ٤ : ٤) . هذه هى الكلمات التى ينبغى أن يتحدث بها المسيحى .

٦ — ويستحثنا بولس الرسول أن لانحزن الروح القدس . والروح القدس هو الذى يرشد ويوجه الحياة . وعندما نتصرف تصرفا مخالفا لارشاد وتحذير ونصح والدينا ونحن فى الصغر ، فنحن نجرح شعورهم ونحزن قلوبهم . وكذلك ، عندما نتصرف ضد ارشاد وتوجيه الروح القدس ، فنحن نحزن الروح ونجرح مشاعر قلب الله ، الأب ، الذى أرسل الينا كلمته بالروح .

الأشياء التى يجب أن تختفى من الحياة

(أف ٤ : ٢٥ — ٣٢ تتمة)

وختم بولس الرسول هذا الفصل الكتابى بقائمة من الأشياء ، واحدة بعد الأخرى ، يجب أن تختفى من الحياة .

١ — هنالك المرارة pikria. وقد عرف اليونانيون هذه الكلمة بأنها تعنى الكراهية التى تستمر طويلا ، فهى الروح التى ترفض المصالحة .

فالكثيرون منا يعملون على أن يستمر غضبهم ، فهم يفكرون كثيرا فى الشتائم والاساءات والاهانات التى لحقت بهم • وكلما طال تفكيرنا فى هذه الأشياء كلما تأصلت فينا تأثيراتها • ولعله يجدر بكل مسيحى أن يصلى طالبا من الله أن يعلمه أن ينسى •

(ب) وهنالك السخط thumos والغضب orge وقد عرف اليونانيون الكلمة التى نترجمها بكلمة سخط بأنها ذلك النوع من الغضب الذى يشبه اللهيب الذى ينتج عن القش • فهو مشتعل سريعا ويخمد سريعا أيضا • الا أنهم من الناحية الأخرى ، كانوا يصفون كلمة orge بأنها تعنى ذلك الغضب الذى أصبح عادة متأصلة فى الانسان • فالانفعال السريع والغضب الذى يستمر طويلا كلاهما ممنوعان على المسيحى •

(ج) وهنالك الصياح والتجديف : كانت زوجة أحد الوعاظ تنصح زوجها بأن يخفض صوته فى المنبر • فعندما نلاحظ عند أى مناقشة أو أى جدل أن صوتنا قد ارتفع ، فان هذا يعنى أن الأوان قد حان لنتوقف • وكان اليهود يتحدثون عن « خطية اهانة الآخرين » وكانوا يعتبرون ان الله لايبرىء من يهين الآخرين • لقد امتدح الشاعر لير كورديليا قائلا :

كان صوتها هادئا دائما ، وديعا منخفضا ،
وكم هى صفة ممتازة فى النساء •

انه لما يوفر الكثير من الاحزان فى هذا العالم ، ان نتعلم ببساطة ان نخفض أصواتنا وان لم يكن لدينا شىء طيب نقوله عن انسان ، فلا نقول شيئا على الاطلاق • فوجهة النظر التى يجب أن يؤيدها الصوت المرتفع ليست وجهة نظر على الاطلاق • والخلافات يجب أن تصحبها الشتائم ليست مناقشة وانما شجار •

وهكذا يصل بولس الرسول الى خلاصة نصيحته فيقول اننا يجب ان نكون لطفاء chrestos وقد عرف اليونانيون هذه الصفة بأنها ذلك الاستعداد العقلى الذى يدفعنالنهتم بشئون جارنا كما نهتم بشئون أنفسنا • فاللطف هو أننا نهتم بمشاعر الآخرين كما نهتم بمشاعرنا • وهو أن نهتم باحزان وصراعات ، ومشاكل الآخرين كما لو كانت تخصنا شخصيا • فاللطف قد تعلم سر النظر للخارج دائما ، وليس للداخل • وهو يعلمنا أن نغفر للاخرين كما غفر لنا الله • وهكذا يقدم بولس الرسول ، فى عبارة واحدة ، قانون العلاقات الشخصية ، وذلك أن نعامل الآخرين كما عاملنا المسيح يسوع •

الأَصْحَاحُ الْخَامِسُ

محاكاة الله

١ فَكُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِاللهِ كَأَوْلادٍ أَحِبَّاءَ . ٢ وَاسْلُكُوا فِي
الْمَحَبَّةِ كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضاً وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا قُرْبَاناً
وَذَبِيحَةً لِلهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً .

٣ وَأَمَّا الزِّنَا وَكُلُّ نَجَاسَةٍ أَوْ طَمَعٍ فَلاَ يُسَمَّ بَيْنَكُمْ كَمَا
يَلِيقُ بِقِدِّيسِينَ ٤ وَلاَ الْقَبَاحَةُ وَلاَ كَلاَمُ السَّفَاهَةِ وَالْهَزْلُ الَّتِي
لاَ تَلِيقُ بَلْ بِالْحَرِيِّ الشُّكْرُ . ٥ فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ هٰذَا أَنَّ كُلَّ
زَانٍ أَوْ نَجِسٍ أَوْ طَمَّاعٍ الَّذِي هُوَ عَابِدٌ لِلأَوْثَانِ لَيْسَ لَهُ مِيرَاثٌ
فِي مَلَكُوتِ الْمَسِيحِ وَاللهِ . لاَ يَغُرَّكُمْ أَحَدٌ بِكَلاَمٍ بَاطِلٍ
لِأَنَّهُ بِسَبَبِ هٰذِهِ الأُمُورِ يَأْتِي غَضَبُ اللهِ عَلَى أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ .
٧ فَلاَ تَكُونُوا شُرَكَاءَهُمْ . لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ قَبْلاً ظُلْمَةً وَأَمَّا الآنَ
فَنُورٌ فِي الرَّبِّ . اسْلُكُوا كَأَوْلاَدِ نُورٍ .

(أف ٥ : ١ — ٨)

هنا يضع بولس الرسول أمام شعبه المسيحى أعلى مثــال فى كل

العالم • فيقول انه يجب عليهم أن يتمثلوا بالله • وقد تجرأ اكليمندس الاسكندرى فيما بعد فقال ان المسيحى الحقيقى الحكيم يمارس أن يكون هو الله • وعندما تحدث بولس الرسول عن المحاكاة كان يستخدم لغة يتفهمها حكماء اليونان • فالتمثيل أو المحاكاة mimesis كان جزءاً أساسياً فى تدريب الخطباء فقدقال معلم الفصاحة إن تعلم الخطابة يعتمد على أشياء ثلاثة : النظرية ، والمحاكاة والممارسة • والجزء الأساسى فى التدريب كان هو دراسة ومحاكاة الخطباء البارعين الذين عاشوا من قبل • فكأن بولس الرسول يقول : « ان كنت تتدرب لأن تكون خطيبا ، فانهم سيقولون لك أن تتمثل بمن برعوا فى لخطابة • الا أنكم لاتتدربون على الخطابة ولكنكم تتدربون على الحياة • ولذلك فيجب أن تتمثلوا برب كل حياة صالحة •

وهذا الاقتداء كان يجب أن يكون فوق كل شىء فى تجاه واحد • فيجب على المسيحى أن يحاكى حب الله وغفرانه ويستخدم بولس الرسول عبارة من عبارات العهد القديم النموذجية فيتحدث عن « الرائحة الطيبة » • وهذه العبارة تعود بنا الى فكرة قديمة جدا ، قديمة قدم الذبائح نفسها • فعندما كانت الذبيحة تقدم على المذبح ، كانت رائحة اللحم المحترق تصعد الى السماء ،وكانوا يعتبرون أن الإله الذى تقدم له هذه الذبيحة كان يستمتع كثيرا بتلك الرائحة • والذبيحة التى كانت رائحتها طيبة ذبيحة تسر الاله الذى تقدم له كثيرا وتحوز بصفة خاصة قبوله • ويأخذ بولس الرسول التعبير القديم الذى أضفى عليه الزمن قدسية خاصة — فهو يرد حوالى خمسين مرة فى العهد القديم — ويستخدمه فى التعبير عن الذبيحة التى قدمها المسيح لله • فذبيحة المسيح حازت سرور الله ، فهى ذبيحة ابتهج الله بها •

وما هى تلك الذبيحة ؟ ان ذبيحة المسيح كانت حياة الطاعة الكاملة لله ، والحب الكامل للبشر ، انها طاعة بلغت الكمال وحب لايحد ، حتى أنه قبل الصليب • ان مايقوله بولس الرسول هو هذا : « تمثلوا بالله ، وان كنتم تبتغون ان تتمثلوا بالله ، وان تحاكوا الذبيحـة التى قدمها المسيح ، فانكم لاتستطيعون أن تفعلوا ذلك الا بأن تحبوا البشر بنفس ذلك الحب المضحى الذى أحبهم المسيح به ، وان تغفروا لهم فى حب كما فعل الله • » فيطلب بولس الرسول من كل مسيحى أن يكرر فى حياته نفس موقف الله بما ينطوى عليه من حب ولطف وغفران ورحمة •

ثم يتحدث بولس الرسول عن أمر آخر • فيل ان الطهارة كانت هى الفضيلة الوحيدة الجديدة التى أدخلتها المسيحية الى العـالم • وفى الواقع أن العالم القديم كان ينظر الى الفســاد الخلقى فى النواحى الجنسية بمنتهى الاستخفاف حتى أنه لم يعتبره خطية على الاطلاق • فلقد كان من المتوقع أن تكون للرجل خليلة • وفى بعض الأماكـن مثـل كورنثوس كانت بالمعابد الكبيرة مئات الكاهنات اللاتى كن يعتبرن بغايا مقدسات ، وكان مايتكسبنه ينفـق على العنايـة بالهيكل • لقـد طالب شيشرون فى أحد خطبة قائلا : « ان كان هنالك من يظن أن الشباب يجب أن يحرم تماما من حب المحظيات ، فانه لاشك متطرف فى القسوة • اننى لا أستطيع أن أنكر المبدأ الذى ينادى به مثل هذا الشخص ، الا أن هذا المبدأ لا يناقض فقط مايسمح به العصر الذى نعيش فيه ، ولكنه يعارض أيضا عادات آبائنا وما وافقوا عليه•فمتى لم يحدث ذلك؟ ومتى أعتبر هذا ضربامن الخطأ ؟ ومتى لم يسمح بمثل ذلك ؟ ومتى كان المسموح به اليوم غير مسموح به ؟ » فيقول شيشرون ان الرومانى العاقل لايمنع الشاب من أن يعاشر البغايا • والشىء الذى يلقى أكبر ضوء على وجهة

نظر العالم القديم هو هذا : قال الاغريق أنفسهم أن سولون كان هو أول شخص سمح بدخول البغاء الى أثينا ، وبعد ذلك سمح ببناء بيوت البغايا ومن حصيلة هذه التجارة الجديدة بنوا معبدا جديدا لأفروديت ، الهة الحب . ولا يوجد ما يوضح وجهة النظر اليونانية أفضــل من أن اليونانيين لم يروا غضاضة فى أن يبنوا معبدا للالهة من حصيلة ومكاسب البغاء . فعندما نبر بولس الرسول على الطهارة الأخلاقية ، فانما كان يقيم مستوى أخلاقيا ماكان العالم الوثنى القديم يحلم به ، وهذا مادفعه لأن يستحثهم بشدة . ويضع قواعد الحياة النقية فى كل هذا التنبير . فيجب أن نتذكر نوع المجتمع الذى جاء منه هؤلاء المسيحيون ، كما وأن نتذكر نوع المجتمع الذى يحيط بهم . لا يوجد فى التاريخ كله مايضارع المعجزة الأخلاقية التى أتت بها المسيحية .

المزاح فيما يتعلق بالخطية

(أف ٥ : ١ ـــ ٨ تتمة)

ويجب أن نلاحظ تحذيرين آخرين يقدمهما بولس الرسول

١ ـــ يقول إننا يجب أن نتجنب حتى مجـــرد الحديث عن هـــذه الخطايا المشينة . فيقول إن هذه يجب الا تكون موضوع حديث أحمق أو مزاح سخيف . ويقول هيرودوتس إن الفرس كانوا ينادون بقاعـــدة للسلوك تقول : «من غير المسموح للمرء حتى مجرد الحديث عن الأشياء التى لم تكن ممارستها مسموحا بها » فأن يتحدث المرء عن شىء ، وأن يمزح بشأنه ، وأن يجعله موضوع مناقشـــاته ، فانـــه يدخله بذلك الى دائرة عقله ، ويجعله وشيك الحدوث فى حياته العملية ، وكان اعتقـــاد بولس وتحذيره هو أن هنالك بعض الأشياء التى يقول مجرد الحديث

عنها أو المزاح بشأنها الى المخاطر • ولذلك فيجب أن تنتفى هذه تماما من الحياة المسيحية • ولا زال من الأشياء المؤسفة التى تزيح الستار عن الطبيعة البشرية أن هنالك الكثير من الكتب والتمثيليات والأفلام التى لاقت نجاحا كبيرا لأنها بكل بساطة تناولت تلك الموضوعات التى تتصل بالأمور الممنوعة والقبيحة •

٢ — ويقول إن المتجددين يجب أن لايسمحوا لأنفسهم بأن يخدعهم الكلام الفارغ وماذا يعنى ذلك ؟ لقد كان البعض فى العالم القديم ، وحتى فى الكنيسة المسيحية يعلمون الناس أن ينظروا الى الخطايا الجسدية نظرة استخفاف • ففى العالم القديم كانت هناك مدرسة من مدارس الفكر تسمى الغنوسطية • وتبدأ الغنوسطية بفكرة أساسية ، فهى تبدأ بالاعتقاد بأن الروح وحده صالح وأن المادة دائما تشوبها الشوائب وهى شر ، فالمادة أساسا ، ومن طبيعتها شىء شرير ، فالروح فقط هو الذى يجب أن نهتم به ، وأما المادة فيجب أن نحتقرها احتقارا كاملا تاما • والانسان يتكون من جزئين ، فهو جسد وروح • ويرى هؤلاء أن روحه فقط هى التى تهم ، أما جسده فلا أهمية لهعلى الاطلاق • ولذلك فقد قال البعض ، أو على الأقل الغنوسطيون ان ما يفعله الفرد بجسده لايهم ، فلن يحدث شىء ان انغمس المرء فى شهوات الجسد وأشبعها • فالجسد لايهم على الاطلاق • فالانسان سيتخلص من الجسد بعد فترة وجيزة ، وروحه فقط هى التى تهم • ولذلك فقد قال أولئك الغنوسطيون أن خطايا الجسد والجنس لم تكن ذات شأن لأنها تتعلق بالجسد وليس بالروح • وحاربت المسيحية مثل هذا التعليم بأن نادت بأن الجسد والنفس كلاهم مهم ، وأن الله خلقهما ، وأن يسوع المسيح قد قدس جسدنا الى الأبد بأن أخذ لنفسه جسدا ، وأن الجسد

أيضا هو هيكل للروح القدس ، وان المسيحية تهتم بخلاص الانسان كله ، الجسد ، والنفس ، والروح .

٣ ــ كان هذا الهجوم من خارج الكنيسة ، الا أن هجوما أخطر جاء من داخل الكنيسة . فهنالك من حرفوا عقيدة النعمة . ونحن نسمع أصداء مناقشات بولس الرسول معهم فى الفصل السادس من رسالة رومية . وكانت المناقشة تجرى على النحو الآتى . « أتقول إن نعمة الله هى أعظم شىء فى العالم ؟ » .« نعم » . « اتقول إن نعمة الله واسعة جدا لدرجة تغطى كل الأخطاء والشرور والأوساخ ؟ « نعم » . « اذا ، ان كان الأمر كذلك فلنستمر فى الخطية، لأن نعمة الله يمكن أن تمحو كل اثم ، بل أكثر من ذلك ، كلما ازددنا فى الخطية كلما أعطينا نعمة الله فرصة لتقوم بعملها . فخطيتنا شىء جميل لأنها تنتج النعمة التى تقول انها أعظم شىء فى العالم » . وواجهت المسيحية هذه المناقشة بأن أصرت على أن النعمة ليست مجرد امتياز وعطية فقط ، ولكنها أيضا مسئولية والتزام . فصحيح أن حب الله يستطيع أن يغفر،بل انه يغفر فعلا ، الا أن حقيقة حب الله لنا تضع على عاتقنا مسئولية أن نسعى لأن نستحق ذلك الحب .

ان أعظم ضرر يمكن أن يؤذى به الانسان انسانا ، هو أن يدفعه الى الاستخفاف بالخطية . وكل تعليم يقلل من رعب الخطية ومخاطرها تعليم ملىء بالسموم . وقد طلب بولس الرسول من المتجددين أن لاينقادوا وأن لاينخدعوا بتلك الكلمات الفارغة التى أبعدت عن الخطية هولها ولدغتها السامة .

أبناء النور

٩ لِأَنَّ ثَمَرَ ٱلرُّوحِ هُوَ فِي كُلِّ صَلاَحٍ وَبِرٍّ وَحَقٍّ .
١٠ مُخْتَبِرِينَ مَا هُوَ مَرْضِيٌّ عِنْدَ ٱلرَّبِّ وَلاَ تَشْتَرِكُوا فِي أَعْمَالِ
ٱلظُّلْمَةِ غَيْرِ ٱلْمُثْمِرَةِ بَلْ بِالْحَرِيِّ وَبِّخُوهَا . ١٢ لِأَنَّ ٱلْأُمُورَ
الْحَادِثَةَ مِنْهُم سِرًّا ذِكْرُهَا أَيْضاً قَبِيحٌ . ١٣ وَلٰكِنَّ ٱلْكُلَّ إِذَا
تَوَبَّخَ يُظْهَرُ بِالنُّورِ . لِأَنَّ كُلَّ مَا أُظْهِرَ فَهُوَ نُورٌ .
١٤ لِذٰلِكَ يَقُولُ ٱسْتَيْقِظْ أَيُّهَا ٱلنَّائِمُ وَقُمْ مِنَ ٱلْأَمْوَاتِ فَيُضِيءَ
لَكَ ٱلْمَسِيحُ .

(أف ٥ : ٩ — ١٤)

نظر بولس الرسول الى حياة الأمم فرأها حياة فى الظلام ، ما أنه رأى المسيحية حياة فى النور . وأراد أن يقدم هذه الحقيقة بصورة واضحة . وبذلك لايقول إن الأمم أبناء الظلام ، وان المسيحيين أبناء النور ، ولكنه يقول إن الأمم ظلمة ، وان المسيحيين نور . وهنالك بعض الأشياء التى أراد بولس الرسول أن يذكرها عن النور الذى يأتى به يسوع المسيح الى البشر .

١ — فالنور ينتج الثمر الطيب . فهو ينتج الصلاح والبر والحق . والصلاح agathasune هو نوع من كرم الروح . وقد عرف اليونانيون أنفسهم البر dikaiosune بأنه « إعطاء الناس والله مايحق لهم » . والحق aletheia ليس فى فكر العهد الجديد مجرد شىء عقلى ندركه

بأذهاننا . ولكن الحق حق أخلاقى ، فهو ليس شيئا ندركه ، ولكنه شىء نفعله فالنور الذى يأتى به المسيح الينا يجعل منا مواطنين صالحين ونافعين فى هذا العالم ، فهو يجعل منا الرجال والنساء الذين لايتخاذلون عن تأدية واجبهم ، سواء أكان من نحو البشر أو من نحو الله ، ويقوينا لنفعل مانعلم انه حق . والشجرة لا تثمر ان لم يصل نور الشمس اليها، والحياة لا تثمر ان لم يلمسها نور المسيح .

٢ — والنور يساعدنا لنميز بين ما يرضى الله وما لا يرضيه . ويجب ان نختبر كل الدوافع وكل الأفعال فى نور المسيح. وهنالك دكاكين كثيرة فى شوارع بلاد الشرق القديمة بلا نوافذ . وكثيرا ما يرغب انسان فى أن يشترى قطعة قماش حريرية أو قطعة من النحاس المشغول ، واذا به قبل أن يشتريها يأخذها خارج الدكان الى الشارع ليفحصها فى ضوء الشمس ،ليكشف له النور أية عيوب قد تكون فيها . وهو لايشتريها الا بعد أن يفحصها فى النور . وواجب كل مسيحى أن يكشف كل تصرف ، وكل قرار ، وكل دافع لنور المسيح. فيجب أن نمتحن كل شىء فى هذه الحياة فى ذلك النور .

٣ — والنور يكشف الشر.وكم من مرة كانت أفضل وسيلة لتخلص المجتمع أو العالم من شر من الشرور أن نأتى به الى النور . فطالما كان الأمر يحدث سرا ، كان يستمر، ولكن عندما ندفع به الى نور النهار فانه يختفى تلقائيا . ان أضمن وسيلة لتنقية أعماق قلوبنا ولتنقية تصرفات أى مجتمع نتصل به ، هى أن نجعل كل شىء يتعرض لنور المسيح .

٤ — وأخيرا ، يقدم بولس الرسول فكرة جميلة عن النور : « كل ما أظهر فهو نور » . وهذه عبارة صعبة . الا أنه يلوح أن بولس قصد

أن يقول إن النور له فى ذاته صلة مطهرة وفى عصرنا نعلم كيف أننا قد تغلبنا على الكثير من الأمراض عندما سمحنا ببساطة لأشعة الشمس بالدخول. ونعلم اليوم عن الشفاء الذى تحمله أشعة الشمس . وهكذا أيضا نور المسيح . فيجب أن لانفكر أبدا فى نور المسيح كذلك الشىء القاسى الذى يدين الانسان ، فانه يأتى أيضا بالشفاء . فما نأتى به الى نور المسيح لا يستنير فقط ، ولكنه أيضا يتطهر . ويختتم بولس الرسول هذه الفقرة مقتبسا الكلمات : « استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضىء لك المسيح » . ويستخدم بولس الرسول هذه العبارة وكأن كل شخص يعرفها . ولا يوجد اليوم من يعرف من أين أتى بولس الرسول بهذا الاقتباس : الا أن هنالك بعض الأفكار الطريفة بهذا الشأن . لعله من المؤكد ، حيث أن هذا الاقتباس فى صيغة شعرية ، ان هذه الكلمات جزء من ترنيمة مسيحية قديمة . ولعلها جزء من احدى ترنيمات المعمودية . ويجب أن نتذكر أن أغلب المعموديات فى الكنيسة الأولى كانت معموديات كبار ، فكانت معموديات أشخاص اعترفوا بايمانهم ، بعد أن نبذوا عبادة الأوثان واقبلوا الى المسيحية . ولعل هذه هى الكلمات التى كانوا ينشدونها بينما كانوا يخرجون من الماء ، لترمز الى خروج المسيحية من ظلام العبادة الوثنية الى يقظة واشراق الحياة المسيحية . ويرى آخرون ان هذا الاقتباس جزء أيضا من ترنيمة ، تعبر عن دعوة رئيس الملائكة عندما يبوق أخيرا على الأرض . وعندئذ تتم اليقظة العظمى عندما يقوم كل البشر من نوم الموت لينالوا الحياة الأبدية فى المسيح . هذه مجرد أفكار ، الا أنه يلوح لنا وكأنه من المؤكد أننا ونحن نقرأ هذه السطور ، انما نقرأ جزءا من احدى الترانيم التى رنمتها الكنيسة الأولى .

١٥ فَٱنْظُرُوا كَيْفَ تَسْلُكُونَ بِٱلتَّدْقِيقِ لاَ كَجُهَلاَءَ بَلْ
كَحُكَمَاءَ ١٦ مُفْتَدِينَ ٱلْوَقْتَ لِأَنَّ ٱلأَيَّامَ شِرِّيرَةٌ . ١٧ مِنْ أَجْلِ
ذٰلِكَ لاَ تَكُونُوا أَغْبِيَاءَ بَلْ فَاهِمِينَ مَا هِيَ مَشِيئَةُ ٱلرَّبِّ .
١٨ وَلاَ تَسْكَرُوا بِٱلْخَمْرِ ٱلَّذِي فِيهِ ٱلْخَلاَعَةُ بَلِ ٱمْتَلِئُوا بِٱلرُّوحِ
١٩ مُكَلِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِيَّ رُوحِيَّةٍ
مُتَرَنِّمِينَ وَمُرَتِّلِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ . ٢٠ شَاكِرِينَ كُلَّ حِينٍ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِي ٱسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ لِلّٰهِ وَٱلآبِ .
٢١ خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِي خَوْفِ ٱللهِ .

(أف ٥ : ١٥ — ٢١)

يختتم بولس الرسول دعوته العامة للمتجددين بحثهم بأن يعيشوا عيشة الحكماء • فالعصر الذى يعيشون فيه عصر شرير ، ويجب أن ينقذوا أكبر قدر من الوقت من استخدام العالم له استخداما شرايرا •

ويقارن بولس الرسول بين نوعين من التجمعات : تجمعات الوثنيين واجتماعات المسيحيين •كانت اجتماعات الوثنيين اجتماعات ماجنة،وفيها انغماس فى الملذات •كان أ• س • ويلش يعظ مرة عن الآية : « امتلئوا بالروح» • فبدأ حديثة بعبارة مفاجئة قائلا : « يجب أن تملأ المرء بشىء من الأشياء » • وقد وجد الأممى سعادته بأن يملأ نفسه

بالخمر وبكل الملذات العالمية ، أما المسيحى فقد وجد سعادته فى أن يمتلىء بالروح •

ومن هذه الفقرة يمكننا أن نستجمع بعض الحقائق عن اجتماعات المسيحيين الأوائل •

١ ــ كانت الكنيسة الأولى كنيسة مرنمة • فكانت تتميز بالمزامير والترانيم والتسابيح الروحية • فكانت للكنيسة الأولى سعادة جعلت أعضاءها يرنمون •

٢ ــ وكانت الكنيسة الأولى كنيسة شاكرة • فكانوا تلقائيا يقدمون الشكر لأجل كل الأشياء وفى كل الأماكن وفى كل الاوقات •

ولقد قال يوحنا ذهبى الفم ، ذلك الواعظ العظيم الذى جاء فيما بعد، بأنه يمكن للمسيحى أن يقدم الشكر حتى لأجل الجحيم لأن الجحيم كان تحذيرا وانذارا له يحفظه فى جادة الصواب • وقد كانت الكنيسة المسيحية شاكرة لأن أعضاءها كانوا لايزالون مبهورين بأعجوبة أن محبة الله قد تدانت لتخلصهم ، وقد كانت كنيسة شاكرة لأن أعضاءها أحسوا كما لم يشعر أحد مطلقا بأنهم فى يد الله • فقد استطاعوا أن يقدموا الشكر على كل الأشياء لأنهم كانوا مقتنعين بأن كل الاشياء انما تأتى اليهم من الله •

٣ ــ كانت الكنيسة الأولى كنيسة فيها يكرم كل واحد الآخر ويحترمه • ويقول بولس الرسول إن هذا الاحترام والاكرام المتبادل هو اكرامهم واحترامهم للمسيح • فلم ينظروا بعضهم الى بعض فى ضوء حرفهم أو وظائفهم أو مكانتهم فى المجتمع ، ولكنهم رأوا أحدهم الآخر

فى ضوء المسيح ، وبذلك أكرموا كل انسان ، وأصبح الاحترام والتوقير
المتبادل شيئا سهلا .

الرابطة الثمينة

٢٢ أَيُّهَا ٱلنِّسَاءُ ٱخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا لِلرَّبِّ . ٢٣ لِأَنَّ
ٱلرَّجُلَ هُوَ رَأْسُ ٱلْمَرْأَةِ كَمَا أَنَّ ٱلْمَسِيحَ أَيْضاً رَأْسُ ٱلْكَنِيسَةِ . وَهُوَ
مُخَلِّصُ ٱلْجَسَدِ . ٢٤ وَلٰكِنْ كَمَا تَخْضَعُ ٱلْكَنِيسَةُ لِلْمَسِيحِ كَذٰلِكَ
ٱلنِّسَاءُ لِرِجَالِهِنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ . ٢٥ أَيُّهَا ٱلرِّجَالُ أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ
كَمَا أَحَبَّ ٱلْمَسِيحُ أَيْضاً ٱلْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِهَا ٢٦ لِكَيْ
يُقَدِّسَهَا مُطَهِّراً إِيَّاهَا بِغَسْلِ ٱلْمَاءِ بِٱلْكَلِمَةِ ٢٧ لِكَيْ يُحْضِرَهَا
لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَجِيدَةً لَا دَنَسَ فِيهَا وَلَا غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ
ذٰلِكَ بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً وَبِلَا عَيْبٍ . ٢٨ كَذٰلِكَ يَجِبُ عَلَى
ٱلرِّجَالِ أَنْ يُحِبُّوا نِسَاءَهُمْ كَأَجْسَادِهِمْ . مَنْ يُحِبُّ ٱمْرَأَتَهُ يُحِبُّ
نَفْسَهُ . ٢٩ فَإِنَّهُ لَمْ يُبْغِضْ أَحَدٌ جَسَدَهُ قَطُّ بَلْ يَقُوتُهُ وَيُرَبِّيهِ
كَمَا ٱلرَّبُّ أَيْضاً لِلْكَنِيسَةِ . ٣٠ لِأَنَّنَا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ مِنْ لَحْمِهِ
وَمِنْ عِظَامِهِ . مِنْ أَجْلِ هٰذَا يَتْرُكُ ٱلرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ
بِٱمْرَأَتِهِ وَيَكُونُ ٱلِٱثْنَانِ جَسَداً وَاحِداً . ٣٢ هٰذَا ٱلسِّرُّ عَظِيمٌ
وَلٰكِنَّنِي أَنَا أَقُولُ مِنْ نَحْوِ ٱلْمَسِيحِ وَٱلْكَنِيسَةِ . ٣٣ وَأَمَّا أَنْتُمُ
ٱلْأَفْرَادُ فَلْيُحِبَّ كُلُّ وَاحِدٍ ٱمْرَأَتَهُ هٰكَذَا كَنَفْسِهِ وَأَمَّا ٱلْمَرْأَةُ
فَلْتَهَبْ رَجُلَهَا . (أف ٥ : ٢٢ — ٣٣)

لايمكن لانسان يقرأ هذه الفقرة فى القرن العشرين ان يدرك كل عظمتها • لقد أصبحت النظرة المسيحية للزواج مقبولة بمرور السنين • وان كان الواقع اليوم أقل كثيرا من النموذج المسيحى، الا أن النموذج ماثل دائما فى عقل وقلب كل من يعيش فى وسط مسيحى • فالزواج يعتبر الرابطة التامة مدى الحياة للجسد، والعقل، والروح ، بين رجل وامرأة • الا أن الحال كان مختلفا تماما عندما كتب بولس رسالته • فانه يضع أمام الرجال والنساء نموذجا سطع بالطهر والنقاء فى عالم انحطت فيه الأخلاق • لقد قال أ • و • فيرال ، استاذ الدراسات الكلاسيكية الكبير: إن أحد الأمراض الرئيسية التى ماتت بسببها الحضارة القديمة كان نظرتهم الوضيعة للمرأة •

فلنلق نظرة سريعة على الحالة التى كتب بولس الرسول ازاءها هذه الفقرة وقدم هذه الفكرة •كان اليهود ينظرون للمرأة نظرة وضيعة• ففى الصلاة الصباحية اليهودية كانت هنالك عبارة يقدم فيها الرجل اليهودى شكره كل صباح لله لأنه لم يخلقه «أمميا أو عبدا، أو امرأة» •والأمر الذى نلاحظه فى كل الناموس اليهودى بشأن المرأة هو أنه لم ينظر اليها كشخص ، ولكن كشىء • فلم تكن لها حقوق قانونية على الاطلاق ، لأنها كانت ملكا لزوجها تماما يفعل بها كل ماشاء • فمن الناحية النظرية كان اليهود يقدمون أعلى مثل للزواج • فلقد قال الربييون « يجب على اليهودى أن يضحى بحياته اذا لزم حتى لا يتعبد للأوثان ، أو يقتل ، أو يزنى » « ان المذبح نفسه يسكب الدموع عندما يطلق رجل امرأة شبابه » • الا أنه فى واقع الأمر كان الطلاق سهلا بطريقة مؤسفة فى أيام الكنيسة الأولى • ونجد خلاصة شريعة الطلاق فى سفر التثنية ٢٤ : ١، «أذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها، فان لم تجد نعمة فى عينيه لأنه وجد فيها

عيب شىء وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها وأطلقها من بيتـه » •
وواضح أن الأمر كله يتعلق بتفسير الكلمة عيب شىء • فكان الربييـون المتزمتون وعلى رأسهم شماى الشهير ، يقولون ان هذه العبارة تعنى الزنا فقط ، وقالوا أنه حتى ان كانت المرأة شريرة كايزابل ، فان الزوج ينبغى أن لا يطلقها الا لعلة الزنا • أما الربييون المتحررون وعلى رأسهم هليل ، الذى تضارع شهرته شماى ، فقد فسروا هذه العبارة على أوسع نطاق • فقالوا انه من حق الرجل أن يطلق زوجته ان أفسدت عشاءه بأن وضعت فى طعامه ملحا أكثر من اللازم ، أو اذا سارت فى مكان عام دون أن تغطى رأسها ، أو اذا تحدثت الى بعض الرجال فى الشـارع أو لم تتحدث باحترام عن والدى زوجها على مسمع منهم ، أو ان كانت كثيرة الشجار أو تسبب المشاكل والمتاعب • ولقد فسر أحد الربيين واسـمه عقيبة الكلمات « فان لم تجد نعمة فى عينيه » لتعنى انه من حق الزوج أن يطلق زوجته ان راقت له امرأة أخرى أكثر من زوجتـه • وانه لمن السهل أن نرى أية مدرسة كانت أفكارها غالبة •

ولقد ازداد الأمر تفاقما بسبب حقيقتين فى الشرع اليهـودى • فأولا لم تكن للزوجة أية حقوق فى الطلاق على الاطلاق ، الا ان أصيب زوجها بالبرص أو أنكر الايمان أو اشتغل بمهنة تدعو للتقذذ • وبوجه عام يمكننا أن نقول إنه بحسب الشرع اليهودى كان الزوج يستطيع أن يطلق امرأته لأى سبب من الأسباب ، أما الزوجة فلم يكن فى استطاعتها أن تطلق زوجها لأى سبب • فالمرأة بحسب شرع الزواج اليهودى كانت مستضعفة ولا حول لها ولا طول • وثانيا ، كانت خطوات الطلاق سهلة بطريقة رهيبة • فلقد قالت الشريعة الموسوية إنه إن أراد رجل أن يطلق زوجته فليعطها وثيقة طلاق • وكانت الوثيقة تقول : « ليكن هذا منى

اليك وثيقة طلاق ، وخطابا به تتصرفين من منزل الزوجية ، ومستندا به تتحررين لتتزوجي من أى رجل تشاءين » وكل ما كان مطلوبا من الرجل أن يقوم به هو أن يسلم وثييقة الطلاق هـذه وقد كتبها أحـد الربيين كتابة صحيحة الى زوجته فى محضر اثنين من الشـهود ، وبذلك يصبح الطلاق تاما • والشرط الوحيد الآخر هو أن يرد الصداق للزوجة •

ففى وقت مجىء المسيحية كانت رابطة الزواج فى خطر ، حتى فى الديانة اليهودية •ولقد كان ذلك الخطر عظيما لدرجة هددت فكرة الزواج نفسها ، لأن البنات اليهوديات أحجمن عن الزواج لأن مكانة الزوجـة كانت مزعزعة •

الرابطة الثمينة

(أف ٥ : ٢٢ ــ ٣٣ تتمة)

كان وضع الزواج فى العالم اليونانى أسوأ • فلقد كان البغاء جزءا أساسيا من حياة اليونانيين ، حتى أعتبر ديموستين ان قاعدة الحيـاة العامة والمقبولة هى . « عندنا المحظيات للمتعـة ، وعنـدنا السريات للمعاشرة اليومية ، وعندنا الزوجات ليكون لنا أبناء شرعيون،وليكون لنا مشرف أمين على كل شـئون بيوتنا » • وكانت المرأة التى تنتمى الى الطبقات المحترمة فى الأوساط اليونانية تعيش حياة لها طابع العـزلة التامة • فهى لم تشارك فى الحياة العامة ، ولم تظهر فى الشوارع منفردة مطلقا ، بل انها لم تظهر على المائدة أو فى المناسبات الاجتماعية • لقـد كان لها سكنها الخاص الذى لم يدخله سوى زوجها • وكان الهدف كما عبر عنه زينوفون » ، ان ترى أقل مايمكن وأن تسمع أقل مايمكن وأن تسأل أقل مايمكن » • ولقد كانت تنشأة المرأة اليونانية تجعل الصداقة

والمشاركة فى الزواج شيئا مستحيــلا ، فكان الرجــل يجــد متعتـــه وصداقته خارج الزواج • قال سقراط : « أهنالك من تأتمنه على الأمور الهامة أكثر من زوجتك ــ ولكن أهنالك من تتحدث اليه أقل منها ؟ » كان فيروس رفيق الامبراطور العظيم ماركس أوريليوس ، واذ عتبت عليه زوجته مخالطته لنساء أخريات ، كانت اجابته هى أنها يجب أن تتذكــر ان كلمة زوجة انما تعنى لقبا للشرف وليس للمتعة • وكل أسلوب الحياة اليونانية كان يجعل الشركة بين الرجل والزوجـــة شيئا يــكاد أن يكون مستحيلا•فكان الرجل اليونانى يتوقع من زوجته أن تدبر شئون منزله ، أن تهتم بأبنائه الشرعيين ، الا أنه كان يجد متعته وشركته فى مكان آخر•

ومما زاد من تفاقم الأمور انه لم يكن هنالك بين اليونانيين اجراء قانونى للطلاق • فكما قال أحدهم ، ان الطلاق لم يكن لسبب ســـوى النزوات •والضمان الوحيد الذى كان للزوجـــة انما هو حصـــولها على الصداق • ففى اليونان ، كان البيت وكانت الحياة العائلية أمرين لا وجود لهما تقريبا ، والوفاء الزوجى لم يكن له وجود على الاطلاق •

وفى روما فى أيام بولس الرسول كان الأمر أشد سوءا • فانحلال روما كان يدعو فعلا للأسى • فلمدة الخمسمائة سنة الأولى من تاريـــخ الجمهورية الرومانية لم تكن هنالك حالة طلاق واحـــدة • وأول حــــالة سجلها التاريخ هى تلك المتعلقة بسبيريوس كارفيليوس روجا ســـنة ٢٣٤ ق • م • الا أنه فى عصر بولس الرسول كانت الحيـــاة العائلية فى الدولة الرومانية حطاما • فقد قال سنكا ان النساء يتزوجن ليطلقن وكن يطلقن ليتزوجن • ولم يكن من المألوف فى روما أن يحسب الرومانيون السنوات بالأرقام ، ولكنهم كانوا يطلقوا عليها أســـماء المستشارين • ويقول سنكا ان النساء يحســـبن سنيهم بأســـماء أزواجهن • ويحدثنا

مارشيال الشاعر الرومانى عن سيدة كان لها عشرة أزواج على التوالى • ويحدثنا جوفينال عن واحدة كان لها ثمانية أزواج فى خمس سنوات ، ويقول القديس ايرونيموس عن حقيقة واقعة حدثت فى روما وهى أنه كانت هنالك سيدة تزوجت لزوجها الثالث والعشرين وكانت هى بالنسبة له الزوجة الحادية والعشرين • بل اننا لنجـد سـيدة تطالب الامبراطور الرومانى أوغسطس بأن يطلق رجل زوجته المدعوة السيدة ليفيا ليتزوج منها اذ قد حملت منه • بل اننا نجد أنه حتى شيشرون ، فى سنه المتقدمة يطلق زوجته تيرانتيا ليتزوج من فتاة آل لها مـيراث ، وكان هو وصايـا لها ، ليأخذ ميراثها ، ويتمن من دفع ديونه •

وهذا لايعنى أن الاخلاص لم يكن موجودا • فيحدثنا سوتونيوس عن سيدة رومانية تدعى مالونيا التى فضلت الانتحار على أن تخضع لرغبات الامبراطور طيبيريوس • الا أننا لا نبالغ عندما نقول إن كل جو العالم القديم كان جوا يفوح بالزنا • وكانت الطهارة ضحية تقـــدم المدينة • وكانت العلاقة الزوجية فى طريقها الى الاضمحلال التام •

هذه هى خلفية كلمات بولس الرسول • فعندما كتب بولس الرسول هذه الفقرة الرائعة لم يكن يذكر أو يكرر وجهة النظر التى كان يقرها كل انسان • لقد كان يدعو الرجال والنساء الى أمانة جديدة ونقاء جـديد وشركة جديدة فى الحياة الزوجية • وانها لحقيقة تاريخية بسيطة ، انه لم ينتفع أحد بمجىء المسيح بمثلما انتفعت المرأة فيما عدا الأطفال ، كما سنرى • فمهما تحدثنا عن التأثير النقى الذى أتت به المسيحية الى الحياة البيتية فى العالم القديم ، فلن يكون كلامنا مبالغا فيه •

نمو تفكر بولس الرسول

(أف ٥ : ٢٢ ــ ٣٣ تتمة)

فى هذه الفقرة نجد فكر بولس الرسول الحقيقى بشأن الزواج • لقد كتب أمورا عن الزواج تربك تفكيرنا وتحيرنا ؛ وهى أمور ، نقول بأمانة ، إننا كنا نتمنى لو لم يكتبها أبدا • وأنه لمن المؤسف أن هذه هى العبارات التى كثيرا مايقتبسونها للتعبير عن رأى بولس الرسول بشأن الزواج • والأصحاح السابع من رسالة كورنثوس الأولى من أغرب الفصول فى كل كتابات بولس الرسول • ويتحدث فى هذا الأصحاح عن الزواج وعن العلاقة بين الرجل والمرأة • والحقيقة التى تجابهنا ونحن نقرأ هذا الأصحاح هى أن بولس الرسول يقول إن الزواج مسموح به لتجنب ما هو أسوأ منه ؛ وليس لأى سبب غير ذلك • فهو يقول : « ليوف الرجل المرأة حقها الواجب وكذلك المرأة أيضا الرجل » (١ كو ٧ : ٢) وهو يسمح للمرأة التى مات زوجها بأن تتزوج ثانية ، الا أنه يفضل أن تبقى دون زواج (١ كو ٧ : ٣٩ ــ ٤٠) • فهو يفضل لغير المتزوجين وللأرامل أن لا يتزوجوا • « ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا • لأن التزوج أصلح من التحرق » (١ كو ٧ : ٩) • فتعليم هذا الأصحاح الغريب الجارح ، دون رتوش ، هو أن الزواج أفضل من الزنا وهذا هو هو كل ما يمكن أن يقال عنه •

وهنالك سبب دفع بولس الرسول لأن يكتب هذه الكلمات • فلقد عبر عن نفسه بهذه الصورة عندما كتب رسالة كورنثوس الأولى لأنه كان يتوقع يوميا ، وفى أية ساعة ، مجىء المسيح ثانية • ولذلك فكان اعتقاده الراسخ أن الرجال والنساء ينبغى عليهم أن لايرتبطوا بأية ارتبطات أرضية ، بل أن يركزوا على استخدام الوقت القصير المتبقى فى

الاستعداد لمجىء سيدهم .« فأريد ان تكونوا بلا هم.غير المتزوج يهتم فى ما للرب ، كيف يرضى الرب . وأما المتزوج فيهتم فى ما للعالم ، كيف يرضى امرأته » . (١ كو ٧ : ٣٢ و ٣٣) . فعندما كتب بولس الرسول كورنثوس الأولى الأصحاح السابع فانما كان ينبر فى الواقع على أن المرء يجب أن يحب يسوع المسيح أكثر من حبه لأبيه أو أمه أو زوجته أو ابنه ،وأن يكون ولاؤه للمسيح له المكانة الأولى فوق أعز ولاء أرضى . وكان يفعل ذلك لأنه يؤمن أن المسيح سيأتى ثانية فى أية لحظة .

الا أنه فيما بين كورنثوس الأولى وأفسس هنالك فترة من الزمن ربما حوالى تسع سنوات . وخلال هذه السنوات التسع تحقق بولس الرسول ان المجىء الثانى سوف لايكون قريبا كما كان يعتقد ، وأنه هو وشعبه لم يكونوا يعيشون فى الواقع فى حالة مؤقتة ، قرب انتهاء العالم، ولكنما فى حال قد يستمر . واننا لنجد تعليم بولس الرسول الحقيقى بشأن الزواج فى رسالة أفسس ، حيث نجد الزواج المسيحى أغلى علاقة فى الحياة ، والتى لا يوازيها الا العلاقة بين المسيح والكنيسة . فإن شئنا أن نكون منصفين لبولس الرسول ، فلنستق تعليمه عن الزواج من هذا الفصل الكتابى ، وليس من ذلك الفصل الذى كتبه قبل ذلك فى الرسالة الى كورنثوس . ان الأصحاح السابع من رسالة كورنثوس الأولى يقدم التعليمات التى تصلح لحالة الطوارىء والأزمات ، عندما كان بولس الرسول يعتقد انه لم يتبق للعالم سوى أيام معدودات . وتقدم لنا رسالة أفسس رأى بولس الرسول بشأن الزواج كجزء من الموقف الدائم للحياة المسيحية .

وانه لمن المحتمل أن تكون فقرة رسالة كورنثوس متأثرة باختبار

بولس الرسول الشخصى ، فلعل بولس الرسول كواحد من اليهـــود الغيورين فى عصره ، كان عضوا فى السنهدريم . فهو عندما يتحدث عن موقفه من المسيحين يقول : « ولما كانوا يقتلون ألقيت قرعة بذلك » . (أ ع ٢٦ : ١٠) . ويلوح أيضا أن أحد مؤهلات العضوية فى السنهدريم كان الزواج ، ولذلك فلابد أن بولس الرسول كان متزوجا . وهو لايشير الى زوجته أبدا .فلماذا ؟ ربما كان ذلك لأنها هجرته عندما أصبح مسيحيا وتقولت ضده . ولعله عندما كتب رسالة كورنثوس الأولى كان يتحدث ، لا من منطلق توقع مجىء المسيح ثانية فورا فقط، ولكنما أيضا من منطلق الموقف الذى فيه وجد علاقته الزوجية مشكلة من أعظم مشـــكاله وقد كسرت قلبه بكيفية مؤلمة . ولعل ظروف العالم كما رآها فى ذلك الوقت ، وظروف الزواج كما اختبرها عندئذ ، دفعته أن الزواج يعوق المسيحى . ولكنه من المؤكد أنه بمرور السنين أدرك فى الزواج عـــلاقة لا يمكن أن تشبهها الا بالعلاقة بين المسيح والكنيسة .

اساس المحبة

(أف ٥ : ٢٢ ــ ٣٢ تتمة)

يكون التنبير أحيانا فى هذه الفقرة بعيدا تماما عن موضعه .فهنالك من يقرأون هذه الفقرة وكأن جوهر رسالتها هو خضوع الزوجة للزوج . والعبارة الواحدة « لأن الرجل رأس المرأة » تقتبس أحيانا فى معزل عن بقية الفقرة ، الا أن هذه الفقرة تحوى ما هو أكثر من هذه الفكرة بكثير . وأساس هذه الفقرة ليس هـــو السيطرة ، ولكنـــه المحبة . ففى هـــذه الفقرة يقدم بولس الرسول بعض الصفات التى تتصف بها محبة الزوج لزوجته .

١ — ينبغى ان تكون هذه المحبة مضحية • فيجب أن يحب زوجته كما أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها • فـــهذه المحبة يجب أن تخلو تماما من الأنانية • لقد أحب المسيح الكنيسة ، لا لتقدم له الكنيسة بعض الأشياء ، ولكن ليقدم هو بعض العطايا للكنيسة • ويقدم يوحنا ذهبى الفم هذه الفقرة فى صورة مطولة فيقول : « أرأيت الى مقـــدار الطاعة؟ فاسمع اذن عن مقدار المحبة • أتود أن تطيعك زوجتك كماتطيع الكنيسة المسيح ؟ اذن فاهتم بها كما يهتم المسيح بالكنيسة • وان لزم الأمر أن تقدم حياتك لأجلها ، أو أن يتقطع جســـدك اربا اربا ، أو أن تتحمل ما لزم أن تتحمل ، فلا ترفض أن تفعل ذلك •• لقـــد أخضـــع الكنيسة عند قدميه من فرط عنايته ورعايته ، لا بالتهديد ولا بالارهاب أو ما يشبه ذلك • فلتعامل زوجتك هكذا • « فالرجل رأس المرأة ـــ هـــذا حق،وهذا ما قاله بولس الرسول ، الا أنه قال أيضا أن الزوج يجب أن يحب زوجته كما أحب المسيح الكنيسة،بحب لايمارس الضغط والارهاب، ولكنما يضحى دائما بأى شىء فى سبيل خيرها •

٢ ـــ ويجب ان تكون محبة مطهرة • لقد طهر المسيـــح الكنيســـة وقدسها بغسل الماء ، فى اليوم الذى فيه اعترف كل عضـــو من أعضـــاء الكنيسة بايمانه • ولعل بولس الرســـول كان يفكر فى احـــدى العادات اليونانية •فمن عادات اليونان أن العروس كانت تستحم قبل الزواج فى مجرى أحد الأنهار المكرس لأحد الآلهة • ففى أثينا مثلا كانت العروس تستحم فى مياه المجرى المسمى كاليرهو الذى كان مكرسا للالهة أثين • فكانت تتطهر من أى نجاسة بالماء المقدس • وبفكر بولس الرســـول فى المعمودية • فبغسل المعمودية وبالاعتراف بالايمان ، أقام المسيح لنفسه كنيسة ، مغسولة ومطهرة ومقدسة ، حتى لم يصبح فيها أى عيب ولم

تتبق أية شائبة • ان أى حب يجذب المرأة الى أسفل هو حب مغشوش• وأن أى حب يقود الى الخشونة بدلا من الرقة فى الشخصية ، وأى حب يستلزم الخداع ، وأى حب يضعف الأخلاق ، ويجعل من المرء شخصا أسوء ليس حبا على الاطلاق • ان الحب الحقيقى هو أعظم مايمكن أن يطهر وينقى الحياة بجملتها •

٣ ـ انه يجب أن يكون حبا حانيا • فيجب على الرجل أن يحب زوجته كما يحب جسده • فانه يغذى جسده ويعتنى بـه ، كما يقـول بولس الرسول • والحب الحقيقى يهتم دائما بمن يحب فهو لا يحب لكى ينتزع الخدمات من الطرف الآخر ، ولا يحب ليضمن راحته الجسدية ، ولا يحب لراحته الشخصية ، ولكنما يهتم بمن يحب • لابد أن الأمور لاتكون فى نصابها عندما يعتبر رجل زوجته ، سواء أكان يعنى ذلك أولا يدريه ، كمجرد الشخص الذى يجهز له طعامه ويغسل ملابسـه وينظف بيته ويربى أولاده • فهو يجب أن لا يعتبرها وكأنها خادمة ، ولكن كأنها ذلك الشخص الذى يجب عليه أن يحنو عليه ويعتنى به •

٤ ـ انه حب لاينفصم • فلأجل هذا الحب يترك الرجل أباه وأمه ويقترن بزوجته ويصبح الاثنان جسدا واحدا • واتحاد الرجل بزوجته يماثل اتحاد أعضاء الجسد بعضا ببعض • والرجل لايفكر فى الانفصال عنها بمثل ما لا يخطر بباله أن يمزق جسده •هنـا نجد مثالا أعلى فى الزواج ، فى عصر كان الرجال والنساء يغيرون فيه شركاء حياتهم بقليل من التفكير والروية وكأنما المرء يغير ملابسه •

٥ ـ والعلاقة كلها كما يعبر عنها بولس الرسول انما هى فى الرب •

فهى علاقة نحياها فى محضر الرب ، نحياها فى جو الرب ، فالرب يتحكم فى كل حركة فينا ، وكل قرار من قراراتها يتخذ فى الرب • ففى البيت المسيحى ، يسوع هو الضيف الذى لايغيب ذكره عن البال ، وان كان لايرى • فالزواج المسيحى ليس بين طرفين ، ولكن بين ثلاثة ، والثالث هو المسيح •

ٱلأَصْحَاحُ ٱلسَّادِسُ

الأبناء والآباء

١ أَيُّهَا ٱلأَوْلَادُ أَطِيعُوا وَالِدِيكُمْ فِي ٱلرَّبِّ لِأَنَّ هٰذَا حَقٌّ .
٢ أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ . ٱلَّتِي هِيَ أَوَّلُ وَصِيَّةٍ بِوَعْدٍ . ٣ لِكَيْ
يَكُونَ لَكُمْ خَيْرٌ وَتَكُونُوا طِوَالَ ٱلأَعْمَارِ عَلَى ٱلأَرْضِ .
٤ وَأَنْتُمْ أَيُّهَا ٱلآبَاءُ لَا تُغِيظُوا أَوْلَادَكُمْ بَلْ رَبُّوهُمْ بِتَأْدِيبِ الرَّبِّ
وَإِنْذَارِهِ .

(أف ٦ : ١ — ٤)

ان كان الايمان المسيحى قد أنجز الكثير للمرأة ؛ فقد أنجز ما هو أكثر بالنسبة للأطفال . ومن الثابت أن الأطفال محبوبون فى أى مدنية من المدنيات ، الا أنه من الثابت أيضا أنه فى العصور السابقة للمسيحية وفى المدنيات الوثنية كان هنالك جمود وقسوة على الأطفال من المستحيل أن توجد حيث سادت المسيحية . ففى المدنية الرومانية المعاصرة لبولس الرسول كانت هنالك سمات معينة جعلت حياة الأطفال فى خطر .

١ — كان هنالك المبدأ الرومانى patria potestas —الذى يعنى سلطان الأب . وبحسب هذا المبـدأ الرومانى كان للأب سلطانه المطلق

على أسرته ٠فكان يمكنه أن يبيعهم كعبيد ، وكان يمكنه أن يدفعهم للعمل في زراعته مكبلين بالأغلال ، وكان يمكنه أن يطبق القانون كما يشاء لأن القانون كان فعلا طوع أمره ، فيعاقب كما يشاء بل كان من حقه أن ينفذ حكم الاعدام في ابنه • وبالاضافة الى ذلك فان سلطان الأب الرومانى كان يمتد الى حياة الابن بجملتها ، مادام على قيد الحياة • فالابن الرومانى لايبلغ أبدا سن الرشد ، حتى ولو صار رجلا كبيرا ، أو لو أصبح حاكما للمدينة ، أو لو توجته الدولة بما يستحق من شرف • فبرغم كل هذا يبقى تحت سلطان والده المطلق •ويقول بيكر : « ان الخطأ الكبير ينطوى على أن الأب الرومانى كان يعتبر القوة التى تفرضها الطبيعة كواجب من واجبات الأكبر سنا أن يقوم بارشادوحماية الولدفىطفولته، واذا به يتعدى ذلك الى حرمانه من حريته ، فيشمل حياته وموته ، ويشمل كل كيانه » • واقرارا للواقع نقول إنه نادرا ما طبق والد سلطانه هذا الى أقصى حدوده ، لأن الرأى العام ماكان يسمح بذلك • الا أنه من الثابت ، أن هنالك حوادث تاريخية محدودة فيها حكم آباء رومانيون على أبنائهم بالموت ونفذوه • والحقيقة الباقية هى أن الأطفال فى عصر بولس الرسول كانوا تحت تصرف وسلطان أبيهم المطلق •

٢ ــ كانت هنالك عادة « عرض الأطفال » • فعندما كان طفل يولد ، كانوا يضعونه عند أقدام والده فان حنا الوالد عليه ورفعه ، فان هذا يعنى اعترافه به ورغبته فى أن يبقى الطفل على قيد الحياة • أما اذا استدار وسار فى سبيله ، فان هذا يعنى أنه يرفض الاعتراف بالصبى ، وأن الطفل يمكن أن يلقى به خارجا • فهنالك خطاب يعود بنا الى السنة الأولى قبل الميلاد من رجل يدعى اليرابون الى زوجته أليس ، وكان قد ذهب الى الاسكندرية وسطر هذا الخطاب الذى يتعلق بالشئون المنزلية :

« من ايلاريون الى أليس زوجته ، تحياتى القلبية لك ، ولعزيزى بيروس وأبولوناريون • أرجو أن تعلموا أننـا لا زلنـا حتى الآن فى الاسكندرية • لا تنزعجوا اذا عـاد الجميع وبقيت أنا بالاسكندرية • التمس وأرجو أن تعتنوا بالطفل الصغير وعندما نتسلم أتعابنا سأرسل اليكم • فان رزقت بطفل ــ وأنا أتمنى لك حظا حسنا ــ فان كان ذلك الطفل ولدا ، فليحيا ، أما ان كانت بنتا ، فألقوا بها الى الخارج • لقد طلبت من أفروديسياس أن يقـول لى « لا تنسـنى » كيف يمكننى أن أنساكم ؟ لذلك ألتمس منكم أن لا تقلقوا » •

أنه خطاب غريب ، فهو يفيض بالعواطف والمحبة ، ولكنه جامد تماما من نحو الطفل الذى قد يولد • فالطفل الرومانى كان دائمـا فى خطـر الرفض والالقاء خارجا • وكان هذا الخطر على أشده فى أيـام بولس الرسول • لقد رأينا كيف انهارت الرابطة الزوجية وكيف غير الرجال والنساء شركاء حياتهم بسرعة مزعجـة ، وفى مثل هـذه الأحوال كانوا يعتبرون ميلاد طفل من الأطفال نوعا من سوء الطالع • وقلت المواليد جدا لدرجة أن الحكومة الرومانية أصدرت فعلا قانونا يحـد كثيرا من القيمة التى يمكن أن يرثها زوجان ليس لهما أطفـال • والأطفـال غير المرغوب فيهم كانوا يتركونهم فى الساحة الرومانية العامة حيث يصبحون ملكا لأى من يهتم بأن يلتقطهم • وكان هنالك من يجمعونهم فى المساء ويطعمونهم ليبيعوهم عبيدا ، أو يزودون بهم ماخورات روما • ولا يمكننا أن نتصور مثل هذه الأمور اليوم ، لا لأننا نعيش مدنية مسيحية تماما ، ولكن لأن المبادىء المسيحية قد أثرت على المدنية الحديثة لدرجة لايمكن فيها تصور مثل هذه الأشياء •

٣ ــ والمدنية القديمة لم ترحم الطفل العليل أو المصـاب بعيب

خلقى• فقد كتب سينكا معبرا عما اعتبره شيئا مألوفا عاديا ، وقد كان فعلا كذلك : «نحن نذبح الثور الهائج ، ونقصف رقبة الكلب المسعور ، ونقتل الخروف المريض لئلا يعدى القطيع ، ونغرق الطفل العليل وذا العيب الخلقى » • فلم يكن هنالك أمل فى الحياة لطفل كان يولد ضعيفا أو كان يولد بعيب خلقى •

هذا هو الحال الذى كان عليه العالم عندما كتب بولس نصيحته للأبناء والآباء • فلو سئلنا ماذا استفاد العالم من المسيحية ، فانه يمكننا أن نبرز التغير فى مكانة المرأة ومكانة الأطفال ، وهذه اجابة تامة لا يمكن انكارها •

ان وصية بولس الرسول للابناء هى أن يطيعوا الوصية وأن يكرموا والديهم • ويقول ان هذه هى أول وصية • وقد يعنى أن هذه هى أول وصية يتعلم الطفل المسيحى أن يستظهرها وأن يحفظها عن ظهر قلب • والاكرام الذى يطلبه بولس ليس هو مجـــرد اكرام الكلام • فالطريق الوحيدة لاكرام الوالدين هو طاعتهم واحترامهم ، وعدم ايلامهم على الاطلاق •

الا أن بولس يرى أن هنالك جانبا آخر للموضوع • فهو يقـــول للآباء أنهم يجب أن لايدفعوا أبناءهم الى الغضب • ويقول بنجل إن الوصية موجهة بصفة خاصة الى الآباء ، لأن الامهات لديهن نـــوع من الصبر الالهى ، أما « الآباء فانهم أكثر تعرضا للتأثر بالغضب » • ومن الغريب أن بولس يكرر هذه الفكرة وربما بصيغة أكمل فى رسالة كولوسى ٣ : ٢١ فيقول « أيها الآباء لاتغيظوا أولادكم ، لئلا يفشلوا » • فيقول

بنجل أن الداء المتفشى بين الشباب هو « الروح المنكسرة » أى الفشل الذى يتسبب من استمرار النقد والتوبيخ والتأديب الصـارم ، ويرى ديفيد سميث أن بولس الرسول قد كتب ذلك من عمق اختباره الشخصى المرير . فيقول : « هنا نجد نبضات عاطفة شخصية ، ويلوح أن قلب ذلك الأسير المتقدم فى الأيام قد عاد الى الماضى ليتذكر أيام الطفـولة الخالية من المحبة . فاذ قد تربى فى جو المحافظة على التقاليد بصرامة وشدة اختبر القليل جـدا من الرقة ، وكان نصيبـه من الصرامة كبيرا فعرف داء الشباب ، الروح المنكسرة » .

ويمكننا أن نسىء الى أطفالنا بطرق ثلاثة :

١ ــ فيمكننا أن ننسى أن الأمور تتغير ، وأن عـادات جيـل من الأجيال ليست هى عادات الجيل الآخر . وتحدثنا الينور موردونت عن كيف أنها منعت ابنتها الصغيرة من أن تفعل شيئا قائلة ، « لم يسمح لى أبدا أفعل هذا عندما كنت فى سنك » . فأجابتها الطفلة الصغيرة قائلة ، « ولكن يجب أن تتذكرى ، أماه ، انك كنت عندئذ ، ولكننى أنا أعيش اليوم» . وقد يتسبب الوالدون فى كثير من الضرر بأن ينسبوا أن الأيام تتغير والعادات تتبدل .

٢ ــ ويمكننا أن نتسلط بدرجة يصبح فيهـا نفس هـذا التسلط اساءة لتربية أبنائنا وتنشئتهم فاذ نمسك بزمام أولادنا لمدة طويلة فان هذا يعنى ببساطة أننـا لانثق فيهم ، واذ لانثق فيهم فان هـذا يعنى ببساطة أننا لانثق فى الكيفية التى بها دربنا نحن أبناءنا .انه من الأفضل أن نخطىء بأن نعطيهم مزيدا من الثقة ، بدلا من أن نخطىء بأن نفرض عليهم مزيدا من السلطة .

٣ ــ وقد ننسى واجب التشجيع • وكان والد لوثر صارما جدا ، بلغت صرامته درجة القسوة • وكان لوثر يقــول : « صحيح أنــك اذا استغنيت عن العصا فانك تفسد الطفل ، ولكن ضــع تفاحة الى جــوار العصا لتعطيها له عندما يحسن » • ويحدثنا بنيامين وست عن الكيفية التى أصبح بها رساما ، فيقول إنه فى يوم من الأيام تركته أمه فى المنزل وحملته مسئولية أختــه الصغيرة سالى • وفى غيبــة أمه اكتشف بعض زجاجات الحبر ذات الألوان المختلفة وابتداء يرسم صــورة سالى • وبينما هو يفعل ذلك أفسد الكثير من الأشياء وتساقطت بقع الحبر فى أماكن كثيرة • وعادت أمه ورأت ما أفسده ابنها ، ولكنها لم تقل شيئا • والتقطت الورقة ونظرت للرسم وقالت ، « غريب ، انها سالى ؟ » وحنت على ابنها وقبلته • ومن وقتها أصبح بنيامين وست يقول : « ان قبلة أمى جعلت منى رساما » • لقد أنجز التشجيع أكثر بكثير مما يمكن للتقريع أن ينجزه •

وتقول أنابوكان إن جدتها كانت تكرر عبارة محببة الى نفسها حتى وهى عجوز « لاتدفعوا الشباب للفشل أبدا » •

فكان بولس يرى أن الأبنــاء يجب أن يحتــرموا والديهم ، الا أن الوالدين يجب أن لايدفعوا أبناءهم الى الفشل أبدا •

السادة والعبيد

٥ أَيُّهَا الْعَبِيدُ أَطِيعُوا سَادَتَكُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ بِخَوْفٍ وَرِعْدَةٍ فِي بَسَاطَةِ قُلُوبِكُمْ كَمَا لِلْمَسِيحِ ٦ لاَ بِخِدْمَةِ الْعَيْنِ كَمَنْ يُرْضِي النَّاسَ بَلْ كَعَبِيدِ الْمَسِيحِ عَامِلِينَ مَشِيئَةَ اللهِ مِنَ الْقَلْبِ ٧ خَادِمِينَ

بِنِيَّةٍ صَالِحَةٍ كَمَا لِلرَّبِّ لَيْسَ لِلنَّاسِ : ٨ عَالِمِينَ أَنْ مَهْمَا عَمِلَ
كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَيْرِ فَذٰلِكَ يَنَالُهُ مِنَ الرَّبِّ عَبْداً كَانَ أَمْ حُرّاً .
٩ وَأَنْتُمْ أَيُّهَا السَّادَةُ افْعَلُوا لَهُمْ هٰذِهِ الْأُمُورَ تَارِكِينَ التَّهْدِيدَ
عَالِمِينَ أَنَّ سَيِّدَكُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً فِي السَّمٰوَاتِ وَلَيْسَ عِنْدَهُ
مُحَابَاةٌ .

(أف ٦ : ٥ — ٩)

وعندما خاطب بولس الرسول العبيد ، فلابد أنــه وجــه حديثه لجمهور ضخم من الكنيسة المسيحية • لقد حسب البعض فوجدوا أنهكان فى الامبراطورية الرومانية ٠٠٠ر٠٠٠ر٦٠ من العبيد :• ففى أيام بولس الرسول ، أصاب المواطنين الرومانيين نوع من البطالة المخيف والقاتل • لقد كانت روما سيدة العالم ، ولذلك فقد أحس المواطن الرومانى بأنه لايليق به أن يشتغل• فكان العبيد يقومون فى الواقع بكل الأعمال• حتى الأطباء والمدرسون كانوا من العبيد ، بــل ان أعز أصــدقاء الأباطرة ، وسكرتيريهم الذين كانوا يباشرون مراسلاتهم وخطاباتهم والالتماسات المقدمة اليهم وماليتهم ، كانوا من العبيد • وكثيرا ما كنا نجد ســادة طيبين ، بل وكثيرا ما كنا نجد أعمق روابط الولاء والمودة بين أحد السادة وعبده •فقد كتب بلينى الى أحد أصدقائه يقول إنه يحس بألم شديــد لأن أحد عبيده المحبوبين جدا قد مات • ويقول إنه يجد عزاءه فى شيئين وان كانا لايكفيان من حزنه : « لقد كنت دائما على استعداد لأن أطلق سراح عبيدى (لأن موتهم لم يكن بعيد الحدوث ، ان كانوا قد عاشوا مدة طويلة تكفى بأن يطلق سراحهم من بعدها) ، والأمر الثانى ، أننى كنت أسمح لهم بأن يجهزوا مايشبه الوصية ، وكنت أحقق لهم رغبتهم

بكل دقة كما لو كانت وصيتهم تصلح مستندا قانونيا » • هنا نرى سيدا طيبا يتحدث •

الا أن حياة العبيد في أساسها وجوهرها كانت حياة حزينة مخيفة فبحكم القانون لم يكن العبد شخصا بل شيئا • فيقول أرستطاليس إنه لايمكن أن تكون هنالك صداقة بين سيد وعبد ، لأن السـيد والعبـد لايربطهما شيء من التشابه ؟ « فالعبد انما هو آلة حية كما أن الآلة انما هي عبد لا حياة فيها » فلم يكن العبد أفضل من الآلة ، بل لم يكن يفوقها في الحقوق • وعندما كتب فارو عن الزراعة ، قسم أدوات الزراعة الى ثلاث مجموعات : الناطقة والغير ناطقة والبكماء • والناطقة هي العبيد ، والغيرناطقة هي الغنم ، والبكماء هي العربات • فالعبد لايفوق الحيوان الا في كونه يستطيع الكلام • ويقدم كاتو نصيحة لرجل اشترى مزرعة فيقول له إنه يجب أن يمر فيها وأن يلقى خارجا كل شيء تجاوز مرحلة الاستخدام ، ويقول إن العبد العجوز أيضا يجب أن يلقى به خارجا مع الزبالة ليموت جوعا • ويعتبر تبذيرا أن يعطى العبد المريض نفس كميات الطعام المعتادة ، فالعبد العجوز أو المريض انما هو أداة مكسـورة أو قليلة الفائدة • ولذلك فالقانون كان صريحا واضحا •

ويقول غايس ، رجل القانون الروماني ، في كتابه الأسس : «نلاحظ أنه مبدأ مقبول ومعمول به في كل مكان أن للسيد سلطان الحياة والموت على عبده « واذا هرب عبد من سيده فان أهون ماكان يحدث له ، هو أن يكوى على جبهته الحرف الأول من الكلمة الدالة على الهـرب ، ليعرف الجميع أنه سبق له أن هرب• الا أنه كان يمكن أن يحدث له ما هو أسوأ من ذلك بكثير اذ كان يمكن أن يقتل • والشيء المفزع للعبد ، هو أنه كان دائما تحت تصرف نزوات سيده • فقد صلب أوغسطس عبدا لأنه قتل

طائرا صغيرا مستأنسا ، وطوح فيدايوس بوليو بعبد حى لبراثن السمك المفترس فى بحيرته الخاصة لأن اناء من الكريستال سقط منه وانكسر .

ويحدثنا جوفنال عن سيدة رومانية أمرت بأن يقتل عبد ، لا لأى سبب سوى لأنه أثار غضبها . وعندما احتج زوجها قالت : « أتقول إن العبد رجل؟أتقول إنه لم يخطىء ؟وليكن كذلك . الا أن ارادتى وأمرى هما أن يقتل . ولتكن ارادتى هى الأساس » . أما الشابات من الاماء اللاتى كن فى خدمة سيداتهن ، فكثيرا ماكان شعرهن ينتزع ، وخدودهن تتمزق بأظافر سيداتهن . ويحدثنا جوفينال عن ذلك السيد الذى كان « يستمتع بصوت الجلدات القاسية ، ويعتبرها أحلى من الأغانى الموسيقية » ، أو ذاك الذى « يجد متعة بالغة فى الاستماع لصوت سلاسل العبيد » ، أو السيد الذى استدعى أحد المعذبين وكوى عبدا لأنه اضاع منشفتين » . ويصف أحد الكتاب الرومانيين أوضاع عصره فيقول : ان أى مايفعل السيد بعبده ، سواء بغير استحقاق ، أو فى ثورة الغضب ، بقصد أو بغير قصد ، سهوا أو بعد تفكير ورويه ، عن معرفة أو عن غير معرفة . انما هو حكم عادل وشرعى .

هذه هى الخلفية المريعة التى يجب أن تكون نصب أعيننا ونحن نقرأ نصيحة بولس الرسول للعبيد .

السادة والعبيد

(أف ٦ : ٥ ـ ٩ تتمة)

يجب أن نلاحظ النصيحة التى قدمها بولس الرسول لمثل هؤلاء العبيد ، لأننا هنا نجد رسالة الانجيل للعامل والموظف المسيحى .

١ ـ أنه لا يقول لهم أن يثوروا ، ولكنما أن يكونوا مسيحيين حيث هم • هذه هي الرسالة العظيمة التى تقدمها المسيحية لكل انسان ، وهى انه ينبغى أن نحيا الحياة المسيحية حيثما وضعنا الله ، فقد تكون الظروف كلها ضدنا الا أن هذا انما يضعنا فى مواجهة تحـــد أعظم • فالمسيحية لا تقدم لنا مهربا من الظروف ، ولكنها تقدم لنا انتصارا عليها •

٢ ـ وهو يقول للعبيد إنه يجب عليهم أن يؤدوا عملهم على أكمل وجه دائما ، وليس عندما ترقبهم عيون سادتهم فقط • فيجب أن نعمل لا لمجرد أن نرضى الناس ، بل لنعمـــل متذكرين أن عين الله تلاحظنا ، ويجب أن نؤدى أعمالنا لنرضى الله • ان العامل المسيحى مقتنع بأن كل عمل يقوم به يجب أن يكون من الجودة بحيث لايخجل من أن يضعه بين يدى الله ، والمشكلة التى طالما واجهها العالم ، وهى التى يواجهها العالم بشدة اليوم ، ليست أساسا مشكلة اقتصادية على الاطلاق ، ولكنهـــا مشكلة دينية • فاننا لن يمكن أن نجعل من الناس عمالا أفضل بأن نزيد من مرتباتهم ، أو أن نحسن أحوالهم ، أو أن نرفع من مكافأتهم • من الواضح أن المسيحى يجب أن يهتم بهذه الأشياء ، الا أن هذه الأشياء فى نفسها لن تنتج العمل الجيد • وأقل من ذلك فاننا لن نصل الى مستوى أفضل من الانتاج بمزيد من التهديد ، ومزيد من الرقابـــة ، ومضاعفـــة العقوبات والجزاءات • ان السر الأوحد الذى يدفع للعمل الطيب هو أن يقوم به المرء لأجل الله • فلن يكون الانتاج فى العمل انتاجا طيبا الا متى أخذ الانسان كل عمله ووضعه بين يدى الله ليفحصه •

الا أن بولس يوجه حديثه للسادة أيضا • وكلمته اليهم بســـيطة للغاية • فالذى يسود على بشر ، ينبغى أن يذكر أنه وان كان سيدا ، الا أنه خادم لله • فينبغى أن يذكر هو أيضا ان الله يرى كل مايفعله ، وأن

كل اعماله انما هى فى حضرة الله . بل ينبغى عليه أن يذكر أكثر من ذلك أنه سيأتى يوم يقف هو فيه أمام الله جنبا الى جنب مع أولئك الذين كان يسود عليهم وعندئذ ســوف لاتكون هنالك أية قيمــة للمراكز والمستويات العالمية ، فسيكون الجميــع ببساطــة مجرد بشر فى حضرة الله .

ومشكلة العمل يمكن أن تحل ان كان جميع البشر سواء بســواء يتلقون أوامرهم من الله .

سلاح الله

١٠ أَخِيراً يَا إِخْوَتِي تَقَوَّوْا فِي ٱلرَّبِّ وَفِي شِدَّةِ قُوَّتِهِ .
١١ ٱلْبَسُوا سِلاَحَ ٱللهِ ٱلْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تَثْبُتُوا ضِدَّ
مَكَايِدِ إِبْلِيسَ . ١٢ فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ بَلْ
مَعَ ٱلرُّؤَسَاءِ مَعَ ٱلسَّلاَطِينِ مَعَ وُلاَةِ ٱلْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هٰذَا
ٱلدَّهْرِ مَعَ أَجْنَادِ ٱلشَّرِّ ٱلرُّوحِيَّةِ فِي ٱلسَّمَاوِيَّاتِ . ١٣ مِنْ أَجْلِ
ذٰلِكَ ٱحْمِلُوا سِلاَحَ ٱللهِ ٱلْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تُقَاوِمُوا فِي
ٱلْيَوْمِ ٱلشِّرِّيرِ وَبَعْدَ أَنْ تُتَمِّمُوا كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَثْبُتُوا .
١٤ فَٱثْبُتُوا مُمَنْطِقِينَ أَحْقَاءَكُمْ بِٱلْحَقِّ وَلاَبِسِينَ دِرْعَ ٱلْبِرِّ .
١٥ وَحَاذِينَ أَرْجُلَكُمْ بِٱسْتِعْدَادِ إِنْجِيلِ ٱلسَّلاَمِ . ١٦ حَامِلِينَ فَوْقَ
ٱلْكُلِّ تُرْسَ ٱلإِيمَانِ ٱلَّذِي بِهِ تَقْدِرُونَ أَنْ تُطْفِئُوا جَمِيعَ سِهَامِ
ٱلشِّرِّيرِ ٱلْمُلْتَهِبَةِ . ١٧ وَخُذُوا خُوذَةَ ٱلْخَلاَصِ وَسَيْفَ ٱلرُّوحِ ٱلَّذِي

هُوَ كَلِمَةُ ٱللهِ . ١٨ مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلاةٍ وَطِلْبَةٍ كُلَّ وَقْتٍ فِي
الرُّوحِ وَسَاهِرِينَ لِهٰذَا بِعَيْنِهِ بِكُلِّ مُواظَبَةٍ وَطِلْبَةٍ لِأَجْلِ جَمِيعِ
الْقِدِّيسِينَ . ١٩ وَلِأَجْلِي لِكَيْ يُعْطَى لِي كَلامٌ عِنْدَ افْتِتَاحِ
فَمِي لِأُعْلِمَ جِهَاراً بِسِرِّ الْإِنْجِيلِ • ٢٠ ٱلَّذِي لِأَجْلِهِ أَنَا سَفِيرٌ فِي
سَلاَسِلَ . لِكَيْ أُجَاهِرَ فِيهِ كَمَا يَجِبُ أَنْ أَتَكَلَّمَ •

(أف ٦ : ١٠ ـــ ٢٠)

واذ يودع بولس شعبه يفكر فى الصراع العظيم الذى يتعرضون له • ولاشك أن الحياة كانت شيئا مخيفا مرعبا فى نظر الناس قديما ، لا كما ننظر نحن اليوم اليها ، فقد كانوا يؤمنون بالاشباح والشياطين والأرواح الشريرة التى كانوا يعتقدون أن الهواء ملىء بها ، والتى تعمل دائبة على ايذاء البشر • والكلمات التى يستخدمها بولس الرسول وهى « الرؤساء والسلاطين وولاة العالم » ، كلها أسماء لطبقات مختلفة من هذه الأرواح الشريرة والشياطين • فالكون كله فى نظر بولس الرسول ميدان معارك •فالمسيحى لا يواجه هجمات البشر فقط ولكنه يواجه أيضا هجمات القوات الروحية التى كانت تحارب ضد الله • ونحن لسنا بحاجة بأن نأخذ كلمات بولس الرسول حرفيا ،ولكننا نعرف من اختبارنا، إن قوة الشر تقوم بدور نشط فى العالم • قال روبرت لويس ستيفنسون مرة : «أتعرفون محطة السكة الحديدية الفلانية فى أدنبرا ؟ لقد قابلت الشيطان هنالك ، فى ذات صباح بارد لفحته الرياح الشرقية » • ونحن لانعلم ماذا كان اختبار ستيفنسون بالضبط ،ولكننا ندرك ما يعنيه ذلك

الاختبار ، فلقد اختبرنا جميعا قوة تأثير الشر التى تدفعنا نحو الخطية • وهذا هو جل ما قصده بولس عندما تحدث عن الشياطين •

ولهذا يحشد بولس الرسول قوة دفاعه ، واذا به يرى فجأة صورة متكاملة أمامه • لقد كان معصمه طوال ذاك الوقت مقيدا بسلسلة الى جندى رومانى•وكان أحد الجنود موجودا ليلا ونهارا ليضمن أن بولس لا يهرب•ولقد كان بولس فعلا وحرفيا،رسولا فى سلاسل•ونعلم عن شخصية بولس الرسول أنه ذاك الرجل الذى كان يستطيع أن يخالط أى انسان • وما من شك فى أنه تحدث كثيرا الى الجنـــود الذين كانوا مضطرين لأن يكونوا قريبين جدا منه • وبينما هو يكتب ، اذا به يتطلع ، فيوحى له سلاح الجندى بصورة معينة • فالمسيحى أيضا له سلاحه ، ويتحـــدث بولس عن الجزء بعد الآخر من سلاح الجندى الرومانى ويترجم هذه الإجزاء تعبيرات مسيحية •

فهنالك منطقة الحق • والمنطقة (أى الزنار أو الحزام) هى التى كانت تشد ملابس الجندى الرومانى ومنها يتدلى سيفه ، فانت تعطيه حرية الحركة • فقد يعيش البعض حياة التخمين والحدس ، أما المسيحى فيتحرك بحرية وبسرعة لأنه فى كل المواقف يعرف الحق •

وهنالك الدرع • وعندما يكسو البر انسانا يصبح فى أمان•فالكلام لايحمينا من الاتهامات أما الحياة الصالحة ففيها حماية من كل اتهـــام • اتهم أحدهم أفلاطون ببعض الجرائم والأخطاء فقال : أفلاطون : «حسنا فانه ينبغى علينا أن نحيا حياة تثبت كذب اتهامه » • ان الوسيلة الوحيدة التى بها نقابل الاتهامات الموجهة ضد المسيحية ، هى أن نظهر مـــدى الحياة الطيبة التى يمكن أن يحياها المسيحى •

وهنالك الحذاء ۰ والحذاء يشير الى انسان مستعد للحركة ۰ والعلامة المميزة للمسيحى هى أنه يرغب فى أن ينطلق فى طريقه ليكرز بالانجيل ويقدم البشارة للآخرين ، فهو مستعد دائما لأن يحمل أخبار المسيح لأولئك الذين لم يسمعوا عنه ۰

وهنالك الترس ۰ والكلمة التى يستخدمها بولس الرسول ليست هى الكلمة المعبرة عن الترس المستدير ، ولكنه يستخدم الكلمة المعبرة عن الترس المستطيل الضخم الذى كان يلبسه المحارب المدجج بالسلاح۰ وكانت السهام النارية من أخطر أسلحة العالم القديم ۰ فكان السهم يحمل ذيلا يغمس فى القار ۰ وكانوا يشعلون النار فى الذيل المغموس فى القار ثم يقذفون بالسهم ۰ الا أن الترس المستطيل الضخم كان السلاح المناسب ليطفىء هذه السهام ۰ فقد كان هذا الترس مصنوعا من جزئين من الخشب ملتصقين معا ، فعندما كان الترس يتصدى لمثل هذا السهم كان السهم يسقط داخل الخشب بين الجزئين وبذلك كان ينطفىء طبعا ۰ ويمكن للايمان أن يواجه سهام التجارب ۰ والايمان دائما بالنسبة لبولس الرسول هو الثقة الكاملة والتامة فى المسيح ۰وهذا يعنى أن الايمان دائما هو علاقة شخصية بالمسيح ۰ وعندما نسير بقرب المسيح فنحن فى مأمن من التجارب ۰

وهنالك أيضا الخلاص الذى هو بمثابة الخوذة ۰ ويجب أن نتذكر دائما أن الخلاص لايتعلق بالماضى فقط فهو لايعنى مجرد غفران الخطايا الماضية ، ولكنه يعنى أيضا القوة التى بها نواجه كل هجمات الخطية فى المستقبل ۰ فالخلاص الذى فى المسيح يمنحنا غفران خطايا الماضى ، ويعطى قوة بها نهزم الخطية فى الأيام القادمة ۰

وهنالك السيف ، والسيف هو كلمة الله •وكلمة اللهبالنسبة لنا هى فى نفس الوقت سلاح الدفاع وسلاح الهجوم • فاننا نجد فى كلمة الله سلاحا به ندافع عن أنفسنا ضد الخطية ، كما نجد فيها سلاحا نحارب به خطايا العالم • لقد كان رجال كرومول يحاربون والسيف فى اليد الواحدة بينما الكتاب المقدس فى اليد الأخرى • اننا لن نستطيع أن ننتصر على أعداء الله ولا أن نغلب فى معارك الله بدون كتاب الله •

ويأتى بولس أخيرا الى أعظم سلاح — وهو سلاح الصـــلاة ، وينبغى أن نلاحظ ثلاثة أشياء يقولها بولس عن الصلاة •

(أ) ينبغى أن تكون مستمرة ، فيجب أن تكون فى كل أوقات الحياة لعل أعظم نقص فى الحياة المسيحية هو أننا نميل لأن لا نصـــلى الا فى أزمات الحياة الشديدة فقط • ان قوة المسيحى تنبع من الصلاة اليومية •

(ب) يجب أن تكون مركزة:فيجب أن تكون صلاة السهر والمثابرة• والصلاة تتطلب التركيز ، فان صلاة عرجاء لايمكن أن تصل بالمرء الى أى مكان • والصلاة تتطلب منا تركيز كل حواسنا فى الله •

(ج) ويجب أن تكون بعيدة عن الأنانية • فتكون لأجل كلشعبالله المكرسين له • كان اليهود يقولون ، « ليربط الانسان بين نفســــه وبين مجتمعه فى صلاته » • وأعتقد أن صلاتنا تحوى الكثير مما يتعلق بأنفسنا

والقليل مما يتعلق بالآخرين • ولذلك فيجب أن نتعلم أن نصلى لأجل الآخرين ومعهم بنفس التركيز الذى نصلى به لأجل أنفسنا •

وأخيرا يطلب بولس الرسول صلوات أصدقائه لأجله • وهو لايطلب منهم أن يصلوا لكى يجد الراحة والسلام ، ولكنه يلتمس أن تتاح له الفرصة لأن يتحدث بسر الله ، أن حب الله انما هو لكل البشر ، ولكل العالم • ويجدر بنا أن نتذكر أنه ما من قائد أو واعظ مسيحى يستطيع أن يقوم بعمله مالم يدعم شعبه يديه بصلواتهم •

البركة الختامية

٢١ وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ أَيْضاً أَحْوَالِي مَاذَا أَفْعَلُ
يُعَرِّفُكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ تِيخِيكُسُ الأَخُ الْحَبِيبُ وَالْخَادِمُ الأَمِينُ فِي
الرَّبِّ ٢٢ الَّذِي أَرْسَلْتُهُ إِلَيْكُمْ لِهَذَا بِعَيْنِهِ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَحْوَالَنَا
وَلِكَيْ يُعَزِّيَ قُلُوبَكُمْ •

٢٣ سَلاَمٌ عَلَى الإِخْوَةِ وَمَحَبَّةٌ بِإِيمَانٍ مِنَ اللهِ الآبِ وَالرَّبِّ
يَسُوعَ الْمَسِيحِ • ٢٤ النِّعْمَةُ مَعَ جَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ رَبَّنَا
يَسُوعَ الْمَسِيحَ فِي عَدَمِ فَسَادٍ • آمِينَ

كُتِبَتْ إِلَى أَهْلِ أَفَسُسَ مِنْ رُومِيَةَ عَلَى يَدِ تِيخِيكُسَ •
(اف ٦ : ٢١ — ٢٤)

سبق أن رأينا ، أن الرسالة الى أفسس كانت خطابا دوريا حمله

تيخيكوس من كنيسة إلى كنيسة • وبخلاف كل رسائل بولس الرسول لا تقدم لنا الرسالة التي أفسس أية معلومات شخصية عنه سوى أنه كان فى السجن ، وكان تيخيكوس كلما ذهب من كنيسة الى كنيســـة يحدث المسيحين عن أحـــوال بولس الرسول ، ويقدم لهم رســـالة تشجيع شخصية •

وهكذا يختم بولس الرسول ببركة تعود فيها جميع الكلمات العظيمة مرة أخرى • والسلام الذى كان هو أعظم خير يتمناه الانسان•والايمان وهو الراحة الكاملة والواثقة فى المسيح ، والنعمة وهى عطية الله الرائعة والمجانية ، كل هذه يطلبها بولس الرسول من الله لأصدقائه • وأكثر من كل هذا يصلى لأجل المحبة ، ليعرفوا محبة الله ، ليحبوا البشر كما يحبهم الله ، وليحبوا المسيح بمحبة لاتنتهى •